جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم **علم الاجتماع**
أطروحة
لـــــنيـــل شهادة **دكتوراه (علوم)**
في **علم الاجتماع**

المقاربات السوسيو انثروبولوجية حول قدسية الفضاء الديني لأولياء الصالحين

من إعداد الطالب
خليف بشير

الأستاذ المشرف
أ.د مذكور مصطفى

تشكيلة لجنة المناقشة :

الصفة	الاسم و اللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيسا	زاوي مصطفى	أستاذ	جامعة وهران2
مشرفا	مذكور مصطفى	أستاذ	جامعة وهران2
مناقشا	سويح مهدي	أستاذ محاضر أ	جامعة وهران2
مناقشا	بن عطية حاج ميلود	أستاذ محاضر أ	جامعة معسكر
مناقشا	بن حليمة صحراوي	أستاذ	جامعة مستغانم
مناقشا	فكروني زاوي	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس

الموسم الجامعي
2024/2023

شكر و تقدير

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

بداية اشكر الله سبحانه و تعالى على توفقيه و إعانته لي لأتم هذا البحث وبعد أتقدم بشكر و التقدير إلى أستاذي الفاضل **مذكور محمد** على صبره و سعة صدره ة توجهاته و إرشاداته القيمة طيلة فترة القيام بالبحث.

كما أتقدم بالشكر و العرفان إلى كل من علمني حرفا منذ نعومة أظافري ***أبي ، أمي و صبر زوجتي*** .

وإلى كل أولياء الصالحين نفعنا الله ببركتهم وإلى روح سيدي وشيخي محمد الصوفي قدس الله سره،وإلى سيدي وشيخي حـــــــاج عبد الكريم قندوسي حفظه الله ورعاه ونفعنا ببركته وعلمه

وكل الأساتذة الكرام ن المدرسة الابتدائية إلى المتوسطة إلى الثانوية إلى الجامعة كلهم بذلوا جهدا من اجل تدريسنا فأسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

و إلى السادة الأساتذة أعضاء اللجنة الموقرة لقبولها مناقشة هذا البحث و هذا الشرف كبير لي.

خليف بشير

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أعز أفراد عائلتي **أبي، أمي و زوجتي العزيزة** و جميع أفراد أسرتي أبقاهم الله ذخرا لي.

إلى النجوم المضيئة في حياتي أبنائي، **سعيد يوسف الصديق، سامي إبراهيم الخليل**

إلى جميع أساتذتي و أصدقائي في الدراسة و العمل .

و أخص منهم **صديقي و أخي صوار معمر، وأخي حاج دريسي عثمان**

جزاهم الله كلهم خيرا.

أهدي ثمرة جهدي

المتواضع

خليف بشير

الملخص

تهدف الدراسة إلى معرفة الأبعاد السوسيولوجية ومقارباتها انثروبولوجية لقدسية أمكنة المجاورة للأولياء الصالحين والوقوف على العلاقة إضفاء القدسية على ذلك الفضاء وإبراز موقف العقلانية الحديثة من المقدس والطقوس، ومع العصر الحديث الذي تنتهك فيه هذه المقدسات ماديا ومعنويا سوا ء باسم الدين أو باسم الحرية، تهدف الدراسة إلى إزالة ذلك اللبس وخليط بين ممارسة الدينية للعقيدة وممارسة الطقسية للعادات والأعراف القدسية بين أفراد المجتمع راجعة إلى تمثُلاتهم الذهنية وإلى اعتناق المقدس وتهدف أيضا إلى إبراز مظهر إضفاء القداسة على الفضاء جواري للشخصية الولي وإلى كراماته وصفاته المعنوية وتاريخه المادي من خلال تلك الطقوس السنوية من "الوعدة" وفنتازيا وما تدور حوله من التمثُلات والممارسات الفعلية في محيط الفضائي للولي الصالح.

إن إضفاء القداسة على الحظيرة المقدس"الولي" من خلال تلك التصورات والتمثُلات التي تظهر من خلال الممارسة الفعلية للطقس سواء الموسمية أو يومي سواء كان المادي أو معنوي يتحلى فعيا في العقل المادي المحض.

وهذا الفعل المادي المحض لا يستطيع الإنسان أن يستغني عليه ولا يستطيع أن يعيش بدونه فهو متأصل في الذات الإنسان وملازم له ماديا ومعنويا وفي كل زمان ومكان ونجده لدى كل الشعوب المعمرة وتم ممارسه منذ بداية حياة الإنسان على الأرض وهذا يتجلى ويحي في العالم اسمه عالم القداسة.

الكلمات المفتاحية : مقدس ، مظهر إضفاء القداسة على الفضاء ، طقوس التمثُلات، مقدس والحداثة ، حاجة الإنسان إلى المقدس.

Résumé :

Cette étude vise à présenter les dimensions sociologiques et l'approche anthropologique du bcaractère sacré des lieux avoisinant les sanctuaires, elle met l'accent sur le fait de sanctifier ces espaces et montre l'attitude rationnelle moderne vis-à-vis du sacré et du rituel, en ces temps où les lieux saints sont profanés physiquement et moralement aussi bien au nom de la religion qu'au nom de la liberté.
La présente analyse tend aussi à lever la confusion entre la pratique religieuse de la doctrine et les pratiques rituelles des traditions et coutumes chez les membres de la société et qui résultent de leur imaginaire et de leur assimilation au sacré. Cette étude vise également à montrer l'acte de sanctification des espaces environnant le mausolée du personnage saint avec tous les faits miraculeux qu'on attribue à ce dernier, ses qualités morales, l'histoire de sa vie à travers les rituels annuels comme la waada, la fantasia, et tout ce que cela entraîne comme représentations et pratiques réalisées dans les alentours du saint.

La sanctification des alentours du mausolée d'un saint, à travers les représentations et l'imaginaire qui se manifestent dans la pratique cyclique ou quotidienne des rituels, apparaît dans l'esprit purement matériel.

L'être humain ne peut pas se passer de cet acte purement matériel, il est partie prenante de son être, ils sont inséparables en tout temps et en tout lieu, sur le plan physique comme sur le plan moral. Il est présent dans toutes les populations et ce depuis que l'homme existe sur terre. Ce qui est attesté et vécu dans ce monde, appelé monde de la sainteté.

Mots-clés :
Le sacré, l'apparence de la sanctification sur l'environnement, les rituels et les représentations, le sacré et la modernité, la nécessité du sacré chez l'être humain

افتتاحية
مشكلة الدراسة و تساؤلاتها

المقدمة

يعلن ماركس أن "الإنسان هو من يصنع الدين وليس الدينُ من يصنع الإنسان"وبذلك يسوق مبدأ استعادتهُ بمنظور مختلف للعلوم الاجتماعية، في مقاربتها للوقائع الدينية ومنها تُعد التمثُلات عن القداسة تلك الطقوس والسلوكات وأنماط وأشكال المرتبطة بعوالم دينية بمثابة الظواهر الإنسانية التي تُدرس أصولها وتطوراتها وآثارها وتفسيرها بوصفها ظاهرة اجتماعية.

يلجأ الإنسان بطبعته الاجتماعية إلى البحث عن أشياء خارجة عن قوته أي ما وراء الطبيعة من إضفاء صفة القداسة وتصل إلى حد تقديس أو التقريب من تلك القوة ما وراء الطبيعة.

إن الحديث عن الفضاء الروحي والمادي للأولياء الصالحين من مفاهيم التي قدمت عدة مقاربات سوسيو انثروبولوجية، من خلال ما قدمه الصاليح من خصال والكرامات والمعجزات جعلت مكانتهم تأخذ طابع قُدسّية وأسطورة في المجتمع.

يشكل فضاء الضريح الولي الصالح أو القبة التي تزار مكان لانتعاش كثير الطقوس الاحتفالية الاجتماعية.

إن استمرار هذه الطقوس الرمزية التي تأخذ بُعد ديني واجتماعي فرض على الفضاء قاعدة قدسية أي تقديس مكان وجود الولي الصالح وما جاوره وتجري حوله الكثير من الاحتفالات الموسمية في شكل رمزي تطبعه صورة الأسطورة.استمرار هذه الظاهرة حول الفضاء الولي الصالح في علاقة دائرية في الممارسة بين الرمز والتمثُلات والطقوس أنتج لنا "**قدسية دينية للفضاء ولي الصالح**".

هذه الاحتفالات تُعبر عن تجربة جمعية، وهي في الواقع استنطاق للتمثُلات الذهنية، شكلت من خلال ما يحوم حول الفضاء القدسي لولي الصالح مما يتطلب من المردين أعمال المادية والروحية تحمل في شكل الواجب قدسي يأخذ البُعد الديني من خلال التأدية للطقوس.

الهدف من الدراسة هو معرفة حقيقة دور القدسية أو المقدس في ذهنية الإنسان وحاجته إلى المقدس في حياته الدنيوية والدينية والمقدس والحداثة، الذي يأخذ طابع الديني من خلال الممارسة الطقسية بين المرجعية، والتمثُلات والرمز والمقدس الذي يصلنا إلى السلطة الروحية على الذات، والتي تظهر من خلال الممارسات الموسمية أو أسبوعية أو اليومية حول فضاء الأولياء الصالحين في شكل احتفال رمزي اجتماعي ذو طابع ديني.

تعتبر قامة الولي الصالح من شخصيات الوجدانية لدى العامة وتقوم على ثلاث خصال:

الخصلة الأولى :"**الشريف**"أو نسب الشريف الذي يميزه عن غيره، وهو النسب الشريف لأحد الخلفاء الراشدين أو أحد أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم.

الخصلة الثانية"الصاليح" :على أساس مرجعية الروحية والدينية والرمزية الوجدانية من خلال ما يعرفه العامة عن الصاليح من خلال الكرامات والمعجزات والبركة وقبول الدعاء وفضاء المكاني سواء للضريح أو الزاوية.

الخصلة الثالثة: أقترن الأولياء الصالحين بالتصوف والزهد، فلكل ولي طريقة. " **فالتصوف**": هو ما عُرف به "الولي"من تزكية نفس، وتصفية الأخلاق أي الصفاء الروحي والكمال الأخلاقي من أجل نيل السعادة الأبدية، و الطريقة التي يتبعها.

هذه **الخصال الثلاث** هي التي تجسد التمثُلات القدسية لدى العامة ومنها تقوم الممارسات الطقسية حول الفضاء ولي الصالح وتأخذ بُعد رمزي .تعبير عن هذه الخصال وخاصة الكرامات، البركة وما يجري حولها من قبول الدعوات تعبر عن المنظور الفعلي للتمثُلات الفردية والجماعية. وميزة هذه الخصال أنتجت فضاء خاص (سواء للقبة، أو ضريح الولي والشخصية الروحية للشيخ، الفضاء المجاور للحقل الصاليح، وحتى عند ذكره خصاله وكراماته الروحية) **حقل للممارسة القدسية "للفضاء الروحي لأولياء الصالحين** إلى يومنا هذا.

ترتكز الدراسة حول وجدانية وقدسية الفضاء الروحي والمادي للأولياء الصالحين وما يجري حوله من الممارسات الطقسية التي منحت الصفة بقداسّة أضرحة الصلاح ورمزية الشيخ الزاوية، وحاجة الإنسان إلى المقدس وعلاقته بالحداثة.

إن الفعل الروحي والمادي الإنساني الذي يمارسه حول هذا الفضاء نسعى إلى فهمه ودراسته من خلال "**المفاهيم الثلاث**"**الشرفاوية** (**الشريف**) **الصلحاوية** (**الصاليح**) **الصوفية**(**الزهد**) والطقوس التي تجري حوله هي عبارة عن التمثُلات من خلال المرجعيات التي تأخذ أسباب دينية أكثر تبريراً في تفسيراتهم وفي ممارستهم الفعلية في الواقع.

أفرز هذا الحقل عدة بحوث جُلها تؤكد أهمية المقدس في ظهور الممارسات الطقسية والرمزية حول الفضاء الولي الصالح وأصبحت هذه الممارسات الاجتماعية ذو طابع ديني من خلال الممارسة الفعلية التي يتخللها الوجدان الاجتماعي، فإن التحليل السوسيولوجي والأنثروبولوجي أثبت بأن أي ممارسة أو فعل طقسي له غاية وهدف عند ممارسيه على الأقل يُعتبر ظاهرة اجتماعية يجب تحميصها ومعرفة الآليات التي تتحكم فيها.

وفق هذا المنظور يمكن القول أن هذه الممارسات الطقسية حول أمكنة الصلاح تحيي نفسها من جديد من خلال التمثُلات والأساطير وهذا ما سوف نفهمه من خلال تاريخيتها وممارسيها من خلال مبدأ الشعور المشترك بالمقدس فتمثُلات **المانا** التي تشكل فيه هي"الوقائع الأصلية" للدين كما للسحر[1].

1. السنة علم الاجتماع صفحة 138

إضفاء صفة القداسة على فضاء الصالح يعبر عن تلك مقاربة الفهم ما وراء الميتافيزيقا لدى العامة من خلال تلك الأساطير، الكرامات، القصص والاعتقادات الخارقة التي تنتج تمثلات جماعية.
وهذه النسقية بين المقدس، الأسطورة والتمثُلات تضفي صبغة اجتماعية للطقوس الاجتماعية والاحتفالية في نسيج شعوره الديني.

وانطلاقا مما ذكر فالبحث يسعى إلى فهم العلاقة بين المقدس و صيرورة إضفاء الرمزية والقوة الوجدانية للفضاء الصاليح مع فك الرموز من خلال الممارسة الفعلية حول فضاء الضريح الصالحين وتلك القوة الكامنة التي تسيطر على المريد التزام بالممارسة والخوف من عواقب إنها سلطة "الرمزية" "والروحية". كيف تتجسد الوجدانية الاجتماعية والتي هي الشعور الديني كما يقول **دوركايم** فالسلطة الروحية هي القوة الكامنة داخلية تفرز أبعادها " **دينية–زمنية** "عن طريق ممارسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اليومية أو الموسمية وقد عبر ج.شيلهود "أن الإسلام يقر لبعض الأشخاص لتميزهم بالتقوى بحق القداسة و البركة" (نورالدين طوالبي ، 1988 ،ص93)

مع ظهور الفكر الصوفي الذي اتخذ من الزوايا والكتاتيب مركز له منذ بداية القرن الثاني عشر ميلادي كان في بدايته يمتاز بالزهد والانعزال في أماكن خارجة عن المدن، ومازلت هذه المؤسسة "الزوايا" تلعب دور في الوسط الاجتماعي والاقتصادي ولها تأثير لدى العامة. من حل مشاكلهم وإجابة عن كل تساؤلاتهم ... وهي اليوم مؤسسة روحية، اجتماعية وثقافية أخذت طابع ديني في صورتها وفي تمثُلات مريدها ولها طابع القدسية.

ومع بداية 1830 ودخول الاستعمار الغاشم بلادنا لم يجد الشعب سوى الالتفاف حول شيوخ الزوايا والطرقية وحمل راية الجهاد لدورها الكبير في الحفاظ على الهوية والإسلام، ولا أحد ينكر أن المساجد والزوايا والكتاتيب القرآنية حملت راية الجهاد بل المؤسس الحقيقي للجهاد المبارك طيلة مائة و ثلاثون سنة.

ولا ننسى ما قامت به فرنسا طيلة هذه المدة من أجل انسلاخ المجتمع الجزائري عن هويته وأصالته وهذا ما نجنيه يوميا في الحديث عن الهوية واللغة التي كانت من أسباب الانسلاخ الثقافي لكثير من فئات المجتمع خاصة المدنيين. وأصبح هذا الفكر يركز على التقدم والاستقلالية وحتى أصبحنا نسمع مفاهيم مثل "عقلية فرنسيس" أو "كبر مع الفرنساويين" والمشكلة أن هذه الأحكام تأخذ أبعاد مدحية في شخص والدليل نزاهته وأمانته واستقامته. وأصبح من ينتمي إلى الفكر الصوفي والزوايا والأضرحة الصالحين من جهالة وأميين وينعت بالغباء الفكري والجهل.

وقد عرف المجتمع الجزائري منذ الاستقلال عدة تغيرات اجتماعية سريعة جداً من مورثه الثقافي عبر العصور إلى تأثيرات العولمة في القرن الواحد والعشرين مما خلق ظواهر من الخلل الاجتماعي إذا أردنا استعمال تعبير (Durkheim دوركهايم 1969) "**ظواهر من الفوضوية** " (نورالدين طوالبي، 1988 ص26). ومن خلال هذه التغيرات كانت دافع للعديد من الأفراد المجتمع خاصة المحلي بالدفاع عن التأثيرات الثقافية

الخارجية والرجوع إلى فهم مرجعية الأصلية للمجتمع والثقافة والتقاليد المحلية من خلال إحياء الماضي أو الموروث الكابت من الطقوس والعادات .... هو إحياء الممارسات الاحتفالية والاعتقادية الاجتماعية في استنطاق الحقل الرمزي والروحي لنوع من الطقوس وارتباطها ببعض التمثلات الاجتماعية الاعتقادية للرموز مجمعة تنزع من الدنيوي إلى القدسي وتتبنى جملة من الأساطير والاعتقادات التي تنسجم بالممارسة الفعلية للطقوس الاجتماعية الدينية حول حقل الصاليح "المقدس"،وهي استجابات لضرورة سيكولوجية نفسية لسياق اجتماعي ناتج عن تغير اجتماعي- ثقافي عنيف يصعب، أو يستحيل التغلب عليه ؟ أم ظناً منهم الرجوع إلى الأصل للدفاع عن الموروث الحقيقي ؟

هذه الممارسات الطقسية التي تعبر عن الظواهر الاجتماعية الفعلية في شكل الشعائر الاحتفالية والاعتقادية يتم التعبير عنها من خلال الممارسات الطقسية أمام أمكنة لها القّدسّية في النفوس وهي **الحقل الصاليح" روحيا وماديا** ، وهذه الأمكنة تؤثر في الوجدان من خلال فكرة التسليم والخضوع لقوى ميتافيزيقية غيبية (**إلهية**) لها سلطة قوية على الروح الإنسانية تُنسب إليها الخير والشر، ويُنسب لها الغنى الفقر، الغلة والجفاف، الذرية والعقم ... كل ما يدور في ذهنية المجتمع كما يُعبر عن التمثُلات الرمزية الروحية والاجتماعية.

الضريح الصاليح: هو ذلك القبر الموجود داخل القبة، يُمثل لدى عامة أن صاحبه إنسان صاليح، له قيمة رمزية ودينية كبيرة، يحتل مكانة لدى مريده. تأخذ أشكال الأضرحة قبة أو المسجد أو الزوايا، انتشار الأضرحة في الجزائر وفي المغرب العربي ككل ظاهرة قديمة يعود نشوؤها إلى الماضي غير بعيد، و لأسباب متعددة حتى أصبح يُقال: **إن الأنبياء في المشرق و الأولياء في المغرب.**

إن زيارة والتبرك بالأضرحة الصالحين هو جزء من الثقافة الشعبية في الجزائر وفي المغرب العربي ككل وهي عادة تم تورثها عبر الأجيال، ولها طابع تقديس أولياء الله الصالحين لما لهم من أثر في النفوس العامة والقيام بممارسات احتفالية سنوية عند مقامتها، وأصبحت الزيارة إلى ما يشبه العادة لدى كل الفئات من الشرائح الاجتماعية المختلفة، فهؤلاء الناس يزورون أضرحة ما حقل أولياء الله الصالحين خاصة في المواسم الاحتفالية والأعياد الدينية، والتوسل إليهم والتبرك بترابهم من أجل تحقيق الكثير من الأمنيات، الآمال والرغبات وكثيرا ما يستجاب لدعائهم وهذا من كرامات الأولياء.

يندرج مشروع البحث عن الأشكال الأساسية للحياة الدينية مع فكرة المبدأ ما وراء ميتافيزيقا والحالات النفسية الاجتماعية وحاجة الإنسان إلى المقدس التي يتأسس عليها الوجدانية القدسية للحقل الصالحين وتلك الممارسة الطقسية المتنوعة والواسعة في شكل الاحتفالية الاجتماعية التي كانت في الماضي تقتصر على أوساط جماعة محلية، وأصبحت اليوم تمس كل فئات المجتمع بمختلف مستوياته، نتسأل كيف شكل الشعور النفسي المشترك بالمقدس للحقل الصاليح.

والتركيز على العناصر التي يرتكز عليها الطقس وهي **"الرمز،المقدس والأسطورة** " والتي اتخذت من "**الدين**" بعد رمزي في كل الممارسات الطقسية، حيث يعتبر الدين " **النواة**" الذي تُبنّى عليه كُل التمثُلات الذهنية والجماعية لأفراد المجتمع. كما نسلط الضوء على السلطة الروحية والرمزية للحقل الصاليح الذي يتميز بالقدسية وعدم خرق مجاله بالحرام أي المقدس والدنيوي. وهذه القداسّة وجدت منذ أزل أصبحت وفكرة مقيدة تلزم الاحترام وإتباع الشرع وهذه الأمكنة التي لها الرمزية وقيمة جليلة أصبحت تحمل مشقة على الفرد من أجل القيام بالطقوس التي تُعبر عن واجبات دينية وبها تقوم أسباب الحياة ومحاولة تفسير كل ما يدور حوله. هذا ما سوف نلاحظه من خلال هذه الدراسة

فالمشروع يتناول أحد الظواهر الدينية الرمزية التي لها أهمية لدى العامة وهي تلك الطقوس الاحتفالية الاعتقادية والاجتماعية والرمزية في حقل المقدس أو الحقل الصاليح. وما ينتج عنه من الارتقاء الاجتماعي وهي أيضا تمثلات ثقافية تتردد مضامينها بين الكرامات و الأسطورة والمرجعيات الاجتماعية والثقافية والنسب .

وهذه الممارسات الطقسية سواء كانت موسمية أو أسبوعية أو يومية أو في حالات النذر في الاحتفالية لها **وظيفة مزدوجة** :منها إعادة إحياء ممارسات موجودة تحيي من جديد الإحساس والشعور بالعودة إلى الثقافة الأصلية من خلال تصورات واعتقادات دينية ضد كل سمات ثقافية دخيلة، و **الوظيفة الثانية** هي الواجب المسؤولية العائلية لأرث الآباء والأجداد الواجب ديني وإخلاص للقيم المجتمع من خلال الممارسة الفعلية للطقوس التي تجلب راحة نفسية وبالتالي تخلص من ذلك الشعور بالذنب. ولا ننسى أن السلطة بمؤسساتها تعطي أهمية كبيرة للمؤسسات التقليدية " **الزوايا أضرحة الصلاح**" وهذا مرتبط ضمن اهتمام الدولة بالتنمية الثقافة المحلية والسياحية ومحاولة إعادة تحسيس المواطن بانتمائه واعتزازه بثقافته وهذا ما يريده جميع أفراد المجتمع.

وهذا الاهتمام بالمراسيم الاحتفالية والمشاركة في الطقوس شعبية هو اهتمام بالثقافة الأصلية أو ما يسمى "**بالإسلام الشعبي**" من أجل محاربة التطرف والانحراف.

ولا طالما كانت الزوايا والأضرحة الصالحين سد منيع للتطرف والإرهاب وهناك نية الحسنة في تحديث الزوايا وإيقاظها لتؤدي دورها الحضاري في المحافظة على الشخصية الوطنية ومواجهة الفكر التطرفي.

أوردت الصحف المستقلة العديد من المقالات من أجل الاهتمام بالمؤسسات التقليدية "زوايا وأضرحة " التي أصبحت لها دور كبير في مواجهة التطرف والإرهاب ؟

كما دعا العديد من المثقفين المهتمين بدراسات الإسلام الشعبي، إلى ضرورة العمل من أجل استرجاع المكانة المرموقة التي كانت تحظى بها الزاوية، وتفعيل الدور الذي كانت تلعبه فيما مضى عن طريق تطوير التعليم بها لمواكبة العصر هو ضمان لإحياء قيم الماضي وإعادة خلقها.

فالبحث ينطق كيف أصبح ت إضفاء القدسية على الحقل الصاليح حتى أصبح رمزا تقوم حوله الطقوس الاحتفالية والرمزية والروحية وعلى ماذا تتأسس ديمومة الممارسات اليومية لدى الجماعات المحلية التي لا تزال تواكب التطور السريع، ولكي يكون بحث سليماً أي لم تمسه فرضيات "السوسيولوجية التلقائية" (بورديو Bourdieu ، 1968) "يجب أن ينبني البحث على وقائع الملاحظة المتكررة بشكل كاف كي تصبح ذات مدلول من الوجهة السوسيولوجية". (نورالدين طوالبي ، 1988 ص 70)

1 و هذا ما سوف أتطرق إليه من خلال هذه الدارسة التي كان الدافع أكبر لاختيارها هو دافع الموضوعية وإخلاص علمي لما لاحظه حيث:

1 – تبقى الكثير من الدراسات تتسم بالذاتية ولم تعطى لهذه النقطة حقها رغم ما حققته في حفاظ على تماسك المجتمع.

2- اقتصار بعض الدراسات على الوصف والتمجيد الروحي والديني

3- دراسات اتسمت النقد المؤسسات التقليدية خاصة بعد دخولها المعترك السياسية .

4- دراسات أتخذت مواضيع هامشية تحلل فرق الفلكلورية واتهام الزوايا بأنها ثقافة فلكورية منعزلة تنغمس لدى فئة محدودة من المجتمع المحلي "قبلية" .

5- لا وجود للمراجع في هذا الموضوع أغلبها تاريخ وقصص الصالحين وكراماتهم.

ومن أجل ذلك أردت أن أسلط الضوء في ظاهرة اجتماعية ذات طابع الديني لها دورها في المجتمع و ما تحمله من أهمية في الحفاظ و التماسك المجتمع.

موضوع البحث يتكون من ثلاث فصول الفصل الأول " **دراسات نظرية**" و هي دراسات السابقة التي تطرقت للموضوع و مفاهيمه من "**الظاهرة الدينية**"، **وحول المقدس والطقس** ، **والتمثُلات والتصوف**

المبحث الأول حول تعريف الظاهرة الدينية ، مفهوم الدين عند الغرب والعرب، نظريات حول الدين، ثم نتطرق إلى دراسات حول معنى المقدس اصطلاح ا ومفهوما وأشكاله وعلاقة الدين بالمقدس والمقدس وفي الكتب السماوية والمقدس والحداثة

أما المبحث الثاني فأتطرق إلى الممارسات الطقسية والتنظيمية من مفهوم الطقس وأهم نظريات ووظائف الطقس الرمزية والدينية والأسطورة والدين ثم نتطرق إلى التمثُل كمفهوم و دراسات التي تطرقت له و محددات التمثُل

أما **المبحث الثالث** أتطرق إلى التصوف وعلاقته بالحقل الصالحين، وعلاقته بالزاوية وأضرحة الصلاح في الجزائر تاريخها الطويل من عشية الاستعمار إلى عصر العولمة .

رغم الشح المراجع الموضوعية في كثير من نقاط البحث خاصة حول الطرقية والصوفية وتاريخ الحقيقي للزوايا في الجزائر مما حتم عليا البحث عن مراجع أخرى على شبكة الانترنت التي كانت بفعل أحد نقاط المهمة في تعرض لهذه المواضيع بكل دقة واحترافية علمية.

أما **الفصل الثاني** الخاص بالممارسات الفعلية حول الحقل الصاليح من الطقوس ويتكون من أربع مباحث، أولها مشكلة البحث وفرضيات التي شكلت النواة الحقيقية للبحث وصف المنهجية المتبعة وتعريف بعض المفاهيم مع أهمية دراسة.

أما **المبحث الثاني** فهو دراسة وصفية أثنوغرافية لأمكنة البحث من حقل الصاليح "سيد الشيخ بالولاية البيض " الأبيض سيد الشيخ والزاوية بعين السخونة ولاية سعيدة مع تحليل الاحتفالات السنوية حول الحقل المقدس "الصاليح"، وتطرق إلى تعريف وعدة كتوطئة لاستمرار هذه الظاهرة من مفهوم الوعدة الزردة المعروف ، الصدقة ، الركب...

أما **المبحث الثالث** فهو إعطاء أهمية للقدسية الحقل الصاليح وما يحمله من التمثُلات الاجتماعية والرمزية من كرامات الأولياء الصلاح. وحاجة الإنسان إلى المقدس أما **المبحث الرابع** أتطرق فيه إلى ضرورة اهتمام الدولة في تسيير المؤسسة التقليدية الشعبية من أجل الحفاظ على التماسك المجتمع بكل أطيافه.

أما **الفصل الثالث والأخير** يتكون من المبحث واحد من ثلاث نقاط هي تحليل الطقوس حول الحقل الصاليح، النتائج الأولية من خلال الملاحظة المشاركة ، تحليل والصور ومعرفة دور الحقيقي لوظيفة المقدس.من خلال هذا العمل المتواضع سوف أتطرق إلى بعض أهمية الحقل الصاليح وهذه الممارسة الاحتفالية الطقسية في تماسك أفراد المجتمع ومحافظة عليه من التطرف والانحراف الهجرة. والرجوع إلى الثقافة الشعبية الأصيلة.

وهذا العمل ليس رغبة شخصية لإثبات مشروعيته بل هو دراسة ميدانية للظاهرة الاجتماعية لم يعطى لها حقها في البحث الانتثروبولوجي رغم أن الغرب يحاول تفسير كتب ابن العربي والصوفية من خلال المخطوطات ونحن نرمي هذا الحقل بالجهل والتخلف.ونعت كل الممارسات الطقسية بالكفر والبدعة بعض ينظر إليها من باب التقاليد والثقافات المحلية ....أردت أسلط ضوء حول هذه الظاهرة الاجتماعية من الباب العلمي السوسيولوجي انثروبولوجي بعيد عن ذاتية والدين الإسلامي والعقيدة من اجل مشروعيته.

وحتى لا تكون دراسة طارئة أو استبصارية قد تحمل أفكار مسبقة لأننا في الزمن أصبح كل يكذب الوقائع، الدراسة تحمل واقع فعلي تثبته الملاحظة المشاركة الفعلية في كثير من الوقائع الطقسية سوف كان الحقل الصاليح ونتكلم مع الأحياء من الشيوخ الزوايا ومقيمي على الأضرحة الصلاح.

أمنياتي أن يكون هذا البحث فاتحة خير على بلادي من أجل الحفاظ على التماسك أفراده في مواجهة التطرف والانحراف والمواجهة أفكار التفرقة وتقسيم البلد أتمنى أن أوفق في ذلك و ليشهد الله عني أنني كنت موضوعي وصادق.

I. **إشكالية البحث**: تُمثل زيارة أضرحة الصلاح الموضوع الأساسي لهذا البحث الذي يعتبر علامة طريق مهمة في دراسات الإسلام الشعبي. فمنذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، ظهرت الصوفية والطرقية التي اتخذت من الزوايا والكتاتيب مقر لها الذي كان يعتبر بالحق مراكز الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية لها مثل : القادرية، السنوسية، الشيخية، الرحمانية، الطيبية، القاسمية، وهذا تحت تأثير "المشيخة" أي رموز الطريقة التي كانت لهم سطوة كبيرة في النفوس العامة وهذا ما كان يقابل القديسين عند المسيحيين"، كانوا يحيطونهم بالتقدير والحب من قبل أفراد المجتمع ، حتى أصبح هذا التعلق والحب إلى تبجيل والقدسية الروحية اتخذ من "المردين" الحرص على زيارة الأضرحة الصلاح غايتهم " **البركة هؤلاء الأولياء**" والشفاعة والتوسط لهم عند البارئ تبارك وتعالى.

كانت جُل الانتفاضات والثورات الشعبية التي قامت بها الطرق الصوفية خلال القرن التاسع عشر قامت على أسس دينية وهي الجهاد ضد النصارى المعادين للإسلام وبناء على ذلك أدت الزوايا دورا كبيرا ورائعا في معظم تلك الانتفاضات وأثّرت بشكل جلي على مسارها واستمرارها.استطاعت الزوايا أن تحافظ على وجودها واستمراريتها بل وحتى في مواصلة تنظيمها لمهرجاناتها الدينية، المواسم، الوعدات والزيارات مع ملاحظة أن أعداد المواظبين على هذه المناسبات ما انفك يتزايد ويضطرد حتى بين سكان المدن من هنا فإنه يمكننا أن نعتبر الزاوية من وجهة نظر تاريخية مؤسسة فعلية قامت وارتبطت بها كل مناحي الحياة في المناطق التي تواجدت وتأسست فيها: أماكن للصلاة والذكر إلى جانب أماكن أخرى خصصت للتعليم وتحفيظ القرآن وأماكن لإقامة شبه دائمة، لكنها أيضا كانت أماكن يتم فيها تناقش حول المشكلات الاجتماعية والأزمات العائلية وتحديد موعد الزواج لأفراد والإصلا ح بين الأهل وموعد الاحتفالات الطقسية فضلا عن تنظيم العمل في المناطق الزراعية حالة "التويزة" وقت الحصاد والحرث والزرع مثلا .
وهذه الاحتفالات هي التي تستدعي التمثُلات تكون خارج الإطار التجريبي واستمرارها من خلال تكرار وتكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري أو إعادة خلق وتحيين لماض غامض غالباً، لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني" (نور الدين طوالبي ، 1988 ، ص 27)،وإلى يومنا هذا

مازال العديد من جماعات محلية من المجتمع الجزائرية تمارس هذه احتفالات اجتماعية اعتقادية ، من محاربة الأفكار الغربية التي تؤرقها .

يتطرق د.نورالدين طوالبي أثناء دراسته " للطقوس والدين في الجزائر" أنه من بين أسباب اعتقاد في هذا التدين المغشوش أن الذهنية الجزائرية كانت مهيئة ولها قابلية لتقّبل مثل هذا الاعتقاد الخاطئ بما يسمى "الإسلام الشعبي" ناتج للوضع التاريخي والاجتماعي والاقتصادي الذي تعيشه الجزائر حيث كان هناك انفصال التام بين البيئة اجتماعية وثقافية الذي فسره بعاملين :

العامل الأول : النتائج الاجتماعية الثقافية للمرحلة الاستعمارية لاسيما منها إشراب السكان القهري تقريباً بالقيم والنماذج الغربية وبدايات عملية الانسلاخ الثقافي أو التغريب الثقافي .

أما **العامل الثاني** فهو المحصلات الكلية للتغير الاجتماعي في الجزائر وخصوصاً محصلات التصنيع السريع الذي أصبح ذا أولوية في عملية التطور ، هذا التصنيع أدى إلى ضرورة انفتاح واسع النطاق على ثقافة وكيفية عيش الغربيين ، لكن هذا الانفتاح أدى إلى إيجاد آثار ثانوية غير مرغوب فيها ، من بينها إغراق القيم التقليدية بالنماذج الغربية.(نورالدين طوالبي 1988 ، ص24).

وقد تأكد أن الجزائر فعلاً وقعت في وضعية متأزمة نصفها ثقافي إحتماعي و النصف الآخر بيئي وأنها تعيش في مرحلة متناقضة مع ثقافتها وهذا ما دفعه للاستشهاد بعبارة (كاميلري C.Camilleri ,1973) **الجو من التشوش الثقافي**". (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص24).

من البديهي يجب أن تتجلى في أي البحث شئ من المنهجية الموضوعية والصدق العلمي، لهذا سوف أفسر ظواهر وممارسات الطقسية كما عشتها، وأعترف أنها تتميز بالدهشة والذهول خاصة حول معنى العام للمقدس وحاجة الإنسان له في حياته الدنيوية والدينية و الطقوس المكملة له وهذا المقدس الذي يتحكم في سلوكات الزوار كوسيلة لعلاج و بول الدعوات واستجلاب البركة منه.

رغم أن هذه الظاهرة هي من العادات وأعراف المجتمع، غير أن محاولة الكشف عن عوامل استمرارها، وبين تلك ممارسات الطقسية وتقديس أضرحة الأولياء، والمكانة الرمزية التي يحتلها شيخ الزوايا ويتمثل تجسيده اجتماعياً وموضوعياً في نظر المجتمع ؟ وكيف يتصورونه ؟ وهذا تمثُّل يتم عن طريق إعادة استحضار عدة رموز، ومرجعيات التي تتكون من عناصر التالية: **الشرف و علم الصوفي** و **الصلاح** أو هذه الأخيرة هي التي **تُبني الذهنيّة الجماعية والفردية** ، وكيف تُكون هذه التمثُلات لها تأثير كبير على سيكولوجية الفرد والجماعة التي بها يتم احظار المقدس وفضائه الروحي والمادي"الأضرحة الصلاح"" ومقام الزوايا" وكل ما له علاقة بالروحانيات ما يثبت حاجة الإنسان إلى المقدس، ونبعاثه من جديد وتأثيراته على الجماعات المحلية ، وكشف الغموض الروحي والمادي من خلال ممارسة الطقوس التنظيمية حوله أو باسمه .

تتخلص أسباب هذا التقديس إلى ذلك فاصل زمني بين الأجيال في عدة ثقافات محلية يكون أحياناً متناقضاً مع الممارسات التي تقام في حظيرته، إلا أنه يشكل على وجه الخصوص أحد عوامل

استمرارية لأهم مواضيع الثروة الثقافية للجماعات المحلية وهذا ما أكده د.نورالدين طوالبي في دراسته حول أسباب استمرار الطقوس بقوله "**إذ بواسطة عملية ثقافية طقسية جادة واجتماعية يتم جزئياً إحياء التقاليد المهددة بالفناء**(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص16).

ويمكن رسم أسباب استمرار الممارسات الطقسية في حياة الجماعات المحلية، هو **خوف من "المقدس"** ومحاولة كسب بركته، والحماية من كل طارئ، أما تلك السلوكات والطقوس الممزوجة بالتبادل والمودة والحب والاحترام من طرف الزوار وما يقابله من الكرم والمودة وحسن الضيافة في الزوايا أو عند زيارة الأضرحة من قبل "المُقدم" أو خادم الوالي تعتبر في أصل مجانية لأن المقدس يتحكم في سلوكهما إذن تعتبر هذه الممارسات من ثوابت التي تسهل ديمومة الظاهرة بطريقة غير مباشرة وتُقدم لها نوع من القيم الدلالية التي مازالت تشغل البال الكثيرين من أفراد المجتمع الجزائري مهتمين بهذا الحقل.

حدد "د.نورالدين طوالبي"فصل كامل للدراسة التقاطب وأثره في استمرار الاعتقاد في المقدس وبالتالي ديمومة الحدث الطقسي عنده، **والتقاطب هو في معنى التنافر بين نقيضين اثنان يحاول فيهما الشخص تخلص من احدهما أو السيطرة على أحدهما مثل الحب والكره ، مشاعر مقلقة، أعتقد أو لا اعتقد، ثقافتي أو ليست ثقافتي، تقاليدنا** عادتنا وما يقابلها من ثقافة تحضر ...يقول د. . نورالدين طوالبي"أن الوضع العام من التقاطب كما حدده "لابلوش و بونتاليس " Laplanche et Poutalis بأنه وجود المتزامن في العلاقة مع ذات الموضوع، لميول ومواقف ومشاعر متناقضة وخصوصاً الحب والكره " (1967) Laplanche أما "فرويد" فإن التقاطب يظهر عند التقاء مشاعر متنافرة في كيفية وجود أي موضوع طوطمياً كان أم هاجسيا" ويمثل التابوا بالنسبة لفرويد مدلولين متناقضين لكنهما متلازمان: وهما **المقدس من جهة، والممنوع أو المقلق أي المدنس من جهة أخرى** ، والتقاطب له دور أساسي مثل ذلك الصراع التقاطبي بين الحب والكراهية، القلق والراحة "النفسية" هما يتوجهان معاً نحو الشخص بل نحو الذات الشخص، ويتوصل في الأخير إلى أن التقاطب هو وجود ميلين "عبارة عن مشاعر" متناقضتين في الذات. (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص20-21).

ويرى البعض أن ما **يقابل المقدس هو الدنيوي** أي أن المقدس يمثل كل ما هو حرام والدنيوي يُمثل كل ما هو مسموح به أي ما يقابله في الشريعة الإسلامية " **حلال والحرام**"،وفي ذات السياق يتطرق د.نورالدين طوالبي "لمفهوم التقاطب لدى ر. باستيد R . Bastide الذي ينظر إليه " **كمكوّن لطبيعة الشخصية، ولميدان الدين أيضاً** " ويفسرها على أنها تفسيراً لظواهر امتلاكية أي ما يخزنه الشخص ويمتلكه بداخله، يضيف "باستيد" أن التقاطب هو الذات المعاش الكائن الذي يتموضع في حدود ثقافتين الذي يجابه قيم عالمين ويختبر على هذا الأساس صراع القيم الدائمة والمقلقة غالباً" ر. باستيد – (1972) R . Bastide .(نورالدين طوالبي، 1988، ص29).وهذا التناقض النفسي والتفاعل السيكولوجي للأفراد هي

التي تحدد الحقل الاجتماعي والثقافي والنفسي للشخص، وهذا ما يعزز ما أسماه باستيد (1972) R . Bastide "هامشية الوضع" الثقافي (نورالدين طوالبي، 1988، ص29).ويتوصل د.طوالبي "إلى أن هذا الوضع الهامشي المتناقض يُثير الميول المتقاطبة بشكل طبيعي، ويقود في الأخير إلى أفعال ممارسة الطقس بصفة تلقائية التي تكون في غالب دون معنى ودون فهم محدداتها النفسية والاجتماعية (نورالدين طوالبي 1988 ، ص29).

يشعر الإنسان في الدنيا دائماً بالشعور غامض ينتابه خاصة عندما يتعذر عليه تفسير الأشياء والأحداث بطبيعتها الحقيقية، هنا يظهر الشعور بالذنب الذي يلعب دور كبير في تغيير وتأثر على السلوكات فرد ، وبتالي يقوده إلى إحياء وتجديد حياته ، بحيث يستحضر تمثُلاته بدون شعور ويفسر عليها الأحداث التي تحدث له أو أمامه وبالتالي يحضر الهاجس "الذنب" بشكل لافت من صميم الداخلي لكل الممارسات الطقسية ما يُشكل القوة الروحية التي تفسر لنا منطق " **الحرب النفسية المرتدة المتناقضة بداخله**" وهي تجربة روحية نفسية صعبة وعسيرة ، التي تتجسد فيها كل تمثُلاته بل كل أفكاره وتقتصر على فكرتي "الخير" والشر"، وهذه المعاناة النفسية سوف تنعكس على العنصر الاجتماعي في الواقع.

وبهذه الحرب العسيرة تتولد القيم والرموز التي تدُل على اتجاه السلوك الفردي والجماعي نحو " **إحياء بركة المقدس**" هو الحل الوحيد لتخلص أو تخفيف من شعور بالذنب وذلك عن طريق ممارسة طقوس احتفالية اجتماعية استجابة للدوافع لها قيمة والضرورة السيكولوجية والثقافية واجتماعية أيضاً وذلك من أجل تحديد معالم التي يكون فيها الاتصال مع كل ما هو " **مقدس**"هو الحافز الظاهر على هذا النشاط اعتقادي احتفالي الذي يأخذ شكل الطقسي سواء حول مقدس نفسه أو باسمه خارج حقل المقدس وهذا يُفسر بشئ واحد هو تعبير الإنسان عن حاجاته متجددة للدعم معنوي روحي للخروج من وضعية النفسية العسيرة وكي يؤمن لنفسه راحة والاطمئنان باعتبارهما تدخل في إطار ثقافته التي لها صلة وثيقة بقوة الخارجية "الإلهية"

إن السلوك الفردي و الجماعي أثناء ا لاحتفالات الطقسية وا لاجتماعية، يضمن استمرارته من خلال التكرار، واتصال وتوجيه الأجيال من زمن إلى زمن لاستمرارية ماض ما على انه واجب ووعد ، ومهما تكن تلك الاحتفالات فإن طبيعتها تُعبر بشئ واحد هو " **الطقس**" الذي يكرس ديمومة الحدث الديني والثقافي الاحتفالي الاجتماعي، وذلك بالتقرب بل خضوع للقوة "**المقدس**" قصد التبرك والاستشفاء وتحقيق أمنيات وآمال ورغبات، حيث تعتبر كل من الأسطورة، والطقوس، والرموز الوسائل التي تدخل في علاقة مع المقدس. **ومن خلال هذا العرض يمكن إدراج مشروع البحث عن المقاربات السوسيو انثروبولوجية حول قدسية الفضاء الديني لأولياء الصالحين، وكيف يتم إعادة إضفاء القداسة على حقل الصاليح وإحياء كراماته ومناقبه الصالحة لإيجاد الراحة النفسية أو علاج فقد الإنسان الشفاء**

منه، و كيف يساهم المقدس في إرساء الطقوس التنظيمية التي تأخذ بُعد الديني أثناء الممارسة الفعلية، وحاجة الإنسان إلى المقدس. وتأسيسا على ما سبق تتحدد أسئلة مشكلة الدراسة من خلال طرح التساؤل الرئيسي التالي سوف نتأكد من صحة أو خطأ بعض الفرضيات المطروحة كالتالي:

1 – إن إرث الثقافي لأي المجتمع يُعبر عن القيم الداخلية، التي يُعبر عنها كاميلري Camilleri **عقود حول الوجود المشترك بين الثقافة الحديثة والثقافة لأصلية** (كاميلري Camilleri، 1973، ص 465) [2] التي تتحول إلى ممارسة الفعلية لإحياء للطقوس اجتماعية تعبر عن شعور الديني كمتنفس للتوفيق بين الثقافة الحديثة والثقافة التقليدية وإضفاء القداسة على التمثُلات كامنة تترجم إلى الأدوار المتلائمة اجتماعياً يلجأ الإنسان إلى القداسة من أجل استمرارية في الممارسات الطقسية القديمة للعودة إلى الثقافة والقيم الأصيلة .

كما أن الشعور بالذنب يحضر بشكل لافت في إحياء المقدس بالممارسات الطقسية التي تفسر ذلك التفاعل بين الحديث والقديم، بين المقدس والحداثة الذي يخلق جو خاص بالتقديس، ما يعبر عنه بذلك صراع القيم وانسلاخ ثقافي مخترق على نطاق واسع داخل الذات.

إن إحياء المقدس يعبر عن ردة فعل على رموز الثقافة الجديدة مثل انقياد نحو القيم الغربية وهذا ما يقابله تعلق كبير بالقيم القديمة كلما كانت رغبة الكبيرة نحو سيكولوجية شديدة تجاه القيم الجديدة وذلك بممارسة الفعلية بتعبير رمزي لأفكار وممارسات بواسطة السلوك الفردي أو الجماعي للجماعات المحلية لإحياء طقوس تعبر عن استمرارية الماضي وتكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري وإعادة خلق ماض غامض يأخذ المقدس دور البطولة في إضفاء صفة فعلية للممارسة الطقسية تأخذ بُعد ديني فيه.

2 – إن إحياء المقدس لا يقتصر على إيجاد راحة النفسية أو الخوف من المدنس إنما نراه كذلك عند تفسير عجز العلم والطب على العلاج، حيث أن الكثير من الناس بمختلف مستواهم العلمي ومستوى الاجتماعي يلجئون إلى المقدس كطريقة للعلاج من خلال الممارسات الفعلية للطقوس سواء أمام أضرحة الصالحين أو التوسل بهم وببركتهم وهذا يعتبره البعض تناقض بين العلم والطب ووسائل التكنولوجية الحديثة وظواهر الطقسية أمام المقدس والتي كثيرا ما تكون فعالة بالشفاء وهذا الشفاء الذي يكون له اثر في المجتمع ويصبح ضمن التمثلات الاجتماعية والجماعية، هي التي سوف تؤثر في السلوك الذات لدى الفرد والجماعة مما يسمح له بجنوح نحو المقدس أكثر من الطب الحديث.

كثير من الأمراض تم الشفاء منها عن طريق إحياء المقدس وبالممارسات الطقسية، والتي تحضر في كل مرة في الشعور الجماعي للجماعة، والتي تضفي دائما الحساسية لإحياء المقدس كلما شعرت الجماعة بالحاجة إليه.

---

2 . د نور الدين طوالبي " الدين و الطقوس و المتغيرات" د.و.م.ج 1988 ص 26

3- المرجعية الدينية (لوالي الصالح) هي الرمز والتمثُل يخلق القداسة لدى الأفراد والجماعات وذلك من خلال الفضاء القدسي للصاليح والشريف والتصوف التي تتحول إلى القيمة الدينية تحي صورة وشخصية ومناقب وكرامات الوالي أو الشيخ الزاوية وفضائه كتمثُلات جماعية تتجسد من خلال ما يقدمه من المرجعية الصوفية كرمز ديني.

لا يختلف اثنان على أن فضاء القدسي لأولياء الصالحين لا يختلف من مكان لأخر، غير أن الممارسات الطقسية تختلف بين الزوايا والأضرحة سواء من خلال الزيارات اليومية أو المواسم وذلك راجع لوجود الشخصية الشيخ الزوايا وإعادة إحياء المقدس من خلال كراماته ومناقبه في الموسم أمام الأضرحة الصالحين،أما شخصية شيخ الزاوية فهي المرئية كرمز ديني والفضاء الديني القدسي داخل الزوايا وفي فضائها.

4- كان ولابد على الدولة الاهتمام بالصرح الثقافي التقليدي للزوايا والأضرحة الصالحين لما تحمله من المرجعية أصيلة للدين وتثبيت أسس أعمدة المجتمع على العقيدة واحدة وهذا ما جعل السلطة تعطي اهتمامها بالمؤسسات التقليدية ذات الطابع الديني والثقافي في المجتمع، وخاصة بعد عودة السلم والأمن ما وقامت به إبان العشرية السوداء .

كان واضحا أن السلطة التنفيذية توجهت رسمياً نحو إحياء نوع الممارسة الدينية وإعطائها الصفة الرسمية والرعاية السلطوية الرسمية من اجل الحفاظ على الصرح الديني واستقرار الاجتماعي وابتعاد عن التطرف والإرهاب.وللزوايا والطرقية بشتى طرقها، أتباع من وراء البحر خاصة في أوربا وأمريكا واكتشفت الدول الأوربية أهميتها في إيقاف انتشار التطرف الديني والإرهاب وهذا ما جاءت به تقرير بيات شتاوفر Piet chat over خاصة فرنسا، من أجل الاهتمام بطريقة صوفية تقليدية، وإعادة إحياء المقدس في النفوس من خلال الممارسات التقليدية من مواسم الواعدي ونشرها في الوسائل الإعلامية ودراسات اجتماعية الجامعية والمخابر العلمية وإبراز دورها في لم الشمل واللحمة الاجتماعية لتكون وسيلة لتأطير شباب الضواحي المصابين بالإحباط ومشاعر القهر والتمييز العنصري ، وتحويل اهتمامهم عن مسلك الحركات الدينية المتطرفة بل وصرفهم عن الانتماء إلى تلك المجموعات الإسلامية الراديكالية .

إن إضفاء القداسة على الفضاء الصاليح سواء ماديا أو معنويا من خلال تذكر قيمه وكراماته بالممارسة الطقسية التنظيمية هي في حد ذاته ا تعبير على حاجة الإنسان إلى المقدس في حياته وما لها من مكانة عظيمة في النفس الإنسانية سواء كانت الأمكنة المقدسة أو تلك القصص وكرامات التي تعبر عن الشفاء الكثير من الأمراض والعقم والبركات وتلبية الدعوات التي تصبح فيما بعد التمثُلات في الذهنية الفردية والجماعية تتناقل من جيل إلى جيل وما اهتمام العلم والجماعات ومخابر الدولية الأجنبية بالصرح الفضائي للمقدس إلا دليل عل ما يحمله المقدس من حصانة ذاتية الواقعية نعيشها يوميا في حياتنا.

وهذا ما سوف نتطرق له في هذه الدراسة بكل موضوعية ولا قيمة لشيء إلا القيمة الواقعية، ولا شيء يصمد أمام العلم و العقلانية.

أسباب و مبررات اختيار الموضوع

إن الهدف الأسمى لأي باحث اجتماعي هو الوصول إلى دراسة جوانب مشكلة البحث الذي هو بصدد دراسته، وإن كان هدف المصطلح الاجتماعي هو رغبة في حد من معضلة المشكلة الاجتماعية ومحاولة تخفيف من أثارها كخطوة أولى نحو القضاء على العوامل التي ساهمت في تكوينها .

وقع اختياري للموضوع ، من اجل أن تكون دراسة ابستمولوجية لنسق نراه مترابط و كامن وراء شئ غامض لا نستطيع إخضاعه للدراسة العلمية، وذلك لأن المقدس في ذاته من المواضيع المبهمة والغامضة وهذا الإبهام والغموض دفع العديد من الباحثين والمفكرين البحث فيه ، ولم يعد خاصية ومؤسسة للمقدس بل أصبح سمة من سمات الكتابات والدراسات والأبحاث الأكاديمية.

ومنها يمكننا حصر الأسباب التي بموجبها قمنا بالدراسة النقاط التالية: إن الموضوع المقدس وإضفاء القدسية على أشياء المادية والمعنوية لإحياء الطقوس وممارستها من أجل الراحة النفسية والعلاج نستطيع القول بأن الإنسان إن كان لا يستطيع استغناء على الدين فإن المقدس يعني الدين ولا يستطيع العيش بدونه، لأن كل الممارسات الطقسية تأخذ طابع الديني في ممارستها وهي متأصلة في النفوس ومستقرة في الذات الإنسان وملازمة له في كل مكان وزمان، لا تستطيع الشعوب استغناء عنه والدين هو الوعاء المقدس ولا يستطيع إحياء الطقوس إلا في العالم القداسة.

إن إضفاء القداسة على الفضاء الصاليح سواء معنويا أو ماديا فهو من أجل التطهير نفسه وتلبية حاجياته الروحية والاجتماعية، من أجل إيجاد حلول للغموض الذي يعيشه، والمقدس هو تجربة الإنسان من خلال نظريته وتصوراته وشعائره الرمزية كلها التي يجُسدها في الطقوس تعبر عن علاقاته بالمقدس.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو أهمية المقدس في حياة الإنسان وحاجاته إليه وكيف يتم إحيائه في كل مرة ومن أجل إيجاد إجابة عن التعقيد والغموض الذي يعرفه المقدس وإن كان من بين أكثر المواضيع غموضا راجع إلى كثرة وتعدد المقدسات وهذا ما تطرق له علماء أديان والاجتماع والفلاسفة وعلم النفس والانثروبولوجيا قد أثارت انتباهم مصطلح (المقدس) مفهوما ومقصودا مع اختلافه من لغة إلى أخرى ومن ثقافة إلى ثقافة من تجربة تاريخية إلى تجربة تاريخية ويؤكد **روجيه كايو** صعوبة تحديد

المقدس بقوله "الوصفة الوحيدة التي يصح إثباتها للمقدس بشكل عام متضمنة في تعريف هذه اللفظة بالذات، ألا وهي تعارضه مع الدنيوي، [3] لا شئ أكثر غموضا من القدسي وأكثر غموض هو إضفاء القدسية على الفضاء يراه مبارك ويجلب السعادة والراحة والعلاج لإنسان ويتم إحيائه وبالفعلية وبتعبير الطقسي مرده التمثُلات الذهنية والمرجعية التاريخية للتجربة الإنسانية عبر مراحل الحياة. هذا ما سوف نعرفه من خلال هذا البحث حول الفهم أو محاولة الفهم هذا الغموض ولما يتم إحيائه في كل مرة ومع هدف من الخوف منه والتقرب منه وابتعاد منه وعلاقته بالمدنس والدنيوي.

وصف المنهجية المتبعة و تقنيات البحث

أي بحث أكاديمي يعتمد أساسا على بناء منهجي على طريقة التخطيط المعماري جد محكم ومضبوط على حد قول " **كلود بارنارد**" حيث شبه الفكرة بالبذرة و المنهج بالتربة التي تنتج فيها، إذ كلما كانت شروط النمو متوفرة كانت نتائج أفضل"[4]. حيث اتبعت طريقة انثروبولوجية في البحث من اجل الوصول إلى حقائق موضوعية، وهذه الطريقة أو الأسلوب أو الوسيلة تهدف إلى الوصول إلى المعلومات التي أريد الحصول عليها بطرق علمية وموضوعية مناسبة ومن بين التقنيات أولها .

يجب أن نعترف أن الباحث لا يستطيع فرض منهجية البحث على حقل معين، بل الموضوع الحقل هو من سوف يفرض منطقه، وبالتالي يُمكن القول أن البحث دراسة عن القدسية فضاء أضرحة الصلاح وكراماتهم ومناقبهم وممارسة الطقسية في حضرتها تقوم لا على مجرد الوصف أو الجمع القائم على الضبط والأحكام، بل التحليل في بعض الأطر التصورية، تحليلاً يضع في اعتباره وجود علاقة تفاعل وتأثير متبادل بين الجزء المدروس متمثلاً في أمكنة الصلاح والزاوية والكُل الذي يعتقد فيها ويمارس الطقوس في إطارها الموسمي بحيث يؤدي إلى فهم العلاقة بين الأمكنة المقدسة وممارسة الطقسية وإلى فهم طبيعة عوامل **استمرار حاجة إلى المقدس.**

ولقد فرض عليا البحث في الحقل إلى استخدام، منهج دراسة المجتمع المحلي ومنهج دراسة الحالة بالإضافة إلى مناهج البحث الأنثروبولوجي والمنهج المقارن ولعل الجمع بين هذه المناهج يعمل على جمع الظاهرة ووصفها قد يؤدي إلى الكشف عن المقاربات الحقيقية لجزئيات مشكلة البحث.

وقد قادني المنهج دراسة المجتمع المحلي إلى فهم مدلولات الخصائص الفيزيقية لبيئة المجتمع المحلي ومكان تواجد المقدس من أضرحة الصلاح وحقل الزاوية والحديث عن كرامات الأولياء وإحياء المواسم

[3] . روجيه كايو ،" الانسان و المقدس " مركز دراسات الوحدة العربية 2010 صفحة 31

[4] L'idée c'est la graine, la méthode c'est le sol qui lui fournit les conditions de se développer de prospérer et de donner les meilleurs fruits suivant sa nature

"الوعدة" والتجمعات الأسرية ببسمة خاصة، كما كان لطريقة تنظيم المجتمع المحلي وطريقة الاحتفالات الاجتماعية وتفاعل أفراد المجتمع المحلي معها وتمثُلاتهم الناتجة عن طبيعة إحياء عادة دينية في حقل المقدس وكذا سهولة الاتصال بين الأجيال، كان له أثر في فهم العديد من مدلولات هذه الممارسات الطقسية أمام أضرحة الصلاح وانتشارها الواسع .

كما قادني إلى زيارتي إلى زاوية "الحاج محمد" بعين السخونة ولاية سعيدة وضريح سيد الشيخ بلدية الأبيض سيد الشيخ وهناك أيضاً المدارس وانتشارها في التعليم وحفظ القران الكريم حتى تعليم الإناث إذا علمنا أن اغلب الإناث لا يواصلون الدراسة بعد مرحلة المتوسطة سواء لبُعد الثانوية أو لتقاليد وعادات اجتماعية قديمة متجذرة .

والطريقة الشيخية دوراً هاماً في عمليات إحياء الممارسات الطقسية وديمومتها، كما ساعد هذا المنهج على دراسة مريدي ومقيمي هذه الطقوس، خاصة الوعدة ومكان تواجدهم في حقل الصاليح من أسر وعائلات كاملة من عدة أعراش باعتبارهم هم الوعاء الثقافي الذي يتلقى منه الفرد المعتقدات والعادات و ذلك تبعاً للموقع الاجتماعي والطبقي للأسرة، وقد أدى ذلك إلى الاهتمام بمراكز القوى داخل مريدي وممارسي هذا الاحتفال من خلال عائلاتهم كما أسهم في فهم سمة من سمات شخصية الدينية لشيخ زاوية وقيمته الرمزية والاجتماعية وقداسة الضريح وذلك في إطار المشاركة الاجتماعية بين مختلف مريده في إعادة إحياء الاحتفالات الموسمية في كل سنة .

أما **المنهج المقارن** فقد قادني إلى دراسة المقارنة بين الطقوس والممارسات ودرجة التقديس التي تتم داخل حقل الزاوية وقيمة شيخ الزاوية عند الزوار وبين ما يحدث في حضرة أضرحة الصلاح، مع إحياء المقدس معنويا في فضاء الضريح ، وشكل البناء الهندسي للأضرحة فيما بينهما سواء من الداخل من خلال الزينة والزخرفة أومن الخارج وأثره في نفسية الزوار، ومن خلال هذه الدراسة تستطيع الوصول إلى العوامل التي تؤدي إلى حاجة الإنسان دائما إلى المقدس وإضفاءه في الأمكنة المجاورة للصاليح أو إحيائها بعيدة عنه من خلال ذكر مناقبه وكراماته أمام حضرة مريده .

وقد كان لمنهج دراسة الحالة أثر في وضع الأبعاد التي تم على أساسها اختيار عينة البحث محور الدراسة ومنها البُعد الجيلي في إعادة إحياء الممارسات الماضية والبعد الطبقي حيث لم يقتصر الاعتقاد وممارسة الطقسية على الطبقة الفقيرة والبعد المهني والبعد التعليمي ولم تقتصر الممارسة الطقسية على فئة أمية وعاطلة عن العمل.

كما ساعدني في اختيار مجتمع البحث أو جمع المادة الميدانية من خلال استخدام الوسائل والأدوات المختلفة منها دراسة أثنوغرافية لأمكنة الصلاح ، كما ساهمت الملاحظة والملاحظة المشاركة **أثناء مشاركتي وحضوري كُل احتفالات** "الوعدات"الصلاح أو من خلال زيارتي المتعددة للزاوية على تفهم الكثير من الجوانب العملية الفعلية للممارسة الطقسية والذي كان الاكتفاء بوصفها لن يفيها حقها.

ولقد كانت المقابلات سواء الأولية أو المتعمقة والأحاديث المتنوعة معهم أثر في تعمق معايشتي مع أفراد مجتمع البحث أثناء الممارسة الفعلية أمام المقدس وإحيائه من جديد.

- تقنيات التحقيق:

إن نوعية الموضوع ، موضوع الدراسة يتطلب اختيار المنهج التحليلي الذي هو بالضرورة دراسة أثنوغرافية والذي يفرض إتباع الطريقة الانثربولوجية في البحث الميداني، و على ضوء هذا البحث يمكننا أن نوضح أهم المقاربات السوسيو انثروبولوجية لقدسية الفضاء الديني لأولياء الصالحين.

مع اعتبارنا للاتجاه الوصفي أساساً في هذا التحقيق ، يفرضه علينا فإن طريقة – الملاحظة – المشاركة تعتبر وسيلة موثوقة تماماً في استنطاق الواقع الطقسي لإحياء المقدس.

كما أنني اشعر بفائدة التحقيق شرط أية تجربة كان موضوعها، و ذلك بصفتي عضواً في المجموعة موضوع الدراسة وهذا ما يؤكده بورديو، Bourdieu "على أنه تفحص مشكلة مطروحة في عالم مألوف على أشخاص مألوفين" [5] لأننا أمام مشروع دراسة له ثلاث أبعاد البعد السوسيولوجي انثروبولوجي قريب جداً من البُعد التاريخي والبعد السيكولوجي ويشكل تلاحم الأبعاد أساس معرفة أي واقعة وظاهرة فعلية اجتماعية وثقافية. " نحاول أن نحول تلك العلاقة البدعية العرفية إلى علاقة علمية "كما يقول "بورديو Bourdieu" وذلك بمشاركة كل الأفراد و الجماعات في كل طقوسهم و احتفاليتهم الموسمية.

I الملاحظة L'OBSERVATION

لقد كانت الملاحظة المباشرة والمشاركة هي التقنية الأولى لي من أجل معايشة الظاهرة عن قرب والمشاركة الفعلية في الممارسات الطقسية لإحياء المقدس حيث كانت لي زيارات لأمكنة الصلاح منها **ضريح سيدي الشيخ بولاية البيض** وكذلك **الزاوية "الحاج محمد""بعين السخونة" بسعيدة ، ضريح سيدي خليفة ببلدية الخيثر ولاية البيض** ، وهدف من هذا كله ملاحظة الوقائع الاجتماعية والطقسية عن قرب ومعرفة اثر المقدس من خلال تلك طقوس جماعية وفرادى وذلك من خلال ملاحظة اختلاف سلوك الممارسة الطقسية وتحليل المقدس عند زيارة ضريح الوالي"الحاج محمد" مؤسس الزاوية التي يقودها شيخ الزاوية مع زواره، والزيارات التي تكون بدونه، واختلاف سلوك الزوار في حضرة الشيخ حيث بمجرد أن يلتقي الزائر بالشيخ زاوية حتى تتغير ملامحه وعادة ما يتم التعبير عم احترام الشيخ وتقديس المكان بإظهار الخشوع والرهبة بإضافة إلى تقديم هدية للشيخ. كما كانت لي مشاركة فعلية وملاحظة كل الممارسات الطقسية في فضاء أضرحة أولياء الله الصالحين بهدف العيش مع الطقوس واثر المقدس في النفوس المريدين و إحياء تلك التمثُلات الفردية والجماعية في فضاء أضرحة الصلاح كثقافة مجتمعية وكقيمة اجتماعية وشيخ

5 . د. نورالدين طوالبي " الدين و الطقوس و المتغيرات" 1988 د.م.ج ص 51

الزاوية كرمز ومرجعية دينية. كانت لي مشاركة وملاحظة فعلية لاحتفالات الموسمية في إقليم ولاية البيض التي تبعد عن مدينة سعيدة بـ 200 كلم و هما **وعدتي سيدي خليفة ببلدية الخيثر** ، و**ركب أولاد سيد الشيخ بالأبيض سيد الشيخ** . **بعد توقفها بالسبب جائحة كورونا لمدة ثلاث لسنوات** ،"**وعدة سيدي خليفة**" أين تُقام الوعدة بقرب من الضريح و لمدة 03 أيام في شهر جوان من كل السنة ومريدها من العرش ال خلايفة ويوجد الضريح ببلدية الخيثر حيث يبعد عن مقر بلدية الخيثر بـ 06 كلم ولاية البيض، أما: **ركب أولاد سيدي الشيخ** الذي يراعاه شيخ الزوايا الموحدين بعين السخونة والذي يقع في دائرة الأبيض سيد الشيخ الذي يبعد عن مركز ولاية البيض بـ 100 كلم و يقام هذا الركب في شهر جويلية من كل السنة .

عشت التظاهرات عن القرب كانت تجربة جيدة لمعرفة الطقس مباشرة ومعايشة الممارسات على الواقع من **خلال ملاحظة – المشاركة** وملاحظة كل الظواهر السوسيولوجية في فضاء المقدس والحضور جلسات الذكر والتهليل والتعريف بكرامات "الوالي سيد الشيخ "بدار القرآن"التي أسسها شيخ زاوية عين السخونة في "الأبيض سيد الشيخ" وتقوم بتعليم القرآن، وكانت فرصة لإجراء بعض المقابلات والدردشة مع القائمين عليها ومع الزوار، لمعرفة بعض الممارسات الطقسية من دون القصد أو النية بل ممارسة اعتيادية " **الخوف من المقدس**"بالسلوك أخر أمام الفضاء المقدس.

إتباع المنهجية ملاحظة المشاركة تمنح وتعطي للبحث نوع من القطيعة ابستمولوجية في تحليل المعطيات وابتعاد عن أشياء المبهمة أو الغيبية تحلل الوقائع الحيةً .

كما أن العلاقة بين المقدس والدنيوي تتجسد من خلال الممارسات التنظيمية الطقسية في فضاء الأولياء"الصالحين" وهي تلك التمثُلات من الرمز، والقيم والمعايير وكرامات وحكايات تصل إلى حد الأسطورة لا يمكن تكذيبها لأنك سوف تتعرض إلى عقاب النفسي من قبل المقدس ولا ننسى أن لفترة السوداء التي مرت بها الجزائر من سنة 1993 عرفت انتشار الخطاب اللاغي لطقوس وعدم تصديق وجود أولياء الصالحين وصل الحد إلى هدم العديد من القبب وأضرحة في عدة ولايات الخاصة بالأولياء وتم إلغاء كل الاحتفالات الموسمية وحتى الزيارات توقفت خاصة الفضاء الصاليح خارج التغطية الأمنية آنذاك.

إن التنظيم الطقوس كان يقترب كثيرا من أنه إحياء الماضي بتاريخه وتحويله إلى مجال الدنيوي أو فضاء ثقافي الشعبوي تراعاه السلطات العليا للدولة والتي يدخل في إطار اهتمام الدولة بالمؤسسات التقليدية.حاولت أن احلل هذه الظاهرة ا باقتراب انثروبولوجي واجتماعي هي طريقة إحياء الطقوس الماضي من جل إرضاء المقدس للجلب المنفعة والصلاح والفلاح وذلك بتحويل هذه الطقوس إلى المظاهر المرئية يتحدث عنها الجميع.

الممارسة الطقسية في الفضاء المقدس وفي مجاله سواء المادي أو الروحي ما هو إلا الربط أفكار والتمثلات المجتمع بالمقدس وهو يُمثل إحدى أغنى الرأسمال الثقافي للهوية لهذا الدولة تسعى للحفاظ على

هذه الهوية والشخصية الوطنية بهدف تحسيس الأجيال بانتمائهم، حيث يتم التواصل المعرفي بين مختلف الأجيال عن طريق ممارسة ومشاركتهم الفعلية في احتفالات الموسمية والحضور كل الطقوس، الدولة تسعى لهذا الهدف لكن سوف نجيب على هذا أهمية هذا الإرث الكبير الذي ينتمي إلى الإسلام الشعبي الذي يتهمونه بأنه القائم على الخرافة والأسطورة .

II المقابلة

تستخدم المقابلة كأداة لدراسة سلوك فرد أو أفراد وللحصول على استجابة لموقف معين أو لأسئلة معينة ولملاحظة النتائج المحسوسة للتفاعل الجماعي أو الاجتماعي (د.خير الله عصار ، 1982، ص.72) ، إن من الوظائف التي تقوم بها المقابلة دراسة السلوك "الأفعال والأقوال الصادرة عن الفرد، التوصل إلى تحديد استجابة الفرد إلى موقف أو وضع معين يواجهه، بطرح أسئلة معينة تدور حول نقاط تتصل بموضوع البحث ثم سبر النتائج المتمخضة عن التفاعل الجماعي أو الاجتماعي أو كليهما معاً، هذا ما ينطبق على المقابلة بأنواعها المختلفة بينما "المقابلة المقننة" تقتصر على اختيار إجابات محددة في قائمة تحديد مسبقاً وتعتبر المقابلة المقننة مقابلة علمية في طبيعتها لأنها توفر الضوابط اللازمة التي تسمح بصياغة تعميمات علمية.كما تعتبر المقابلة تقنية تستخدم من أجل البحث فيما وراء الظواهر السوسيولوجية والسيكولوجية الهدف منها دراسة سلوك الأفراد من الأقوال والأفعال.كانت بداية بالمقابلات الأولية Pré hoquète مع حضور الذين يأتون للزيارات سواء الزوايا أو أثناء المواسم التنظيمية للو عدة، قمت بتعديل دليل المقابلة والاعتماد على أسئلة استدلالية ومدروسة بدقة تصب كلها في موضوع البحث، والتخلي عن الأسئلة التي ليس لها علاقة بالإشكالية والفرضيات.

وقد قمت باختيار عينة من 48 زائر، 18 منهم داخل زاوية "الحاج محمد بعين السخونة" صعب مقابلة الفئة النساء ، حيث كانت استمارة المقابلة مكونة من خمس محاور كبرى وكل محور يحتوى على أسئلة استدلالية نسبياً مفتوحة من أجل ترك للمبحوث حرية الكلام وبعضها مغلوق حتى لا يخرج المبحوث عن الموضوع.

كان الغرض من استعمال تقنية – المقابلة فهم بدقة وبأسلوب علمي سلوك الفرد بصفة عامة.

المقابلة الجماعية

كما كانت لي مقابلتين "جماعية"واحدة منها كانت في حضرة شيخ الزاوية "الحاج حمو الطيب" وكان عدد الحضور 18 زوار كلهم ذكور، بحيث يختلف سلوك الزوار في حضرته من إظهار الرهبة والخشوع والاحترام ببركة المقدس وكراماته أمامه مما يوجه الخطاب المقابلة في اتجاه واحد عكس المقابلة الفردية، أما

المقابلة الأخرى كانت جماعية تضم أكثر من ثلاثة أفراد كلهم من عائلة واحدة، وكثيراً ما كنت أواجه صعوبات في التحكم في سير المقابلة بسبب اعتماد رأي الجماعة على كلام المتحدث وعادة ما يكون في غالب أكبرهم سناً،وما على الباقي سوى هز الرأس تعبيراً على الموافقة على كلامه وذلك برسوخ التمثُلات الاجتماعية والنفسية لـلأولياء وكراماتهم حاضرة وفاعلة واعتبار الممارسات الطقسية جزءاً من الدين، قد اعتمدت من أجل التحكم جيداً للمقابلة الجماعية على طريقة منهجية (روجي مشلي Roger MUCCHIELLI"،1980، ص. 46-50)، حيث يقدم توجيهات تقنية عالية من أجل تحكم في سير المقابلة و بالمحافظة على التوازن داخل الجماعة.

كما أن المتحدث أثناء المقابلة الجماعية كان يُعبر عن تمثلات جماعية، وكأنه يدافع على القيم المجتمعية، بحيث يعبر من خلال إجاباته على التمسك بالعادات والدفاع عنها ضد خطاب الفقهي المناوئ و الرافض للتبرك و التوسل بالأضرحة .

كما استعملت هذه التقنية – "المقابلة " لإجابة على عدة أسئلة تخص الموضوع البحث بصفة عامة مع:

- ✓ شيخ الزاوية " الحاج محمد" بعين السخونة "بسعيدة"
- ✓ مقدم" الوالي سيدي خليفة" بالخيثر "ولاية البيض.

المنهج الوصفي

إن منهجية الموضوع تفرض على الباحث إتباع المنهج الوصفي لوصف الفضاء المراد دراسته وهي دراسة منوغرافية وصفية لـلأمكنة التي يحيي فيها المقدس من جديد أو أمكنة إضفاء القداسة عليها في فضاء الصاليح وهي الظواهر السوسيو انثروبوجية المرافقة لها.

قمت بتحليل منوغرافية أمكنة ممارسة الطقوس والظواهر الاجتماعية التي ترافق الحدث و بعض المشاهد التي تحدث أثناء الممارسة الطقسية سواء داخل الضريح أو بمحيط حقل المقدس ، ومنوغرافية الأمكنة شملت كُل الاحتفالات التي تم ملاحظتها و المشاركة فيها و هي :

1. زاوية الحاج محمد بعين السخونة ولاية سعيدة
2. مكان احتفال الموسمي "بوعدة سيدي خليفة" بالخيثر ولاية البيض
3. مكان تجمع ركب أولاد سيد الشيخ ببلدية الأبيض سيد الشيخ ولاية البيض

المنهج التحليلي

إن كل المعطيات التي لاحظ ها والمقابلات الغير مباشرة التي تم إجرائها تتطلب انتهاج المنهج التحليلي إذ أن نوعية موضوع الدراسة يتطلب اختيار المنهج التحليلي الذي تفرضه بالضرورة دراسة أثنوغرافية، والذي يفرض إتباع الطريقة الانثروبولوجية في البحث الميداني وعلى ضوء هذا البحث يمكننا أن نوضح أهم الأبعاد السوسيو ا ثروبوجيا المؤثرة على ظاهرة إعادة إضفاء صفة القداسة على فضاءات

والأمكنة المادية والروحية من أجل السعادة والراحة النفسية والعلاج وإرضاء الذات و التي تأخذ في غالب طابع الديني أثناء الممارسة.

تحليل الممارسات الطقسية في فضاء المقدس:

أثناء مشاركتي للاحتفالات الموسمية قمت بتسجيل بعض الأفعال اليومية للطقوس في فضاء"**المقدس**"سواء الضريح "الحاج محمد بزاوية، أضرحة وفضاءات الصالح ووعدة سيدي خليفة، وركب سيد الشيخ بالبيض حاولت التركيز على النقاط المهمة والتي لها علاقة مباشرة بموضوع البحث طريقة إظهار صور الحية الهدف منها إحياء " **التمثُلات القدسية في فضاء الصالح** "وما يجلبه إحياء المقدس لصاحبه وللعامة وأمكنة المقدسة تشهد حضور قياسي للناس لكل من وعدة سيدي خليفة وركب سيد الشيخ بالبيض التي تعتبر من اكبر التظاهرات الموسمية في ولاية البيض تحليل كل الممارسات والظواهر الاجتماعية من الفرق الفلكلورية وفرق عيساوة وتجار ... ثم نتطرق إلى التفرقة بين الأضرحة فيما بينها وبين الأضرحة والزاوية من شكل الهندسي للبناء ، والزينة والزخرفة إلى الممارسات بينهما.

تحليل الأمكنة المقدسة في حقل "الزاوية و الأضرحة"

كان من البديهي أن القُدسيّة الأضرحة تتم إثر إسقاط عليها فكر روحي قدسي وبالتالي يعتبر ذلك الضريح أو المكان نقطة الوصل مع السماء مع الله واسطة وعن طريقه تُجلب البركة والشفاء ، وحوله تتكثف القداسّة وتصبح زيارة المكان واجب على كل زائر ومحببة إليهم هذا بصفة عامة ما وصلت إليه من خلال هذه التجربة الحية لهذه الأماكن منها "خلوة شيخ الزاوية الحاج محمد التي حفرها وأنجزها سنة **1946** تحت الأرض إذ تعتبر من الحفريات المكان هادئ ومريح حيث يعتبر مقدس .

1. واختلاف في طريقة الاستقبال وتقديم الطعام وتأدية الذكر بحضور جماعي بين ما عُشتُه خلال إقامتي داخل الزاوية ، وما لاحظته في مواسم "الوعدة " أمام أضرحة الصلاح.
2. كما أن اختلاف الخيال الجماعي والذاكرة الجماعية، والخيال الفردي الذي هو نتاج نسيج من الأفكار الذي يعطي الديمومة والاستمرارية في الهوية الصوفية الجماعية تُكون مع التاريخية بين الزاوية، والأضرحة كما للقصص والأساطير وكرامات الأولياء كلها عوامل لاستمرارية حاجة الإنسان إلى المقدس في حياته، تعبر عن قيم وتمثُلات رمزية.
3. إن اختلاف طريقة الممارسة الطقسية سواء داخل ضريح الزاوية أو أضرحة الصلاح لا يشكل أي خرق بل هو طريقة خاصة لكل واحد في إحياء المقدس وإضفاء القداسة على فضاءات الصالح حسب ميوله الشخصية وما تعود عليه من إرث لآبائه و أجداده وهذا ما يمثل تمثُل في حد ذاته.

قمت بتحليل هذه المعطيات قصد معرفة حاجة الإنسان إلى التقديس والمقدس وما تعكسه الممارسة الطقسية في حياته ومكانة هذه الأمكنة والفضاءات لدى العامة .

اختيار العينة و خصائصها :

الحقل المنوغرافي

تم دراسة الفضاء المكاني سواء حقل الزاوية وما جوارها أو أضرحة الصلاح وكل ما له علاقة بإحياء المقدس وأمكنة المباركة حسب تمثلات الزوار، ووصف المنطقة المدروسة بالدقة بدءاً بزاوية الحاج محمد بعين السخونة التي تبعد عن ولاية سعيدة بـ 90 كلم وشهرتها معروفة ودراسة وصفية منوغرافية لكل المعالم الجغرافية للأمكنة وجود أضرحة الصلاح التي تم دراستها وملاحظة مشاركة في احتفالاتها منها:

1. احتفال بوعدة " **والي سيدي خليفة** " الذي يقع ببلدية الخيثر ولاية البيض الذي يقع في منطقة شبه صحراوية في سهل رملي بجانب بركة مياه ، ومنطقة مخضرة.
2. احتفال بوعدة "**والي سيد الشيخ**" ببلدية الأبيض سيد الشيخ ، ولاية البيض الذي يقع في وسط المدينة حوله بستان من النخيل .

المجال البشري للدراسة

إن اختيار العينة كان عشوائي حسب ظروف زيارة الزوار سواء في زاوية "الحاج محمد" بعين السخونة، حيث أنها تمثل مميزات مريدي هذه الأمكنة المقدسة وتتوفر فيها كُل معطيات الموضوع البحث. أما العينة التي تم اختيارها أثناء إحياء مواسم "الصلاح" أي "الوعدة" فإنها تمثل بالفعل الفئة الفعلية الممارسة للطقوس التي لها علاقة وطيدة بنتائج البحث.

تشمل عينة البحث على 48 ثمانية وأربعون مبحوثاً وهم: 18 ثمانية عشر مقابلات من زوار زاوية الحاج محمد بعين السخونة، كلها مع فئة " **الذكور**"كلهم تتوفر فيهم الشروط المرتبطة موضوع البحث من حيث إحياء بركة المقدس. أما 30 ثلاثون مبحوثاً المتبقية فئة ذكور من زوار وممارسي الوعدة أمام أضرحة الصلاح منهم 13 من زوار "وعدة سيدي خليفة" و 17 من زوار "ركب أولاد سيد الشيخ" .

- **متغير السن**

السـنـ	الرجال	النساء	المجموع
من 30 سنة إلى 44	14	00	14
من 45 سنة إلى 55	19	00	19
من 56 و ما فـوق	15	00	15
المـجموع	48	00	15

- **متغير إقامة الأصلية**

الإقامة الأصلية	الرجال	النساء	المجموع
الريـف	21	00	21

المدينـــــة	27	00	27
المـــــــجموع	48	00	48

- **متغير المستوى التعليمي و الثقافي**

المستوى التعليم	الرجال	النساء	المجموع
الأمية	09	00	09
الابتدائي	04	00	04
المتوسط	12	00	12
الثانوي	17	00	17
الجامعي	03	00	03
تعليم التقليدي الزاوية	03	00	03
المـــــــجموع	48	00	48

أهمية الدراسة

إن أي دراسة أكاديمية لها أهميتها، التي يسعى الباحث من ورائها التوصل إلى نتائج حول تساؤلاته وذلك باستخدام كل طرق البحث العلمي وبموضوعية، إذ أن هدف البحث العلمي في علم الاجتماع هو سعي إلى تحقيق هدفين **أولهما نظري** ومن خلاله التعرف على طبيعة الحقائق الاجتماعية والنظم وأسباب المتسببة في وجود واستمرار هذه الظاهرة، التي تُعبر عن الحاجة النفسية واجتماعية أكثر من أنها رغبة لتحقيق أماني إن إحياء وإضفاء صفة القداسة على الفضاء روحي أو مادي ماهو إلا تعبير عن التمثُلات الرمزية من الماضي يُراد تجديدها في الحاضر وهذا ما يُعبر عنه بالمقدس والحداثة.

كما **تكمن أهمية** الدراسة في معرفة أحد الظواهر الاجتماعية أكثر انتشارا في العالم بالواقعية تتمثل في لإحياء ظواهر سوسيو اجتماعية وثقافية ميدانية للسلوكيات الأفراد وتأثيرها على الآخرين ويتضح هدف الرئيسي هو توضيح ما يتعارض مع المقدس ما يقابله بالمدنس إذ يقول دوركايم المقدس بأنه ما تعارض مع المدنس ونفس التعريف عند أ دوما H.Dumas إنه ما يتعارض مع المدنس وبذلك يتم التعريف

بالتعارض مع المدنس"[6] سوف نوضح من خلال هذه الدراسة أهمية حاج ة الإنسان إلى المقدس مع الأخذ بالدراسات الميدانية من أجل الفهم العقلاني لإحيائه في كل الظروف وما ينتج عنه من سلامة الضمير وراحة النفس، كما سوف تتضح أهمية المواسم من الوعدة و جماعات الذكر والزيارات و الحاجة إلى التوسل والتبرك بأضرحة الصالحين في استقرار الأمن النفسي و الاجتماعي للمجتمع.

تحديد المفاهيم الأساسية

المقدس Le Sacré: يصعب إيجاد مفهوم خاص به لا يختلف كثيرا عن مفهوم الدين من ناحية الصعوبة فالمقدس من أكثر المواضيع غموضا راجع إلى تعدد المقدسات وتنوعها وغموضه أطال حتى الأبحاث التي تناولته. كلمة "**المقدس**"هي مفهوم، كلمة اللاتينية "سكريوم" تعني العظمة في الجانب الأسفل للظهر المهد لإله "كتضحية"، و **الفعل اللاتيني** " Sanscire" للسلالة تعني بالتحديد النوع المقدس الديني موضوعه مخصص للإله ، وهو بعيد عن العالم العادي للإنسان أي فوق–الطبيعة "الألوهية" .هو ذلك الخوف الذي ينتاب الإنسان أمام المجهول مذهل والذي يفوق قدرته حيث يسكن الإنسان قوة الغيبية مما تجعله خاضع لهذه القوة. Hachette Multimedia 2005 . المقدس يقابله المدنس عند بعض الباحثين، بينما عند البعض يقابله الدنيوي أي كل ما هو مقدس يرتبط بالعالم الدين وممنوع ، بينما الدنيوي كل ما هو مسموح به.

إضفاء صفة القداسة :من أجل إيجاد أجوبة على ما يعيشه الإنسان في حياته اليومية خاصة الغامضة والمبهمة يلجأ الإنسان إلى إحياء وإضفاء صفة التقديس على أمكنة أو على غيبيات في صورة إحيائية تمثل ذلك فاصل زمني بين الأجيال في عدة ثقافات محلية يكون مقترن بالممارسات الطقسية تقام في فضاء الصاليح " **المقدس**"الذي يشكل على وجه الخصوص أحد عوامل استمرارية إضفاء الصفة القداسة ونعتبر الثروة الثقافية للجماعات المحلية وهذا ما أكده **د.نورالدين طوالبي** في دراسته حول أسباب استمرار الطقوس بقوله"إذ بواسطة عملية ثقافية طقسية جادة واجتماعية يتم جزئياً إحياء التقاليد المهددة بالفناء. (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص16).

الفضاء القدسي:هو كل ما يحمله المريد من التمثلات حول شخصية وكرامة الصاليح وضريحه عن طريق الممارسة الطقوس التنظيمية جادة سواء في أمكنة الفضاء المقدس أو في بيته وبعيد عنه ويكون بإحياء ذكره ونيته له. يكون مادي ومعنوي **حاجة الإنسان إلى المقدس** الإنسان بحاجة إلى الدين والمقدس من الدين، إذن دائما ما يشعر الإنسان بحاجة إلى المقدس، الإنسان منذ نزوله إلى الأرض عرف الدين وهو

6 . مرسيا الياد" المقدس و العادي دار التنوير بيروت 2009

حقيقة أصيلة في طبيعته ولن يستغني عنه فكذلك المقدس هو فطري في الإنسان لن يستطيع أن يستغني عنه فهو يبدل أقصى ما عنده في سبيل المقدس.

ضريح أولياء أو الولي الصالح : فهي جمع ضريح ، والضريح هو الشق وسط القبر وتعارف الناس عليه إذا دفن فيه شخص له قيمة دينية أو غيرها من القيم التي تحتل من نفوس الناس مكانة كبيرة ، واتخذت الأضرحة شكلا معينا من البناء تعلوه قبة تفنن الناس في شكلها وفى زخرفتها ، وتمثل زيارة الأضرحة جزءا من الثقافة الشعبية في بلادنا وهي ثقافة عمرها مئات السنين.

الطقس Le Rite: بالفرنسية " Rite" تعني احترام قوانين كونية، يأخذ بُعد ديني في غالب أثناء الممارسة الفعلية، بمعنى تربطه علاقة قوة أي أن الممارسة الطقوسية هي التي تقوم بهذا الفعل والطقوسية Rituals كلمة لاتينية هندوسية- أوربية تتعلق بالاحتفالات المرتبطة بأحداث مقدسة والتي تجري بفاعلية على الواقع على هيئة حياة مسرحية وتتعلق أيضاً بطقوس التحولات من حالة إلى حالة على مستوى الفرد أو الجماعة: مثل الزفاف، تسمية مولود ، الختان البلوغ الوعدات، النجاح ، الموت طقوس تعتبر تكريس التي تجعل من بعض الأفراد خداماً للمقدس"مثل المريدين وطقوس العبادات و طقوس التراتبية الاجتماعية . Hachette Multimédia 2005

التمثل Représentation: كلمة التمثُل في قاموس الفرنسي " Petit Robert"هي : Représenter أي فعل "مثل"، تُعرف بعدة تعريفات منها : إحضار، عرض ، مثول أمام العين ، تقديم موضوع أو مفهوم غائب عن الذهن بإثارة صورته، كي تظهر بواسطة موضوع آخر يشبهه أو يماثله نستخلص من هذه التحديدات اللغوية السابقة أن مفهوم التمثُل : عملية تتضمن استحضار صورة موضوع غائب إلى الذهن وهذا المعنى يقترب جداً من مختلف المعاني المعطاة لهذا المفهوم داخل كل التخصصات.

خلاصة:

يقول "د. مولاي الحاج مراد" في مداخلته " وقائع ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر" أن التحقيق الميداني إحدى التقنيات والمقاربات التي ساعدت على تطور الانثروبولوجيا في أمريكا فالأعمال التي قام بها " F. Boas 1858-1942"، الذي يعد سيد الملاحظة المباشرة والمؤسس للأنثروبولوجيا الأمريكية تتخلص في دراسته لمجتمعات الأسكيمو والهنود في الشمال الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية وبالتالي استطاع من خلال هذه التحقيقات والدراسات الميدانية أن يؤسس مرحلة جديدة من البحث والتي تتمثل في القيام بالدراسات المنوغرافية الكبيرة والتي أثرت فيما بعد على البحوث التي أنجزت من طرف **مالينوفسكي** في جزر " **التروبريند**" وقد أكد F. Boas" أن كل ثقافة تعد ظاهرة فريدة وخاصة ، أما في فرنسا فقد استطاع ".Mauss M "ورغم غياب أعمال ميدانية حقيقة أن يكون جيلاً من الباحثين وأستطاع أن يعطي مفهوماً جديداً للظاهرة الاجتماعية على أنها ظاهرة ترتبط بظواهر أخرى ضمن نظام معين معتبراً

الحياة الاجتماعية نظاماً من العلاقات حيث أن كل جزء من أجزائه مرتبط ضمن كل متكامل."ملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟" تيميمون 22-23-24 نوفمبر 1999 .

الفصل الأول
الدراسات النظرية ذات العلاقة

تمهيد الفصل

جاءت كلمة الدين في المعاجم اللغة تدل على معنى واحد هو لزوم الانقياد أما اصطلاحا فقد اختلف العلماء في ذلك، الدين ذلك المفهوم الصعب، عبر تاريخ أرتبط الدين بالفكر الإنساني من يقول أن الأسطورة صنعت الدين، كشف لنا التاريخ أن العديد من الطقوس الدينية كانت من ابتكار الإنسان من أجل تحقيق الأمان والراحة والحماية، وذلك ما يسمى بالاعتقاد في وجود قوى غيبية قادرة على جلب الخير والنفع ودفع الشر والحماية من المصائب والأعاصير وغضب الطبيعة، أي ارتباط بالإلوهية.

تاريخ أوربا في القرن الوسيط يشرح لنا تلك الجدلية التي كانت قائمة بين السلطة الروحية في اليد الكنيسة والسلطة الزمنية في اليد الملك، وكيف كان رجال الدين يسيطرون على أوربا كلها وقد لعبت الأسطورة دور بارز في استمرار سلطة الروحية للرجال الدين والكهنة.

الدين: هو الاعتقاد الإنسان في قوة تفوق قوته، وترتبط بفكرة الألوهية، والأخلاق.

المبحث الأول: الدراسات النظرية حول ظاهرة الدين

I. **الظاهرة الدينية :** جاءت كلمة الدين في المعاجم اللغة تدل على معنى واحد هو لزوم الانقياد أما اصطلاحا فقد اختلف العلماء في ذلك، الدين ذلك المفهوم الصعب، عبر التاريخ أرتبط الدين بالفكر الإنساني هناك من يقول أن الأسطورة صنعت الدين، كشف لنا التاريخ أن العديد من الطقوس الدينية كانت من ابتكار الإنسان من أجل تحقيق الأمان والراحة والحماية ، وذلك ما يسمى بالاعتقاد في وجود قوى غيبية قادرة على جلب الخير والنفع ودفع الشر والحماية من المصائب والأعاصير وغضب الطبيعة أي الارتباط بالإلوهية.

تاريخ أوربا في القرن الوسيط يشرح لنا تلك الجدلية التي كانت قائمة بين السلطة الروحية في اليد الكنيسة و السلطة الزمنية في اليد الملك، وكيف كان رجال الدين يسيطرون على أوربا كلها وقد لعبت الأسطورة دور بارز في استمرار سلطة الروحية للرجال الدين والكهنة

الدين: هو الاعتقاد الإنسان في قوة تفوق قوته، وترتبط بفكرة الألوهية، والأخلاق.

I.1.تعريف الدين

- ✓ جاءت كلمة الدين " **مفردة**" في جميع الشرائع السماوية مما يعني أن الدين واحد، لا تختلف عليه في الإسلام لكن في الشرائع السماوية فيه اختلاف كبير.
- ✓ جاءت في معاجم العربية ولسان العرب والقاموس المحيط الدين أنه " **الإسلام** " هو الجزاء هو يوم الحساب هو التوحيد الورع آخرة ، الإكراه، الملة ، المعصية ... لسان العرب [1]
- ✓ **الدين** كلمة يفهمها العامة على أساس مصدرها الإلهي، أي ما جاءت به الكتب السماوية منذ بداية الخلق. و يذكرنا التاريخ كيف ابتكر الإنسان الأول شئ أعتنقه وألهمه صفة الديانة والقداسة من أجل راحة النفسية وتفسير العديد من الكوارث الطبيعة، وفي هذا الصدد يرى فيورباخ " **الدين نسبة إلى الديانة إلى غريزة تدفعنا نحو السعادة**".

إن الفطرة هي التي ألزمت الإنسان بالتدين، وهذا ما يبنه التاريخ، وقد أثبت علماء الأديان مع اختلافهم مللهم متفقون على طبع الإنسان للعقيدة الدينية، لكن يبقوا دائماً مختلفين في الباعث للعقيدة الدينية. إن دراسة الدين تكمن في إحدى وجهتي أحدهما وجهة النظر الاعتقادية، والثانية وجهة النظر العلمية والتاريخية، يقول:"فان در لوو Vander leeuw "إن ما وموضوع في نظر الدين يصبح هو المحمول في دراسة علم الأديان،فالله هو الذي يعمل في نظر الدين بالنسبة إلى الإنسان، أما العلم فإنه لا يعرف إلا عمل الإنسان بالنسبة إلى الله وإن العلم ليعجز عن الكلام على عمل الله" (المستشرق جيب ، ترجمة د.عادل العو، علم الأديان و بُنية الفكر الإسلامي، 1977، ص19)

1 . ابن منظور " لسان العرب" دار النشر العربية بيروت 1996 ص 1466

"**فريدريك شلاير ماخر** " Schleiermacher Friedrich "عرف الدين في نهايات القرن الثامن عشر بأنه "الشعور بالاعتماد المطلق "العجز المطلق".(د. شلحت يوسف ،2003 ص 14)

يعترف مفكرين أنه لا يوجد للدين تعريف واضح وثابت بل هناك عدة مفاهيم له تختلف جميعها لأن الدين يخضع إلى الإيمان الشخص وبالتالي هو من يضع له تعريف شامل ومن مستحيل إرضاء جميع الناس.

- ✓ **مفهوم الدين في اللغة الانجليزية** : الدين في قاموس "أكسفورد" "يعني الربط معاً، أي ربط البشر بالآلهة"[1]
- ✓ **مفهوم الدين اصطلاحاً** : إن إضافة كلمة "الدين" لأي طائفة قومية أو الشعب سوف يُغير في معنى كلياتاً مثال قول في المادة الثالثة من دستور الجزائري "الإسلام دين الأمة" بذلك نكون أمام " إختيار فعلي للمعتقد " لكن جمع بين الدين و الأمة هو في الأخير "مجموعة المعتقدات والمبادئ التي تؤمن بها تلك الأمة أو الشعب أو طائفة" [2]

أولاً: التعريفات عند علماء الغرب:

- ❖ ويقول "**إميل دوركهايم**" "عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي": "هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتُحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في معنوية واحدة تدعى كنيسة". (Durkheim. E1912, 1990 P14)
- ❖ ويقول "**ماكس موللر**" "الدين هو السعي إلى إدراك مالا يدركه الإدراك، والتعبير عما لا سبيل للتعبير عنه، والجنوح إلى اللامتناهي ..وهو حب الله تعالى".(قباري اسماعيل ،1969 ص 587)
- ❖ و يقول "**ماكس فيبر**" أن الدين عامل من عوامل تغير الظاهرة الاقتصادية، وذلك رداً على كارل ماركس، من أجل أن يثبت أن تفاعل كل من الاقتصاد والأخلاق والدين يكون ظاهرة الدينية. (قباري اسماعيل ،1969 ص 588) ويؤمن بوجود ظواهر اجتماعية وليس الدين"
- ❖ يقول "**جيمس فريزر**" "عالم أنثروبولوجي بريطاني": "إن صياغة تعريف واحد من شأنه إرضاء كل الآراء المتصارعة حول الدين هو أمر غير ممكن التحقيق، من هنا فإن كل ما يستطيعه الباحث هو أن يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة الدين، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذي حدده لها منذ البداية"، ويرى أن الدين هو استرضاء القوى التي يعتقد أنها تتعالى على الإنسان والتي يُعتقد أنها تدبر مجرى الطبيعة وتوجه حياة البشر(قباري اسماعيل ،1969 ص 588)

---

1 . د.أ.م " مفهوم الدين " www.al.islam.com .

2 . نفس مرجع

يرى كثير من علماء أن التعريفات الغربية "للدين" غير محددة وغير واقعية وبعيدة عن واقع فكثير من تناولها من جانب الأيديولوجي مثل **مدرسة ماركسية** بقول الدين أفيون الشعوب، و منهم من وظفه من زاوية سلبية مثل **وفير ودوركهايم** ، ومنهم من تجاهل الجوانب الايجابية ومدهش أن بعض تعاريف تجاهلت كلية فكرة الألوهية، بعضها اتسم بالفلسفة المجردة، والبعض الآخر افتقر إلى الدقة الكافية والموضوعية وبعضهم لا يرى على إطلاق وجود شئ أسمه الدين.

ثانياً: تعريفات الدين عند علماء المسلمين:

- يعتبر المفكر المرحوم "**مالك بن نبي**" من المفكرين الأوائل الذين درسوا الظاهرة القرآنية وأوضح أن الدين في ضوء القرآن يبدو ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة وتتحكم في تطورها ولذا فإن الدين يبدو وكأنه مطبوع في نظام الكوني قانوناً خاصاً بالفكر الذي يطوف في مدرات مختلفة من الإسلام الموحّد، إلى أحط الوثنيات البدائية حول مركز واحد، بخطف الأبصار وهو حافل بالأسرار إلى الأبد (مالك بن نبي ،الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين 1985 ص 300

ويلخص "أ.مالك بن نبي" إلى أن الظاهرة النبوية أو الظاهرة القرآنية تصفان الدين في سجل الأحداث الكونية بجانب القوانين الطبيعية ولذا فإن المرء كلما أوغل في الماضي التاريخي للإنسان، في الأحقاب الزاهرة لحضارته ،أو في المراحل البدائية لتطوره الاجتماعي فإنه يجد تطوراً من الفكرة الدينية" (المستشرق جيب ، ترجمة د.عادل العو، ، علم الأديان و بُنية الفكر الإسلامي، 1977، ص43

يرى علماء المسلمين الدين من خلال الدين نفسه، حيث يبقى الدين كما جاءت به الكتب السماوية من أدم إلى أخر الأنبياء، و عرفوه كما جاء في الشريعة:

ويعرفه "الدكتور سلمان بن فهد العودة" بأنه حُدد في أربعة أركان أساسية :

- : السلطة العليا ذات الحاكمية، وهي في الإسلام سلطة الله تعالى.
- : الطاعة والإذعان لتلك السلطة.
- : مجموعة النظم العقدية والفكرية والتشريعات العملية المندرجة تحت حكم تلك السلطة العليا.
- : الجزاء المتحصل لإتباع هذا الدين، والمخاطبين به على مدى قبولهم وإخلاصهم له أو تمردهم عليه.

وقد يُنظر إلى الدين أنه" العلاقة بين الإنسان وربه والتي عن طريقها تنتظم حياته في دنياه وآخرته" وتكاد تُجمع التعريفات التي أوردها الباحث لمصطلح الدين على ثلاث قواعد مشتركة هي: شعور الناس بوجود قوة أعظم منهم شأناً، وغير مسخرة لهم.

- اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة.
- سعي الناس إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة

❖ و هنا يظهر الفرق بين مفهوم الدين لدى علماء المسلمين وبين علماء الغرب التي تبقى نظرتهم ضيقة وتخضع دائماً للدوافع شخصية وذاتية، بينما لدى علماء المسلمين من منطلقات فعلية ومن شرائع السماوية.ويعرف الدين الصحيح الذي تم تشريعه من الله بـ " أهل الملل" و الأديان الباطلة "أهل النحل". [1]

II. نظريات حول الدين :

جُل دراسات حول الدين ترى ارتباطه بالأسطورة وبالثقافات الشعبية، وتبين الأبحاث أن الدين كان موجود منذ بداية الوجود، وله دور كبير في الفكر وفي تطور المجتمع ولا يمكن أن نذكر أي حضارة دون ذكر دياناتها. وسوف نتطرق لبعض نظريات نشوء الأديان منها:

II.1.نظرية تايلور وفريزر : مركزية وجود الروح

يعتبر الباحثان "**تايلور وفريزر**" من أوائل الذين بحثوا في دراسة ظاهره نشوء الأديان ويعرفان "الدين على انه اعتقاد مركزي بوجود الروح منفصلة عن المادة ولذا فهو أي الدين عبارة عن محاوله تنظيم قوانين هذا الاعتقاد" .وسبب وجود الأديان هو محاوله الإنسان لفهم ما حوله وان يحاول وضع تلك التصورات بطريقه منطقيه تساعده على أن يفهم أسباب حدوث الأشياء حوله. (ن.ن. نظريات نشوء الأديان، حوار الأديان ، أوت 2007 . www.alhwar.org) بهذا المفاهيم لم نتوصل إلى الفهم لظاهرة وسبب نشؤها لكن تصلنا إلى الأبعاد الاجتماعية للأديان

II.2.نظرية أيميل دوركهايم : الدين كأداة للتنظيم الاجتماعي

يميل "**دوركهايم**" إلى الاعتقاد "بأن الدين عبارة عن منظومة من المعتقدات والممارسات التي تنسب إلى ماهو مقدس"، هذا المقدس والذي يوضع بشكل يبدو به وكأنه فوق المجتمع رغما عن أن هذا المقدس المزعوم بما يحمله من أوامر وعبادات ماهو إلا "عملية تعبير رمزية عن حقائق وممارسات اجتماعية قائمة ومعمول بها وبدون هذه الممارسات والحقائق الاجتماعية الموجودة والمعمول بها والراسخة في الذهنية الجمعية للمجتمعات تكون هذه البداية بدون معنى". (Durkheim. E 1912,1990 P13)

II.3. نظرية كارل ماركس : الدين أفيون الشعوب

المدرسة الماركسية تنفي وتتنكر للدراسات تاريخ الأديان، وتلجأ إلى دراسة الأديان دراسة علمية مقارنة لتبرهن على بطلان ما تدرسه، وتؤكد أن الدين أفيون الشعوب، والماركسية ترفض في الحق أن تكون للتدين صفة نوعية مميزة ما دام الحادث الديني ذاته بُنية فوقية يفسر في نظرها بالعامل الاقتصادي أولاً والعامل السياسي والاجتماعي ثانياً (المستشرق جيب،ترجمة د.عادل العو، علم الأديان وبُنية الفكر الإسلامي1977، ص21)

1 . سليمان بن فهد العودة " الدين في الاصطلاح الإسلامي" موسوعة الإسلامية إصدار الثاني "قرص مضغوط

ويقول "**ماركس**" أن الدين ماهو إلا انعكاس "بناء فوقي للعالم المعاش" يقول "ماركس" أن الهدف من الدين هو إبقاء الوضع الاجتماعي كما هو عليه ويسمح الدين للطبقات الحاكمة باسم هذا الدين من أن تعرقل أي محاولة لتغيير القوانين التي تضمن استمرار استغلال الشعوب والطبقات الكادحة وقمع أي محاولة تغيير". (ماركس – إنجلز : "حول الدين" – نقله إلى العربية – دار الطليعة– 1974)

II.4. نظرية مارسيا ايلياد : الدين كتركيز على المقدس

يعتبر العلامة الروماني الأصل " مارسيا إلياد" في مؤلفه الكبير "كتاب الأديان " الذي نشر في باريس (فرنسا) سنة 1949 وتناول فيه تحول صور المقدس والسماء الشعائر والرموز السماوية، والشمس وعبادتها والقمر والتصوف القمري والمياه والأديار المقدسة، والأرض، والمرأة والخصب ،والنبات ، والزمان المقدس والأسطورة ، والعود الأبدي ووظيفة الأساطير وبُنية الرموز... (المستشرق جيب، ترجمة د.عادل العو، ، علم الأديان و بُنية الفكر الإسلامي، 1977، ص23،يتناول الدين في كتابه " Traité de l'histoire des religions " وهما المقدس والرمز والأسطورة والطقس. وفي دراسته للظاهرة الدينية البدائية "يركز على نوعين من مفهومين بين المقدس والدنيوي.إن مفتاح فهم "ايلياد" للدين يتركز على محورين المقدس أو السماوي والأرضي أي النبوي ويقول"ايلياد" إن الدين وبدرجة رئيسية هو الإيمان بقوى ما فوق الطبيعة وهي المحور المركزي لكل ما يعتبر مقدسا في الأديان، و **ايلياد**" لا يحاول أن يفسر الدين ويرفض في نفس الوقت ما يعتبره تلخيصا مبتسرا من بعض النظريات الأخرى ويركز على ما يعتبره أشكال من الفهم تتجاوز الزمن وهذه الأفكار ثابتة وتعيد نفسها في كل الأديان وبطريقته هذه ف ان "**ايلياد**" يستبعد البُعد التاريخي لهذه الأفكار ويرفضها على أنها ليست بذات أهمية.(Eliade. M.1964 P.37-40، ترجمة عبدالهادي عباس المحامي)

II.5.نظرية "ماكس وبر" مذهب التكامل

من بين الأوائل الذي أقاموا للعلم الاجتماع الديني أعمدة، وما يؤكده في كل بحوثه عقلانية وهي الفكرة مثلت منذ بداية أسس الفكر الغربي يتكلم فيبر عن " **عقلنة الحياة**" وأهتم أكثر بوضع المجتمع والثقافة الأوربية الكلاسيكية، تكلم كثيراً عن البيروقراطية التي تعني تنظيم وليس كما هو مفهوم لدى العامة بسلطة الإدارة وأعتمد على فكرة المركزية في السياسية التي جاء بها والتي بموجبها تعتمد القوانين والشعائر بدلا من التقاليد والمسائل العاطفية..((ن.ن. نظريات نشوء الأديان، حوار الأديان ، أوت 2007 . www.alhwar.org)،يعتقد " بأن العقل والحرية تحمل آثارا خطيرة وأن البيروقراطية الحديثة تعتبر" تعدي وتجلي واقعي للعقلانية العملية، وتمثل العقلنة أحد ركائز التي يعتمد عليها "وبر" في دراسة علم الاجتماع الديني.أوضحت المدرسة الاجتماعية الفرنسية أن أصل الحوادث الدينية يرجع إلى اتضاح العلاقات الاجتماعية.المستشرق جيب ، ترجمة د.عادل العو،علم الأديان و بُنية الفكر الإسلامي، 1977، ص18

II.6.مارسيل موس "فصل الاجتماعيات عن الانثروبولوجيا

نجد أفكار "**دوركهايم**" بصمة واضحة في كل بحوث المتعلقة بالظاهرة الدينية لدى "موس" دراساته أغلبها تتعلق بالتفسير الاجتماعي، ويعتبر من العلماء الأوائل الذين فصلوا الاجتماعيات عن الانثروبولوجيا بحجة أن الموضوع كل منهما هو دراسة المجتمعات وإن كانت ذات عقليات مختلفة، أهم دراساته الدينية هي "التضحية"سنة 1899 نشرها مع "هـ. هوبرت" بعنوان طبيعة التضحية ووظيفتها" توصل إلى أن التضحية "فعل ديني يقدم لتوسل من أجل تغيير حالة ما" أما الدراسة الثانية كانت حول "الصلاة" سنة 1909 التي كان ينظر إليها كطقس" فعل يؤديه صاحبه في حضرة الأشياء المقدسة لكنه فعل يستند إلى معتقد فهو بالتالي فعل وتصور"، وفي سنة 1904 صدر له كتاب مع "هـ. هوبرت" حول "السحر" بعنوان " معالم لنظرية عامة في السحر" وقد أعتبر السحر طقس لا يحتاج إلى وساطة روحية ،كما أكد أن الدين يعارض السحر".(لومبار جاك ، 1997 ص 17–23)،حاول كثيرون وفي طليعتهم الثلاثي المتنافر ماركس، نتشه، وفرويد، سلخ القداسّة عن الوجود الإنساني بإظهار رأيه في نشأة الظاهرة الدينية وإماطة اللثام عن مسيرتها وتطورها ووظيفتها.

ذهب ماركس"أن الدين بُنية فوقية دونها العامل الاقتصادي الفعال في التاريخ البشرية بحسب قوانين المادية الجدلية، وذهب إلى القول"أن الدين هو أفيون الشعب" وهو يرى أن الدين غرضه إيديولوجي وهو الاستغلال الطبقي لصالح الفئة الحاكمة، بينما رأي "نتشه" أعمق منه فهو يرى أن المسيحية ديانة العبيد وأنها ماتت بموت الله، وذهب " **فرويد**" إلى أن أعصاب وسواسي يصيب البشر كافة وكأنه وهم مشؤوم يترتب على البشرية التخلص منه عندما تبلغ سن الرشد، وأن الله ابتكار بشري يمجد الأب المثالي ويصبح ملجأ خارقاً للطبيعة ويعتصم به من أفزعته الحياة" (المستشرق جيب، ترجمة د.عادل العو، علم الأديان و بُنية الفكر الإسلامي، 1977، ص42.

III. دراسات حول المقدس

جهد الإنسان نفسه من أجل إيجاد أجوبة عن كل تساؤلاته، حول الطبيعة الأشياء التي حوله الكون، الخلق، الموت، الحياة، الليل، النهار، القم ر، الشمس، الرعد، البرق الأمطار، الثلوج، البرد، الحر ... لم يجد أجوبة رأى نفسه أمام قوة تفوق قوته ... مما جعله يبتكر أشياء يُلهمُهّا بنفسه صفة القداسّة حتى وصل به الأمر لعبّدها وتقديم القربان لها ... هذا ما توصل إليه الكثير من الباحثين.

كانت أولى نتائج أن الإنسان يبحث عن تفسير عن أجوبة لأسئلته التي لا تتوقف وكان شغله الشاغل جلب الراحة والحماية والأمان لنفسيه كان حافزاً قوياً لاتخاذ مثل الأساليب.كما لا ننسى أن الأسطورة كانت هي الملاذ الوحيد له في تفسيراته لكثير من الأحداث. لقد تعرض بعض الباحثين في بداية بدراسة الأسطورة والسحر والدين وأثرها على الفعل الإنساني، وكيف تُنسج التمثلات الجماعية عن طريقها وتُشكل مجتمعة أو متناقضة مع بعضها البعض نمطاً معيناً من السلوكات وأفكار الذهنية التي تتحول إلى

ممارسة طقسية جادة و فعلية في الواقع ..فقد توصل اكتشاف **رودلف أوتو** Rudolf Otto إلى أن اتجاه نحو المقدس نتيجة عاطفة الرعب وهذا الاتجاه الغامض والمخيف، وتجاه هذه العظمة التي تنشر سيادة سلطة ساحقة من القوة لقد أكتشف الخوف الديني تجاه التخيلات الخفية حيث تنفتح الغبطة النفسية الكاملة للكائن. (مرسيا إلياد ترجمة عبد الهادي عباس، 1988 ، ص 15)

توصل **د.نورالدين طوالبي** في دراسته حول المقدس سنة 1988"أن القيم الشائعة والقصص الأسطورية عن المقدس، متمم سحري يكون ذا قدرة تطهيرية تماماً في الأوضاع التي يشعر بها الأفراد بالذنب وبعبارة أخرى يكون الخطر كبيراً في رؤية القلق الثقافي وهو يغمر الأفراد الذين زعزع الانسلاخ بشدة عوامل هويتهم"، ولا يخطئ هؤلاء عندما يسألون المقدس عما يحتويه من "همجية" هذا ما توصل إليه : ر. باستيد R . Bastide "في دراسته على المقدس والآلهة المتوحشة في كتابه Le sacré sauvage et autre essais(1975) حيث توصل "إلى أن الأفراد يتضرعون لأحد الآلهة لفترة محددة على الأقل مع رفع التبعات التي ترهقهم نفسياً هي عاطلة عن العمل" (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 14– 27). و من مكونات الظاهرة الدينية الرمز، والمقدس، والاعتقاد، والأسطورة والسحر الطقوس ....إلخ وتتداخل هذه المفاهيم بكيفية ما بموضوع المقدس لدرجة أن البعض الباحثين يرون أن "الدين هو المقدس" (Engénios 1996 Trias) (د. خليل أحمد خليل 1992 ، ص 43)إن التقاء هذه المفاهيم مجتمعة أو متعارضة مع مفهوم "المقدس" سوف يُشكل أفكار تغدو فيما بعد تمثلات اجتماعية تفرض نفسها داخل المجتمع تأخذ الطابع الدين في تفكير و ممارسة، كما يرى أيميل دوركهايم **"حيث يغدو كل ما هو قدسي سلطة ومصدراً للرعاية و ملجأ للإحتماء"** (د. خليل أحمد خليل 1992 ، ص 43)

أما زمني و دنيوي فهو الذي يحدد سلوكات البشر معه.

المقدس ⟵ كل ما هو ممنوع و محرم.

يقابله بما يسمى ⟵ الدنيوي، كل ما هو مسموح به

هذه ثنائية تتكون من كل ما هو قدسي يحرم المساس به بينما الثاني كل ما هو زمني ودنيوي مسموح به، وهذا ما يتميز به تفكير ديني. وهذا يرجعنا إلى عصر الوسيط في أوربا بما يسمى السلطة الزمنية في اليد الملك والسلطة الروحية في اليد الكنيسة أو رجال الدين و هي صاحبة القرار في تعيين الملك ونشأ بما يُعرف بالصكوك الغفران.

أوردت دراسة Henri Hatzfield حول تشابك المسألة الدينية بالمقدس والدنيوي والزمني بالأسطوري والسحري ، والأسطورة وبالرمز، بموضوع المقدس حتى أصبح في نظره أن الدين هو "المقدس" كما أن الدنيوي أصبح يحل محل القدسي في كثير من المرات وأن المسألة لا تعبر عن تمثلات وهم جماعي بل فكر فرضه المجتمع على نفسه .(د. خليل أحمد خليل 1992 ، ص 43) وبه يتم إحياء الممارسة الاحتفالية الاعتقادية الاجتماعية التي أصبح الدين أحد مبرراتها و ركائزها لدى ممارسيها .

III.1.مفهوم المقدس:

المقدس البُعد الموجود في أفكارنا وفي أفعالنا بصفة دائمة، أنه ذلك العالم الأكثر غموضاً وجهلاً.

المقدس هو ذلك المفهوم الأساسي الذي يتيح لنا لأول وهلة حضور وعي وتكوين أفكارنا وأفعالنا في كل المستويات ، فهو ينتج عالم مجهول وغامض.

المقدس مصدره الدين ، وفي كل الديانات حتى التي صنعها الإنسان بنفسه ومنحها القدسية أتخذت الدين كمصدر لها و في كل تفسيرات لوجودها.

وقد توصلت المدرسة السوسيولوجية الفرنسية في عهد **دوركايم** على اعتبار الدين "إدارك ووعي جماعي" Conscience Collective ويأخذ بُعد اجتماعي أكثر منه ديني ومحاولة دراسته وتحليله ضمن جذور الدينية البدائية له ، وتبقى الاعتقادات الطوطمية الأكثر إنتاجاً لأشياء.

تعريف المقدس في القاموس الفرنسي :George Bertin 2007 p3

- الذي يُمنح له صفة وسام التقديس هو الشخص له طابع القداسة
- المكان مكرس لتشغيل روحي
- كل ماهو متعلق بالدين والعبادة الله
- اللغات وماحملته من تحاليل حول الدين
- كل ما قدسته طبيعة وتم تحويله في الأخير.
- حدث : للمقدس كبير، وطواف لاحتفال لإلهي

تتطرق موسوعة Hachette Multimédia 2005، للمقدس بشكل جلي حيث ترى أن المقدس هو الفكرة التي تنصرف إلى أصل اللاتيني "سكريوم" le Sacrum، تعني أخر العظمة في العمود الفقري في أسفل الظهر، حيث كان يُقدم للإله كتضحية ومنه اشتقت كلمة Sacrifice ، أو السلالة التي بإمكانها قراءة الإرادة، وهذا الفعل اللاتيني Sanscire "للسلالة" تعني تحديد المقدس النوعي وحتى الديني، إنه الموضوع مخصص للإله بعيداً عن العالم الدنيوي العادي الخاص بالإنسان ، هو فوق–الطبيعة.وهذا من أجل التفرقة بين المقدس والدنيوي، بين العالم العادي الخاص بالإنسان والعالم الإلهي فوق طاقة الإنسان، هذه الثنائية في التفكير والتي تتناقض وتتعارض في مفاهيم مثل: الظلام للنور، الرجل للمرأة،الجسم للنفس، الخير والشر..

ونفسياً هذه الأفكار تأتي كذلك من خوف الإنسان في الوقوف أمام المجهول الجديد المذهل بالنسبة له، والعالم المقدس الذي يفوق طاقته وقدرته، في الحاضر إنه العالم خيالي الذي تسكنه القوة الغيبية المجهولة.وهذه القوة يجب على الإنسان الدفاع عن نفسه منها ، و احترام حدودها وممنوعاتها التي تفرض عليها تجنبها قدر المستطاع حتى لا يصله أذى ، وأيضاً عدم المس أو الاستهلاك أو أخذ ما هو مخصص لها من الأضحيات و الهدايا و القربان ، وعليه إتباع ممارسات طقسية مميزة اتجاه المقدس .

ويتم ربط الدين بالعالم المقدس والدنيوي، والديني هو من ينظم العلاقة بين المقدس والدنيوي في مجال التفكير والعلاقات بينهما.

في **الديانة اليهودية**: يرون المقدس في كل الأماكن التي تتصل " **بنبي موسى**"، و لهذا يجب عدم الاقتراب منها، كما يحمل المقدس الرموز التي حملها " **نبي يحي**" الذي يعتبرونه "**إله اليهود في اليهودية** " وارتباطه بالدم وباقي المغذيات الخبز و الدم.

كما تبرز ذات الموسوعة أن المقدس في الإسلام هو نفس طريقة مذكورة في الديانة اليهودية لمنها غير وفية للتعاليم البوذية وعيسى ، البوذية والمسيحية حافظوا على الكثير من الأشياء والأماكن المقدسة كالقصور ،والمقامات ، والمعابد ، .. والدنيوي الذي يعتبر مدنس.

ولكن بالعكس المقدس يعتبر " **ملك**" والطقس الذي يساهم في السلطة الروحية والسياسية في شكل الإلهي. **الديانة المسيحية** أخذت كل مكان " **نبيي**" في التقديس بالاحتفال المقدس في كل المناسبات الدينية وذلك بكونه إله، وهم يرونه الرب، الطاهر، ولكن بطبيعة الرب الذي سيكون البشر مدعوون كلهم لهذه القدسية الطاهرة. المقدس إلهي ، Sacré=Divinité .

ويتطرق الآخرين للمفهوم " **المقدس**" منهم روجي قليوة Roger Caillois، ربي جيراد René Girard، ميرسيا إلياد Mircea Eliade كلهم ركزوا على الفرق بين الطبيعة الحقيقية والحقيقة المخفية، والتمعن في التفكير في هذين الحقيقتين. تبقى الأساطير والطقوس والرموز الوسائل والطرق التي ترتبط مع المقدس.

Les mythes, les rites, les symboles sont des moyens de rentrer en relation avec le sacré.

Hachette Multimédia 2005

أما **الفكر اللاتيني** فيرى المقدس هو تلك الازدواجية التي نشير مرة واحدة التي ترمز إلى عدم قدرة البشر الروحية للوضع حد أو قطيعة نتيجة الخطيئة التي تجلب متاعب والرعب.

في **الفكر العبري** المقدس هو تعبيرات مختلفة مع الله وتباعد المميز لآخرين ويمنح دائماً لله نفسه.

المقدس في الفكر العربي الإسلامي :

المقدس من التقديس أي التطهير ومن الأرض المقدسة، القدّوس: من أسماء الله تعالى ويُفتح أي : الطاهر أو المبارك، وتقدّس: تطهّر. (القاموس المحيط ، ص 508 لـ مجد الدين محمد بن يعقوب).

المقدس عند المسلمين :

كلمة القدس والمقدس، تعني النزاهة والمنزه، والطهارة والمطهر، بمعنى الخالص من كل عيب .

"**هدم الكعبة أهون عند الله من قتل مسلم** "حديث شريف ، قيمة المقدسة للمسلم في الدين أقدس من الكعبة التي يمنحها المسلم قدسية أكثر من نفسه حسب تمثلاته الممارسة من تقبيلها وحلف بها وقسم بها ...

المقدس في اللغة هو المطهر والمنزه والمبارك، ومن هذه المعاني فإن القداسة تكتسب بالوراثة وهي بهذا الشكل تصبح غير ذاتية ولا تخضع لإرادة الإنسان بل هي قوة خارجة عنه وعن إرادته، وهو ينطبق على آل البيت المطهرين بصريح النص الديني الذي يؤكده ذلك ويثبته ، فالقداسة بهذا الشكل مبنية على رابطة الدم والنسب العائلي فالبركة النبوية تسري في عروق آل البيت بدون جهد ذاتي إرادي، وتمتد لتشمل الفضاء الاجتماعي وحتى الكون (خالد محمد ص 82 ، 2003)

في دراسته حول " المقدس والأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء" أكد **د. محمد خالد** أن "**المقدس محوره الإنسان ومصدره الدين** ، خاصة في الديانات التوحيدية، فالإنسان يستلهمه من الدين ويقوم بتفعيله ليشمل بإشعاعه الفضاء بمختلف مكوناته وفي التجربة الإسلامية التي تعتبر الإنسان صورة الله في الأرض فإن قداسة الإنسان تأتي في المقدمة قبل أي شكل أخر من القداسة مهما كانت درجتها، باعتبار أن هذه الأشكال من القداسة تم اكتسابها في الغالب من الإنسان وبواسطته" .(خالد محمد ، 2003 ، ص 80). يري كذلك"أن القداسة مرتبطة بذات الإنسان بالدرجة الأولى ولهذا تأتي حرمته وعدم التسامح في انتهاكها في المقام الأول قبل حرمة الأماكن المقدسة نفسها.(خالد محمد 2003 ، ص80).

الفكر التقليدي حول المقدّس ومع " **دوركهايم** **Emil** Durkheim" يرى أن الميزة الدنيوية للمقدس هي علامة للفكر الديني. وماهو معروف بالنسبة لأشياء المقدسة الدنيوية مكانتها سلطات كنسية التي تمنحها القيمة والعفة والسلطة وإعتراف بالوجود الأشياء المقدسة مختلفة و هي غير متجانسة لكن مطلقة السلطة . George Bertin 2007 p4، ويرى أن ليس للإنسان أو الطبيعة السمة المقدّسة بل إن السمة الاجتماعية والنشاط الجماعي والشعيرة هي التي تمنح السمة المقدّسة فالمجتمع هو الذي ينشئ المقدس ... والحفل هو القناة التي تنشئ منها مجتمعات المقدّس.

أما بالنسبة الأنثروبولوجي"جون سرفي **Jean Servier** "المقدس يشير إلى خلفية مشتركة للممارسة والاعتقادات التي تبني عليها العلاقات البنيوية الغير المرئية.George Bertin 2007 p4

أما "**روجي أكايوا Roger Caillois** " يمنح للمقدس الملكية ونوعية، يقصد بالملكية بعض الأشياء المتعلقة بالطقوس العبادة "مثل الملك، الكنيسة، القس في بعض الأوقات الفضاءات الممنوحة لأعياد الميلاد.George Bertin 2007 p4 ، أما النوعية هي الأشياء لا تعبر عن حقيقتها حتى ولو لم نغير في مظاهرها تتحول وتعبر عن نفسها ككل.

نخافه لكن نريد حمايته، يعبر عن ممنوع التقرب منه قد نهلك، هو من يحمينا من الأعماق،أكايوا Caillois يحاول تحليل غموض الذي يكتنف المقدس، فمرة يراه محترم ومرة يُعبر عن القيام بالواجبات ومرة خروج عن المألوف في الحياة اليومية التحضير للانقطاع في ماهية الحياة المدنسة، وانشراح المجموعات الاجتماعية لدرجة المبالغة والغليان الاجتماعي . George Bertin 2007 p4

كما أن المقدس هو بمثابة طعن في وتيرة الزمن، حيث أنه يطرح بديات تكّون العالم ونهايته من خلال:البدء،"الآخرة"،"البعث" بالاعتماد على مفهوم أساسي وهو الخرق (ج. ديفنوت، J.Duvignaud P 107،1977). **د. عبد العزيز رأس مال 2003 ، ص 31**

أما "R.Otto" "**رودولف أوتو**" يرى بأن المقدس هو تجربة يواجه فيها الفرد شيئاً آخر: موضوع أو مجال يوجد في الحقل المرئي والذي يتم غزوه فجأة من طرف "حضور" يمزق وعينا، يسحقه، ويدهش ويخترق الروح ، نحس بأننا ماهية و لسنا أبداناً ... هنالك حماية خارج الزمن، لا يوجد فيها الـ " هنا أو الآن " ولكن هناك فتجربة المقدس تظهر من خلال قوته إنه تجربة مرعبة وفي نفس الوقت جذابة R.Otto 2001 (**د. عبد العزيز رأس مال 2003 ، ص 32**).

هناك دراسات محلية من باحثين جزائريين منهم د. رأسمال عبدالعزيز من جامعة الجزائر تطرق إلى أهمية المقدس خاصة المنتمين "للمفهوم الشرفة" في احتواء القبلية Tribalismes والشعبوية تحت "مفهوم العصبية القبلية "وكيف تستطيع تغيير نتائج الانتخابات لصالحها في أي وقت في دراسته "الحراك الاجتماعي في الجزائر"سنة 992 .ودراسته حول البدو في قرى الجنوب الغربي الجزائري سنة 1987 وتوصل على أن الذهنية البدوية مازالت موجودة، تقاوم بشكل أو بأخر لكنها مازالت سائدة، معناه أن فكرة الولاء أو فكرة العصبية هي التي تتجاوز الإطار السياسي القبلية تأخذ بُعد رمزي لقبيلة وانتماء يكون دائما لها و هي محصيلة نجاح أو هزم خصم من الانتخابات دون نظر إلى مستوى العلمي للمنتخب ولا على برنامج الانتخابي على الإطلاق، والانتماء له علاقة وطيدة بالمقدس حيث يجتمع تحت "راية والي" مثل قبيلة أولاد سيد الشيخ منتسبين إلى والي سيد الشيخ ، قبيلة الخلايفة نسبة لوالي سيدي خليفة (...) .

III.2.أشكال المقدس :

الإنسان صنع بنفسه قداسّة الأشياء، صبغ على إحداهما التعظيم و الجلالة وحاجز الإحرام أو الممنوع، وأعطى أخرى صفة الدنيوية أي ما هو مسموح به.أثبتت الدراسات أن المقدس يأخذ الطابع الديني في خاصيته ، أما شكله يأخذ طابع السلطة الروحية على الذات.

يتخذ المقدس عدة أشكال حيث يُعبر عن سلطة روحية في شكل المادي المحسوس على الأشياء التي منحها هو نفسه سمّة القداسّة، وميزها بالممارسات طقسية عن طريق الاحتفالية الاجتماعية الاعتقادية غاية منه جلب الراحة نفسية، وقضاء على شعور بالذنب اتجاه أعمال خطيئة التي أرتكبها في دنياه أو اتجاه المقدس، والحماية.

يرى د. محمد خالد في دراسته "القداسة الأسطورية في التجربة الطرقية "سنة 2003 أن" المقدس كفعل إرادي ذاتي يكتسبه الإنسان بمجهوده الخاص وهي طريق التقوى وانعزال عن الدنيا وشهوتها وهذا سلك الأولياء بالمجاهدة النفس عبر الرياضة الدينية للوصول إلى الحقيقة الروحية التي هي المعبر الموصل للقداسّة ، وترتكز في ذلك على تفعيل البُعد الديني في مجاهدة النفس والتقوى" . خالد محمد ص 82 ،

2003) ، إذن المقدس هو ذلك المعيار أو البُعد الذي نحمله في أفكارنا وفي أفعالنا يومياً وهو أكثر آلفة له سلطة مطلقة على الذات مما يعبر عنه بالمقدس والدنيوي الحلال والحرام، إنه منتوج لحالة غير معروفة وغير مرئية وغامضة. Hachette Multimédia 2005

تلك السلطة تفرض نفسها على الفرد والجماعة وهو في حالة ضعف والذعر أمامه إنها قوة تفوق قوته إنها قوة روحية وسلطة فعلية، يتعامل معها بكل حذر وتبصر وتقدير بواسطة ممارسات طقسية قد تبدو غامضة ومبهمة للكثيرين، لكن في الأخير له معنى هذا المعنى هو الذي يفرض على الفرد ذلك الخوف وضعف وبالتالي يتصرف بالمهابة والجلالة أمام سلطة الروحية للمقدس.

تطرق د. عبد الهادي عبد الرحمن في كتابه المعنون با "عرشُ المقدّس" سنة 2000 حول دينامكية للغة كشبكة من الدول التي تُثّبت مدلولاتها إلا لفائدة البحث.

ويؤكد أن اللغة العربية" تحتوي أكثر من مليون كلمة، لكن المستعمل منها قد لا يزيد عن مائة ألف كلمة كلها تتعلق ببعضها البعض بعشرات الطرق، إما بالمتشابهات أو أن تكون كلمة ما جامعة " كليّة " أو جزئية، التشابه لا يعني الوحدة أبداً فالكلمة الواحدة تحتوي على تعدّدية معنى والتشابه هو مجرد علاقة واحدة بين المفاهيم فكلمة مثل " **قدس** " في مختار الصحاح (محمد بن ابي بكر الرازي 1987) وهو أكثر المعاجم اختصاراً يُمكن أن نقرأها هكذا : " **القُدس**" بسكون الدال أو ضمّها : الطُهر اسم و مصدر و منه قيل للجنّة : حظيرة القدس، و"**روح القُدُس**": **جبرائيل** ، و"**التقديس**": **التطهير** و" **تقدّس**" **تطهّر** بوزن مجلسي، و" **مُقدّسي** " بوزن " **محمدي**" ، ويقال إن " **القادسية**" دعا لها إبراهيم عليه السلام **بالقدس** وأن تكون محلّة الحا ج." **د. عبد الهادي عبد الرحمن 1999، ص 08.** وقُدُّوس" بالضم : اسم من أسماء الله ، وهو فُعُّول من " **القُدس**" وهو الطهارة وكان سيبويه يقول: " **قدُّوس**" و **سبُّوح**" بفتح أوائلها ، وقال ثعلب: كل إسم على فعُّول فهو مفتوح الأول مثل سفُّود وشبُّوط إلا السُبُّوح والقُدوس ... هذا ما سوف نلاحظه في " **الشكل رقم 1**"عن شبكة المقدس بعقدها وحوافّها ، أي بمتابهاتها وعلاقتها الإيجابية والسلبية ، التي يمكن أن تجرّ معها شبكة لا تنتهي من الكلمات وهي في شكلها عشوائية وفي بنيتها عشوائية أيضاً لـ د. عبد الهادي عبد الرحمن 1999 ، ص 09.

ما يّهُمنا في هذه الشبكة هو متاهات المقدس تفرعاته من أصول تهم البحث من تعريفه اللغوي المطهر إلى الديني إلى الإلهي وهذا السمو الذي يرتقيه نحو السماء ومن فرع الديني يتفرع إلى الشخص المقدس أو الشئ المقدس أي القديس أي نموذج الوالي الذي يتفرع إلى مقام (القبة) المزار (قد تكون حومة من الحجر) من كرامات، وفي نفس فرع الديني يتفرع إلى القوة التي يتميز بها المقدس إنها القوة السحرية والتي يقابلها ضعف الإنسان أمامها، أما فرع القديس الذي يتخذه من الإله وهذه سمة المقدس تكون عملية تضادية بين الأدنى والأسفل والأرضي والسماوي من خلال مرجعية ومناقب والكرامات والأساطير التي تنسب للمقدس (الصلاح) وتأخذ سطوة الحقائق الفعلية التي يستحيل تكذيبها أو حتى شك فيها، كما أن المقدس يتفرع منه الاحترام الذي يقدم الذل والخضوع للقوة ميتافيزيقية ينسب إليها الخير والشر وتمتاز بالخوف والخطر والضعف والرهبة والتضخيم والإكبار. حيث تعتبر الخطيئة والمحرم وخرق أحد عوامل هذا الخوف، إن تمعن في هذه الشبكة يتضح تشابك المقدس بالمسألة الدينية بصفة عامة وأن علاقتها متداخلة ويصبح في الأخير المقدس هو المتحكم في ذواتنا وفي أفعالنا بصفة مطلقة. لكن شئ **المثير في الشبكة عدم تطرقه للبركة** ، التي هي إحدى شعب المقدس إن لم تُكن هي مقدس بنفسه.

IV. الدين و المقدس

إذا ألقينا نظرة فاحصة نحو التمثلات الحقيقية للفرد وعلى مسيرة حياته وبُنية مجتمعه نلاحظ أنه يعيش في ثنائية من الخيال والغيبيات بين الحلال والحرام بين ماهو الدنيوي و كما هو المدنس، ولو سأل نفسه يوماً لماذا يُقدس هذا المقام أو هذا القبر أو ذاك الشيخ أو لماذا يوصف بذلك المكان بالمقدس ويمنع القيام بأعمال في حقله ؟ ، ، الإجابة هي الخوف من المقدس وحاجة إليه.

توصل الفكر الماركسي على أن الدين ومنه "المقدس"ككُل هو العجز الإنسان عن مواجهة الكوارث الطبيعية، بمجابهة فعلية، وكذا العجز عن تفسير الظواهر الفلكية تفسيراً موضوعياً قبل أن تضاف إلى ذلك الظواهر الاجتماعية ومنها يتم إحياء بعض أشكال الممارسة الطقسية التي تعبر عنها الأساطير الأشعار الملحمية والنصوص الدينية من الراحة والأمان ،وهذا نتيجة مخلفات العصر الوسيط وسيطرة الكنيسة. وقد عبر" **إنجلز**" أن إن الدين قد ولد في عصور بدائية، من تخيلات الناس الجاهلة الغامضة البدائية عن طبيعتهم ذاتها وعن الطبيعة الخارجية التي تحيط بهم. وفي سياق رد ماركس على فلسفة الحق عند هيجل قال: "إن الإنسان يصنع الدين وليس الدين هو الذي يصنع الإنسان". وفي رسالة بعثها إلى رجيه سنة1842 جاء : الدين لا يعيش في السماء بل على الأرض انه وعي الذات والشعور بالذات لدى الإنسان الذي لم يجد بعد ذاته، أو الذي فقدها، والدين تحقيق وهمي للكائن الإنساني لأن الكائن الإنساني لا يملك واقعاً حقيقياً.كما كتب إنجلز موضحاً الصورة أكثر إن الإله المسيحي ليس سوى الانعكاس الخيالي للإنسان" [1]

أما المدرسة السوسيولوجية " **دوركهايم** Emil Durkheim" وأتباعه في فرنسا و"ويندت" في ألمانيا ترى أن المقدس هو كلمة سوسيولوجية وجماعية مخزن للأحاسيس ومشاعر الجماعية وتعتبر عنصر جدي لتماسك الاجتماعي.(Ries.J 1992 P29)

لا يعتقد"**مارسيل موس**" Marcel Mauss بوجود شئ إسمه " **الدين**" بل وجود ظواهر دينية وبالتالي تصبح تلك الأشياء المقدسة مجرد أشياء اجتماعية.

وبالتالي ينقسم عمل الظاهرة الدينية إلى قسمين هما المقدس والدنيوي ، حيث يقتصر تصور الأول أي "المقدس"كل التحريمات وممنوعات ممارسة الطقوس حولها بينما يقتصر التصور الثاني الدنيوي" على الأعمال الدنيوية وتبقى بينه وبين المقدس مسافة معينة (دوركهايم Emil Durkheim" ص 96، 1990).

يرى "دوركهايم Emil Durkheim" أن الدين هو خاصية جماعية وبذلك تصبح كل المحرمات والممنوعات الدينية لها علاقة وطيدة بالمقدس وفي الأخير يصبح الدين عنده إدارة المقدس.

1 . ماركس – إنجلز : **"حول الدين"** – نقله إلى العربية – دار الطليعة- بيروت 1974

هناك ارتباط وثيق بين المقدس والدين إذ يعتبر الدين أصل كل الممارسات الطقسية أمام المقدس وبذلك تمثل الممارسة تصورات و أفكار دينية.وبالتالي فإن المقدس هو محور الدين حسب **مارسيل موس**" Marcel Mauss ودوركهايم Emil Durkheim" وهو الذي يسيره، بحيث يعطي الصبغة السوسيولوجية لمعنى المقدس التي تعبر عن مخزن لمشاعر والتمثُلات الجماعية هدفها الحفاظ على التماسك الاجتماعي.

إضافة إلى الطب الحديث وعجزه أمام أي حلول لمرض غامض يُعيد بالمناسبة إبراز قيمة المقدس، هذه هي معضلة السيكولوجية تحدث صراع نفسي داخل شخصية ترتبط بمعاش ثقافي واجتماعي أي النزوع الشخص نحو تمثلاته وميولاته النفسية في تفسير المرض وعلاجه، التي سوف يشعر بالراحة بعد إجراء كل العمليات الضرورية من الممارسات الطقسية وعلاجية واستغاثية في حقل المقدس تنفيذاُ لرغباته الشخصية وهذه العودة تُشكل اطمئنان لما يحملوه الشخص من أفكار والتمثلات جماعية نحو عالم ثنائي بين الثقافة الأصلية والحديثة أي تلك النزعة النفسية اتجاه الثقافية أصلية وما يقابلها أو يفرض عليها من ثقافات الحديثة.

كما قام د. نورالدين طوالبي N. Taoualbi (1988) في دراساته حول إشكالية المقدس على الصراع داخلي للذات للأحد المنطلقات الفردوية الهامة ضمن هذا الإطار حيث قام بنقل هذا الصراع من إطاره الفردي إلى الإطار الجماعي، بحيث تناول بحثه صراع أو التقاطب القائم عند الجماعات بين العقائد والتقاليد الأصولية الراسخة المتعلقة بالدين الإسلامي وبين المكتسبات الحديثة التي أدخلتها عليها الثقافة الغربية خاصة الفرنسية في الجزائر.توصل إلى وجود التفاوت في حدة التقاطب بين الجماعات الريفية والجماعات المدينية حيث أن الجماعات الريفية أقل تقاطباً من الجماعات المدينية حيث أولى اشد ارتباطاً بالممارسات المقدسة التي يشوبها الإبهام، هذه المقدسات تشمل على اللجوء إلى الأولياء للتبرك بهم والتماس العلاج السحري لديهم وهنا يعود التقاطب ليبرز بشكل صراع بين التماس الطب السحري "عن طريق "المبرئين والوسطاء" هم الصلاح وبين الطب النفسي الحديث، كما عالج هذه الظاهرة من خلال أخذ عينات من المجتمع من الطبقات الثلاث من أجل توضيح أسباب هذه التقاطبات. (نورالدين طوالبي ، ص 253 إلى 271 1988).

ومع بداية القرن العشرين، أعترف الطب بتأثير العوامل الاجتماعية والثقافية في المرض والصحة حيث بدا واضحاً في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1950 وبدرجة أقل في بريطانيا بعد الإسهامات المتعددة التي يقدمها علم الاجتماع الطبي والانثروبولوجيا الطبية في ميدان البحث، مثال ذلك دراسة التنشئة الاجتماعية والبيئية ومعتقدات التجمعات البشرية. فقدمت بذلك نظرة جديدة لمفهوم المرض وأبعاده على أنه حالة مكتملة الجوانب سواء الجسمية أم العقلية أم الاجتماعية والثقافية للفرد، وما تحمله تمثلات الأفراد اتجاه الذات وهذا ما أكدته بعض الدراسات من بينها دراسة أشارة إليها رودينكو Roderny

Rico سنة 1970[1]، في مؤلفه "علم الاجتماع الطبي" إلى أهم مجالات هذا الميدان، وذهب إلى أن هناك منظورات أربعة أساسية تستخدم في هذا الميدان فمن الملاحظ :

أولاً : أن المرض المنتشر بين سكان مجتمع معين لا يتوزع توزيعاً عشوائياً ولا متماثلاً ، أو منفرداً وإنما مرتبط بالتجمعات الاجتماعية المعينة ذات أنواع مختلفة للحياة، وهنا بدوره يكشف عن الأصول الاجتماعية للمرض وتفسيره حسب الإيحاءات الفردية والسيكولوجية التي تحدث صراع داخل شخصية التي يشعر الفرد من خلالها بالذنب الذي يأخذه حتماً نحو رغبة البحث أفضل للذاته.

ثانياً : قد لاحظ أن الأفراد يستجيبون للمرض ويفسرونه بطرق مختلفة كل حسب تصوره وإن كان تصورات وتمثلاتواحدة داخل الجماعة المحلية، هذا ما يعكس تأثير الخلفيات الثقافية أو المستوى الحضاري لهم، كما تعكس أيضاً وضعهم الطبقي أو مكانتهم الاجتماعية في المجتمع.

ثالثاً: كما أن المنظمات الطبية الحديثة، ذات صلة بمجموعة أخرى من المنظمات الطوعية التي تتنافى مع إشكال الطب الشعبي، وهي صيدليات وشركات الأدوية وهذا ما حدث في بعض القبائل الأفريقية في السودان والسنيغال من مريدي الطريقة التيجانية الذين رفضوا حقن التطعيم الدولية بحجة أنها تحتوي على فيروس للمرض وتتنافى مع تقاليدهم و أنهم يعرفون نوع مرض و كيف يعالجونه .

هذه المعطيات التي حددها المؤلف، تنصب كلها في سريان مفهوم العام للمرض والصحة عند التجمعات البشرية التي تطرق إليها وكيفية استجابة لمؤشراتها الثقافية التي تختلف حسب المستوى الحضاري والأوضاع الاقتصادية التي يعيشونها لذا فأنا أشاطره طوعاً في تحديد للثقافة، التي يطرحها على كيفية الاستجابة للحالات عديدة يعيشها الأفراد مع ذات. وفي نفس الاتجاه درست العالمة الأنثروبولوجية الألمانية ماكلين Maclean [2]العوامل الثقافية في المجتمعات غير الغربية ، والتي تؤثر في العلاج الشعبي والعلاج الطبي الحديث ، وتوصلت إلى أنه توجد عوامل ثقافية تعمل على استمرار وجود انساق العلاج الشعبي بجانب العلاج الطبي العلمي.هذا الأمر ينهي بتبرير قلقنا إزاء المفهوم أو البعد الأول أي الثقافي، وإلى جانب هذا البعد الثقافي حدد ويفر Weaver [3] في دراسته الأنثروبولوجية نظرية علاج الجماعة أي البعد الاجتماعي حيث رأى أن النسق العلاجي يتضمن بداخله شبكة معقدة، تتمثل على معتقدات الناس وقيمهم التي توجه سلوكاتهم في إطار اجتماعي، بحيث أن هذا الإطار يقدم إجابات على مفهوم المرض ومن ثم كيفية معالجته.

1 . محمد حسن عامري "مقدمة في الانثروبولوجيا العامة " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص : 145

2 . د . محمد حسن عامري "مقدمة في الانثروبولوجيا العامة " ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص : 146

3 . نفس المرجع ص : 148

المبحث الثاني: الدراسات النظرية حول مفهوم الطقس والتمثُل

I. دراسات حول الطقوس

مصطلح **طقوس** له **ثلاثة** استعمالات مختلفة أول والثاني يؤكدان على الطبيعة الرمزية للطقوس أما الاستعمال الأخير إنه الطقس الذي يُبن العلاقة بين الواسطة والغاية التي تُكمن في السلوك الاجتماعي.

كل الطقوس تقر على التصرفات ناتجة عن العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع الطقوس تُحل محل الدين وتمارس بإسم الدين هذا ما تؤكده جُل النظريات الانثروبولوجية والمقصود بها هي تلك التصرفات الرمزية المتعلقة الأشياء والكائنات والفضاءات المقدسة.

الطقوس كما عرفها علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية هي مجموعة حركات سلوكية متكررة يتفق عليها أبناء المجتمع، ولها عدة أشكال تتناسب مع الغاية و الهدف الذي دفعت الفاعل الاجتماعي للقيام به.يستعمل **رادكلف براون** في كتاباته المصطلح **القيم الطقوسية** بدل من المصطلح الذي استعمله **إميل دوركايم مقدس وشرير** ، ويؤكد بأن استعمال الطقوس تنص على القاعدة الأساسية **هي تطبيق القيم الطقوسية على الأشياء والحوادث والمناسبات التي يعتبرها الأهداف ذات المصالح المشتركة التي تربط أفراد المجتمع الواحد وتمثل تمثيلا رمزيا للجميع الأشياء التي تستند على تأثير السلوك الرمزي بكل أنواعه وحسب هذا الأخير فان الطقوس هي حدث رمزي يعبر عن قيم اجتماعية مهمة.**[1]

ويؤكد العالم الانثربولوجي الاسكتلندي **وليم روبرتسن سميث بأن الطقوس الدينية هي أشياء تعبر عن آراء يمكن تمريرها من شخص لأخر ومن عصر لأخر دون إحداث أي تغيير فيها** "[2] ويعتقد العالم **ليج** LEACH بأن الطقوس **هي نوع من أنواع السلوك الاجتماعي له صفة رمزية تنعكس في الشعائر وحيانا يعبر عنها في سياق العادات و التقاليد** .

يؤكد العالم كودي COODY بتحليل الطقوس عن طريق دراسة العلاقة بين واسطة وغاية الفعل الاجتماعي فيقول **بأن الطقوس هي نوع من أنواع السلوك ذي المقاييس المتوازنة والتي لا تكون العلاقة بين واسطته و غايته جوهرية أي أن العلاقة بين واسطة و غاية السلوك الطقسي هي علاقة غير منطقية و لا عقلية.**[3]

اليوم نواجه عدة ردّات فعل أمام ممارسة الطقوس الاحتفالية والاجتماعية فبينما نجد فئة تهزأ من هذه الطقوس وترى أنها مجرد عادات قديمة قد لا تعني شيئاً وبالتالي تُنعت بالكفر والبدعة لدى بعض

1. ويكيبيديا الموسوعة الحرة
2. ويكيبيديا الموسوعة الحرة
3. ويكيبيديا الموسوعة الحرة

وتخلف لدى بعض آخر، نجد في مقابل آخرين مهتمّين بممارسة طقوس معيّنة ويعتبرون من المعتدلين يرون أن الممارسة الطقس تساعد الإنسان على معرفة ذاته والتأمل من أجل الوصول إلى الحقيقة.. مثل الممارسات الاحتفالية التي تتخذ بعد ديني كختان أو المولد النبوي أو ليلة القدر عاشوراء، محرم، هجرة النبوية وتضاف إليه تلك طقوس الممارسة في حقل أضرحة الصلاح من الوعدات، الركب الاحتفالية الاعتقادية في الزوايا التي تدخل ضمن التقاليد وإحياء التراث أو عادة أسرية. قبل أن نتحدَّث عن الطقوس نود أن نشير إلى حضورها دائم في الحياة اليومية ودورها الأساسي في حياة الاجتماعية والنفسية لدى الإنسان، كما أن الإنسان كائن اجتماعي هو أيضاً كائن طقسيّ، لنذكر مثلاً الطريقة التي نتبعها للاحتفال بعيد ديني العيد الفطر المبارك أو العيد الأضحى أو أداء فريضة الحج أو الختان أو الفاتحة أثناء مراسيم الزواج الالتقاء في منزل عائلي تشريفات على الأبواب تحضير البيت والقعدة في قاعة كبيرة ، يُعبِّر عن الفرح تقديم الحلوى، العناق وسلام والتحية وتبادل التهاني ... كل هذه الأمور تدخل في نطاق "طقسيّة الكائن البشري".من صفات هذه الطقوس أنها مجانيّة، أي أنها ليست من ضروريّات لكن تُضفي على الحياة الاجتماعية و النفسية معنى أسمى، وبدونها يبدو الإنسان كأنه لا يستطيع التعبير عن ما في ذاته.

II. مفهوم الطقس :

الطقس بالفرنسية " Rite" تعني احترام قوانين كونية، تأخذ بُعد ديني في غالب أثناء الممارسة الفعلية والطقوسية Rituals كلمة لاتينية هندوسية– أوربية تتعلق بالاحتفالات المرتبطة بأحداث مقدسة والتي تجري بفاعلية على الواقع على هيئة حياة مسرحية .Hachette Multimédia 2005 وتتعلق أيضاً بطقوس التحولات من حالة إلى حالة على مستوى الفرد أو الجماعة: مثل الزفاف تسمية مولود، الختان، البلوغ الوعدات، النجاح، الموت طقوس تعتبر تكريس التي تجعل من بعض الأفراد "خداماً للمقدس" مثل المريدين وطقوس العبادات وطقوس التراتبية الاجتماعية.

الطقس إذاً هو رمزٌ يحمل في ذاته الحقيقة التي يشير إليه ويُحققها، هو متكون من عدة رموز يجب علينا أن لا نفهمها على أنها مجرد وسيلة تشبع حاجات الإنسان كي يعبر عن حقيقة معينة "تفسير أنثروبولوجي" كوعد أو تنفيذ وصية أو عادة أو تقاليد بل علينا أن ندرك بأن الطقس هو رمز يُشير إلى علاقة متشابكة بين المقدس والرمز وتكتمل بممارسة الطقسية المادية والمعنوية وتحقق رغبة نفسية تأخذ شكل وهدف ديني ذاتهُ قد حقق عملاً إلهياً خلاص الإنسان بواسطة طبيعتهِ الإنسانية المتحدة مع طبيعتهِ الماديّة عمل نفسي الخلاصي تفسير لاهوتي[1] إذن الطقس هو الفعل الذي يتحرك بتأثير من الرمز والأسطورة والمقدس لقد تناول د. نور الدين طوالبي إلى دراسة معمقة حول مختلف الممارسات الطقسية في الجزائر

1. د. خليل أحمد خليل ***"الغرب المتخيل"*** 1999 ص 42

ومظاهر مرافقة لها في دراسته الدين والطقوس والمتغيرات سنة 1988 وسوف أقتصر على ما توصل إليه في دراسته للطقس.يعرف **د.نورالدين طوالبي** الطقس "وتلك الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي، ويركز على صفة التكرار في الممارسة كما يرى أن إحياء الطقس الهدف منه إثبات وجوده بقوله تكمن دعوة الطقس في إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير فالطقس يميل أساساً من خلال تكرار واستدامة القواعد التي تثبته، إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده ويبقى الدين أحد السمات البارزة في الحدث الطقسي، غير أن د.نورالدين طوالبي يراه تبريراً لتلك الممارسات الطقسية عند البعض بقوله يأخذ الطقس معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني (نورالدين طوالبي، 1988،ص34).وأستشهد في دراسته بما توصل إليه (ج .غازنوف، J. Cazeneuve سنة 1971) الذي عرف الطقس بأنه سلوك يتكرر تبعاً لقواعد ثابتة بحيث لا نرى أن إنجازها يؤدي إلى آثار ذات فائدة ،إذ أن فعاليتها هي من نسق خارج الإطار التجريبي، على الأقل، نورالدين طوالبي، 1988 ،ص35). كما أن إحياء الطقس هو إحياء للماضي أو للذكريات وأحداث كانت موجودة أو على أقل مؤثرة في ذهنية الجماعية أو فردية وهذا ما يؤكده د. طوالبي على لسان " فان در لو Van Der Lew بقوله أن الطقس هو إحياء وتحيين لتجربة مقدسة الطقس ".(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 36).

فالطقس هو ممارسة فعلية على الأشياء وفي الأماكن المقدسة و إحياءه خارج فضائه في علاقة متناسقة بين المقدس والرمز وتأخذ في غالب بُعد الديني.يبقى الطقس هو الممارسة الفعلية في الواقع بعد التناسق المقدس والرمز على أن يصل الممارس إلى نشوته الذاتية، بالتحقيق الحماية وتخلص من الذنب.

و قد توصل نورالدين طوالبي على أن الوظائف الحدث الطقسي الاجتماعي لها **وظيفيتين** :

الأولى تتعلق بالنسق الرمزي للطقوس التي تلعب التمثلات الجماعية دوراً مظهراً لفكرة معينة لرد الفعل على واقع معاش يرمز لمقدس أولاً بأشكاله العديدة إلى فعل تطهيري.

أما الثانية فهي سيكولوجية تعبر عن نفسها بصورة تفاخرية تعبر عن واقع مسألة الهوية من خلال ممارسات الذكور الطقسية لحماية الرسمية لصفة الثقافة العائلية إضافة إلى وظيفة الطقس الدفاعية هي رمزية واجتماعية ونفسية وهذا ما توصل إليه من خلال دوافع الجماعات المنسلخة ثقافيا.كما قام بدراسة اجتماعية ميدانية، تناول فيها مختلف الطقوس التقليدية والشرعية والبدعية منها وما يلازمها من احتفالات وزيارة الأضرحة وتقديس الأولياء وقد حاول تفسير عملية الصراع البيئي والثقافي، من خلال التركيز على الطقوس المجلّلة بالقداسة ذات قيمة بنيوية ورمزية التي تأخذ بُعد الديني أثناء الممارسة وتوصل إلى أن أهمية المقدس ووظيفته الدفاعية أكثر، وتطرق إلى اختلاف التقاطب بين سلوكات الأفراد الريفيين وسلوكات

مواطنيهم الحضريين المنتمين إلى الفئات الشعبية، من حيث شدة الاندفاع للمحافظة على التقاليد وقيمة الطقوس والدين الرمزية ، واستقراره وثباته في سلوكات الأفراد الريفيين عن سلوكات المدنيين.[1]

III. أهم نظريات الطقس :

الأبحاث التي تناولت الطقس لا حصر لها، باعتباره يمثل نموذجاً "للحركة الشاملة"كان الطقس دائماً ولا يزال موضوع أبحاث عديدة في مادة العلوم الاجتماعية.

حيث يرى علم الاجتماع الفرنسي الطقس انطلاقاً من فان جيب Van Gennep (1909) ووصولاً إلى روجيه **باستيد** R . Bastide (1950) وج. غازنوف J.Gazeneuve (1958) **وظيفة أولية، هي وظيفة الاسترجاع الجماعي، المستذكر لأصول الأسطورة و الدين.**

III. 1.النظرية الدوركايمية:

ترى هذه النظرية بأن الطقوس هي الركيزة اجتماعية الوجدانية الأساسية للمجتمع، وتعرف الطقوس بأنها القواعد أساسية التي تتحكم في سير الإنسان بين الأشياء المقدسة والرموز.(دوركهايم، 1990، 1912 ، Emil Durkheim ص 55 ، 56).أما التصور الذي قدمه دوركهايم Emil Durkheim، يتناول في الأساس النموذج الديني الذي يطوره المجتمع بصورة عفوية كجزء من الصياغة العامة لنظام حياته، فالدين عنده هو مصدر القيم المعنوية المشتركة بين أفراد المجتمع، والمكون الأساس للرابطة الاجتماعية.

III. 2.الطقوس عند بيار بورديو Pierre Bourdieu:

Les Rites comme actes d'institution

يري "بورديو" أن الطقس والتصور لهما وجود مرتبط كلهما له علاقة بالأخر حيث يعتبر التصور شرط ضروري لفعالية وممارسة الطقس، كما يعتمد بورديو على نظرية التطبيق من أجل استعادة الأنماط العملية في هذه الطقوس وبصورة منهجية لمقارنتها فيما بعد .

III. 3.الطقوس عند مارسيل موس M .Mouss

يرى أن هناك ديمومة الدين وتفرعاته عن طريق الطقوس كوسيلة جماعية لمقاومة التغيير، وهذا يشكل فرضية حول المعاش السيكولوجي للظاهرة الدينية لهذا كان يحث على تحليل هذا المعاش في العنصر الديني عندما راح يعلن أن الفهم الشامل للوقائع الاجتماعية كان يتم أيضا وبالضرورة بمشاركة "السيكولوجية غير عقلانية" لهذا يؤكد في بحثه حول السحر على أولوية "أفكار لاواعية" في كل تعبير ديني طقسي "سحري" أو حتى لساني.مارسيل موس M .Mouss (1950)

III. 4.الطقس عند ريني جيرار و مارتنز – R. Girard -Maertens

1 . نور الدين طوالبي " الدين و الطقوس و التغيرات" 1988 ص 85 ، 87، 91

يرى ريني جيرار أن الطقوس والشعائر ما هي إلا شبكة للقراءة التي تجمع على بعض الأساطير والنصوص يرى أن لها بعد مقدس وتتخذ عند أشكال .J Maisonneuve (1988) أما مارتنيز Maertens J.T يرى بأن ممارسة الطقوس تأخذ طابع بسيكولوجي حيث أن هدف الممارسة الطقسية هو الحد من القلق النفسي والدخول في عالم مجهول غريب تُضفي على النفس بعد ذاتي و راحة نفسية.

إسهامات فرويد حيث يغدو الطقس عنده أو شعيرة جملة من الممارسات التي تحترم أوامره و نواهيه .كما وكثيراً ما تستعمل كلمة شعائر في عوض Rituel والشعيرة Riteأن هناك ترادف بين كلمتي الطقس Le Rituelالطقوس عند الكثير و هذا ما أشار إليه البابا "بول الخامس" حين ألف كتابه الشعائر الرومانية Romaine) 1916 سنة Rivière C : 1995 p 12.)

IV. وظائف الطقس الدينية:

IV.1.الأسطورة و الطقس Mythe et Rite

إن الممارسة الفعلية للطقوس والشعائر أهمية كبيرة في حماية الأفراد من خلال تكراراتها المستمرة وإن كانت اغلب طقوس لها علاقة وطيدة بالأساطير حيث ينظر إليها حسب:فان دار لوبيه Van Der Leeuw " أن الشعائر الدينية هي أسطورة في فعل" (نورالدين طوالبي، 1988 ، ص36). ويذهب" روبرتسن سميث Robertson Smith "في مؤلفه" محاضرات في ديانة الساميين سنة 1997، "إلى أن الأسطورة ما هي إلا تفسير للعرف الديني، وما كان هذا التفسير لينشأ إلا حين يوشك المعني الأصلي للعرف في دائرة النسيان .

أما روجيه باستيد (Roger Bastide)إن إحياء الشعائر هو إحياء لأسطورة وهي التي تبنها وتفسرها".(نورالدين طوالبي، 1988، ص37).وقد عرف كارل كيريني Karl Carnier الأسطورة بالنظر إلي أصلها بقوله" إن الأسطورة في المجتمع البدائي أي في شكلها المعاش" ليست حكاية تحكي ولكنها حقيقة معاشة، إنها ليست اختراعا، ولكنها حقيقة حية يعتقد أنها حدثت في أزمنة أولية ، وأنها لازالت تمارس تأثيرها علي العالم وعلي مصائر البشر (د. كارم محمود عزيز ، ص 97 ، 2002)

وعلى نفس المنهاج يسير " برونيسلاف مالينوفيسكي ، Malinovski Borislav" إذا يضيف : " إن الأسطورة إذا درست وهي حية فعالة، فإنها لا تكون تفسيرا يتطلبه إشباع الولع بالعلم، وإنما هي بعث روائي لحقيقة أزلية، يروي لإشباع رغبات دينية عميقة وحاجات أخلاقية ومتطلبات اجتماعية واحتياجات عملية... و الأسطورة في حقيقتها ليست تدفقا عشوائيا لخيالات عقيمة ولكنها قوي ثقافية هامة تشكلت بصورة محكمة". (ستروس كلود ليفي ، **1995 ،ص 253**) أما "ماكس موللر Marks Mouleur " فيري أنها " مرض من أمراض اللغة وأنها القوي التي تمارسها اللغة على الفكر في كل مجال ممكن من النشاط الذهني". (د.رفيق رشيد "2006)

أما الأسطورة في نظر تيليارد Tyard"فهي:موهبة أي جماعة بشرية كبيرة كانت أم صغيرة وقدرتها علي أن تحكي قصصا معينة عن أحداث أو أماكن أو أشخاص معينين خياليين كانوا أم حقيقيين ،وتكون حكاية هذه القصص بشكل واع غالبا ويكون لها مغزى رائع" (د. كارم محمود عزيز ،ص 81 ، 2002) ولقد أهتم علماء الانثروبولوجيا بالعلاقة الوطيدة التي تربط الأسطورة بالطقوس والشعائر انطلاقا من دراسات مالنوفسكي ودوركايهم وفان دار لوييه حيث توصلوا إلى أن هذه الصلات أو علاقة بمثابة حشو. ومن كتاب العرب الذي تطرق إلى الأسطورة د. محمد عابد الجابري" في كتابه " **دراسة بُنية العقل العربي"** الذي أحدث ضجة كبيرة بين صفوف الباحثين ومنشغلين في هذا الحقل حيث يرى أن الأسطورة والخرافة شئ واحد ويوازن بينهما بأشياء الغير معقولة ، فعقل ينتج ويلد المعقول واللامعقول.

أما د. **محمد أركون** فيرى أن الأسطورة لعبت دور كبير في تفسير وتشكيل جوهر الحقيقي للتاريخ الإنساني، وينطلق بقوله أن عناصر الأسطورية المضافة تساهم بشكل كبير في تشكيل شخصيات نموذجية. ويذهب الأستاذ **رشدي السيسي** في مقدمة ترجمته لترجمة كتاب **بلفتش** عصر الأساطير إلى أن :الأسطورة هي سجل لإيمان الشعوب البدائية للسحر واسترضاء آلهتهم بالطقوس وبهذه الأسباب يمكن أن نصف الأسطورة بوجه عام بأنها مظهر لمحاولات الإنسان الأولى كي ينظم تجربة حياته في وجود غامض خفي ، إلى نوع من النظام المعترف به.وعلمياً عرّفت الأسطورة بأنها حكاية تقليدية تروي أحداثاً خارقة للعادة أو تتحدث عن أعمال الآلهة والأبطال أسطوريين مثل " **إليس عند يونان**".

دراسات الفعلية الدقيقة حول جمع وتحليل الأساطير ظهرت في القرن الثامن عشر في العالم الغربي و إن كان العديد من فلاسفة قد تناولوها بالتفسير حسب معطيات عصورهم فالطاليس كان أول فيلسوف إغريقي يُعبر عن موقف نقدي بحت تجاه الأساطير الإغريقية، وقد هاجم أرسطو إلى الأساطير وأعتبرها " قصصاً وهمية لا تقدم أي حقيقة لا عن الإنسان ولا عن العالم"، غير أن أفلاطون أستخدم الأسطورة في الكشف عن حقائق فلسفية وأستخدمها أيضاً بشكل مجازي في حواراته.

مع بداية القرن التاسع عشر والعشرين، تقدمت كثيراً الدراسات المتعلقة بالأساطير وظهرت معها المدارس المختلفة في تفسيراتها. وبدأ التفسير الحديث للأسطورة في القرن التاسع عشر مع المستشرق والعالم اللغوي البريطاني "ماكس مولر، Marks Mouleur الذي صنف الأساطير وفقاً للغرض الذي هدفت إليه" واعتبرها تحريفات لغوية.ثم جاء العالم الأنثروبولوجي والباحث الفولكلوري البريطاني " **السير جيمس جورج فريزر** فربط الأسطورة بفكرة الخِصْب في الطبيعة...وقد ارتبطت الأسطورة في الذهنية الجماعية وتمثلُات الأفراد بالخرافة والقصص الخيالية التي لا تصدق واعتبر كلاهما شيئا واحدا، ذلك انه بينما تعتمد الخرافة على الخيال في الغالب فإن الأسطورة تفقد مصداقيتها إذا لم تستند على واقع... لقد كانت الأسطورة بالحق الوسيلة المبكرة التي عكست فهم الإنسان إلى المعرفة وتفسير العلم من حوله.

إن إحياء ممارسة الطقسية يُعبر عن هدف معين و يأخذ في غالب بُعد ديني.

فالحدث الأول الذي يستدعي طقوس الاحتفالية الاعتقادية الاجتماعية هو الوصول إلى الاطمئنان والحماية والراحة النفسية وفي الفكر والتقرب نحو القوى التي تفوق قوى الإنسان أي قوى الميتافيزيقية التي تتحكم في الخير والشر وتهيمن على السلطة الروحية للإنسان مما تدفعه نحو ممارسة طقسية معينة لتخفيف من معاناته النفسية خاصة، الغرض منها الحماية والاطمئنان.ويعتبر الهدف الرئيسي وراء ممارسة الطقوس حسب نورالدين طوالبي في دراسته للطقس هو إعادة التوازن النفسي للإنسان نتيجة ضغوط خارجية، تبقى الحماية وظيفة الطقس قبل كل شئ لأنها تجلب راحة نفسية.وهذا ما أكده لكازنوف – Cazeneuve.J (1971) أن هناك الشعور الذي يدركه الإنسان حول **المقدس**، وهو شعور مبهم ومحير سيضطره إلى تعديلات متلاحقة ومنظمة لوضعه المشوش، وبالتالي فبسبب كونه خاضعاً **للمقدس** هذا النوع من القلق الوجودي يسعى الإنسان عن طريق الطقوس للتقرب من العالم المقدس، وهو موضع تهدئة اضطراباته.(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص38).

وهذا ما يدفع لكازنوف–Cazeneuve.J إلى القول "... كل تغير يضع الإنسان في وضعية قدسية وهو يشعر بنفسه مستقراً فيها، محدداً وها هو يخرج منها لوقت قصير ربما... إنه يجد نفسه بالتالي في مواجهة عالم القدرات المتفلتة من القاعدة يشعر أنه قلق، لأنه يواجه سره الخفي الخاص به ، مع ما يتضمنه من غموض، إن وجوده يتجاوز الوضع البشري الذي تحصره فيه القاعدة الاجتماعية والذي يشعر فيه بالأمان، عندئذ يلجأ إلى الطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليتقي الدنس أو يتخلص منه ... إن المحرمات التطهيرات، طقوس الانتقال هي ردود فعل دفاعية ضد هذه التهديدات Cazeneuve . J (1971) (نورالدين طوالبي، 1988، ص38).

2.وظائف الطقس الرمزية:

توصل نورالدين طوالبي في دراسته حول الطقس إن الهدف من هو الدافع الاجتماعي والديني لكن يبقى دافع الحقيقي الذي تكتب له الغلبة هو الدافع سيكولوجي ومن أجل ذلك إذا أردنا معرفة ديمومة هذه المظاهر وعلاقتها بالدين وإحيائها في فترات الأزمنة الاجتماعية كمرض أو مشاكل العائلية يجب دراسة الدوافع السيكولوجية التي تتضمنها السلوكات الطقسية" .(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 41)ويقترح مجدداً أنه لفهم الطقس جيداً يجب العودة إلى التحليل النفسي كما يقترح بذلك (اريك فروم E. Fromm 1968) الجذور السيكولوجية لمقتضى الفعل الطقسي وكي نبين تبعاً له أن الطقس ليس في نهاية سوى تعبير رمزي عن الأفكار ومشاعر بواسطة الفعل" (اريك فروم E. Fromm 1968).(نورالدين طوالبي، 1988، ص41). ويتساءل (إميل دوركهايم E.Durkheim) عن استمرارية الطقس بقوله عندما نرى لماذا تمارس الطقوس قد نتساءل بكل إمعان لماذا الممارسون يؤمنون بالفكرة، ولماذا هم مخلصين لها ونفس الإشكال تم طرحه من طرف كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss و(ايزامبارت Isambert. F) حيث يؤكد هذا الأخير أن

الفعالية الرمزية لطقس تستند على التصور، وبالتالي فإن الطقس يعتبر كشرط أساسي لفعالية رمزية. (Maisonneuve. J 1988, P103).(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص43).

IV. دراسات حول التمثُل Représentation":

V. 1.مفهوم التمثُل

جاء في قاموس لاروس arousse "التمثُل كفعل للتقديم من جديد لأداء مسرحية أو صورة معبرة أو ذهنية لشئ يجسد تمثُلات. التمثُل كفعل معناه إعادة إنتاج أو إظهار لصورة بصفة مادية لشئ خيالي. يرى Maisonneuve أن التصور يعتبر شرط ضروري لفعالية الشعائر، وأن معرفتها يكمن في تلك التصورات و الأفكار(Maisonneuve J 1988, p109-110)

كلمة تمثل تعني باللاتينية "Représenter" أي إعادة إحضار أو صنع أو إظهار صور بصفة مادية تقترب من الخيال.وكثيراً ما يستعمل مفهوم تصورات عوض تمثلات وهذا خطأ كبير يقع فيه الكثير من الباحثين حتى الباحثين الكبار، فمفهوم التصورات باللغة اللاتينية هو Imagination أي تخيلات والأوهام وتوهم تأخذ بُعد مجهول أي تخيل أشياء سوف تحدث أو تقع غير أن التمثلات هو إحضار شئ غائب أي كان موجوداً .وهذا الفرق كبير بينهما لأن مفاهيم يجب أن تضبط بصفة قاطعة.

التمثُل في اللغة العربية من فعل مثَل، يمثُل، مثولاً، ومثل التماثيل أي صورها، نجد في "لسان العرب" أن **التمثُل** من مثَل له الشيء: صوره حتى كأنه ينظر إليه.كقوله تعالى: " **فأرسلنا إليها روحنا فتمثَل لها بشرا سويا**" وتمثل بالشيء: ضرب به مثال أو تمثل به: تشبه به.. فالتمثيل والتمثل متقاربين وهما يشتركان في أمرين: حضور صورة الشيء في الذهن، والآخر قيام الشيء مقام الشيء.

وتطرق بلازك "Balzac" في كل رواياته باستحضار المجتمع الفرنسي إبان فترة الإصلاح وبهذا المعنى يقول "جورج دوهاميل George Duhamel": "إذا كان عدد أصدقائك ثلاثة وعشرون، فإن لديك عنهم 23 تمثلا". تقريباً التعاريف للغوية للتمثل كلها تنص على أن التمثل يرتكز على عملية استحضار وفي غالب يكون هذا الشئ غائباً وهذا ما أكده "نيكولايديس" Nicol adis" على عنصرين أساسين يلزمان عملية الفعل التمثلي:

1. أن التمثل يتميز بعنصر هام هو الغياب.
2. هو صعود تلك الصور إلى الذهن بواسطة موضوع يماثله أو يشابهه و في غالب تكون تذكارية.

تطرق **د.رفيق رشيد** في دراسته حول تمثل المغترب لبلد الإقامة ، وعلاقته بالإنتاج" الدراسة التي تمت على المغتربين بفرنسا ، إلى النظريات الهامة التي بقيت بصماتها على جُل أطروحات الأكاديمية منها " إسهامات دوركايم وموسكوفيسي وماري جوزي وميشال جيلي وغيرهما حول التمثل نتطرق لهما باختصار:

1. **دراسات إميل دوركهايم** Emil Durkheim:

مع بداية القرن العشرين تطرق دوركهايم mil Durkheim"عن التمثلات الاجتماعية كمفهوم سوسيولوجي منطلقاً من التمييز بين ما هو فردي وما هو جماعي على مستوى التمثلات مؤكداً أن التمثلات الاجتماعية أكثر حضوراً وموضوعية وأصدق دلالة من التمثلات الفردية.(د.رفيق رشيد "2006)

أ) **تعريف موسكوفيسي** Moscovici :

يتعامل موسكوفيسي مع التمثُل "كوسيلة خاصة محددة للمعرفة ولتوصيل ماذا نعرف" فالتمثُل بالنسبة له هو أنساق من المفاهيم والقيم والسلوكات مرتبطة بالوسط الاجتماعي حيث ينتقد كل نظرية التي تجعل الفاعل le sujet و الموضوع l'objet ويعتبر التمثلات الفردية في الغالب أنها تدخل من طرف الأفراد بأساليب يطغى عليها العنف والقوة، وهذا ما يجعلهم يفكرون.(د.رفيق رشيد "2006)

ب) **تعريف ماري جوزي** Marie Josée: **التمثُل** وطريقة إستحضار على مستوى الذاكرة وعملية الاستحضار تكون حول موضوع غائب وغير ممكن ادراكه ولا يكون واقعياً إلا أن الوعي به يتم بكيفية عقلانية . (د.رفيق رشيد "2006)

ت) **تعريف ميشال جيلي** Michel Julie:

يربط التمثُل بالتفاعل لأنه حاصل نتيجة فعل جماعي من طرف أفراد حيث يتحول في شكل تعابير واقعية ويتوصل **جيلي** على أن التمثل يصبح اجتماعيا بعد أن تتقاسمه مجموعة من الأفراد، بعد إنتاجه من جديد بشكل جماعي تنتج عن تفاعل الاجتماعي.(د.رفيق رشيد "2006)

V. 2.التمثُلات الجماعية:

هو إحضار وتشكيل صورة أو موضوع أو أحداث غائبة عن طريق العقل وبواسطة عمليات طقسية جادة، تكون الاعتقادات الاجتماعية والثقافية الجماعية له دور البارز في استحضارها وتُعبر بالرموز محددة اجتماعياً وثقافياً وتاريخياً وتأخذ التمثلات الجماعية أولوية للجماعة على الفرد، وتبرز في الواقع عن طريق تلك الاحتفالات الاعتقادية الاجتماعية. التمثلات الاجتماعية حول المرض والصحة والرزق والعافية والبركة والخير والشر كلها عبارة عن بناء و تشكيل الواقع.

يرى د.رفيق رشيد في دراسته حول تمثل المغترب لبلد الإقامة، وعلاقته بالإنتاج أن الشخص يحمل معه كل تمثلاته الاجتماعية من أصلها وهي من تتحكم فيه حيث يرى أن عملية استحضار الفرد صورة ذهنية عن موضوع معين يعني أنه يستند إلى الرموز هذا الفعل أو الحدث أو هذه الصورة تبقى الميزة أساسية لهذا الموضع هي أنها كانت الغائبة، وتتم عملية تنظيم فردي لحقيقة التمثل أنها جماعية وفي الغالب يستند هذا التمثل إلى مرجعية و فعالية مجتمعية.(د.رفيق رشيد "2006)

حسب د. رفيق رشيد في دراسته أكد أن العديد من الباحثين يعتبرون عملية التمثُّل عملية إعادة تشكيل الواقع، والهدف منها استحضار موضوع ذو قيمة ورمزية مميزة ويتم ذلك بواسطة بتشكيل نماذج الثقافية والاجتماعية والاعتقادية الموجودة داخل المجتمع وأحياناً خارجه عن طريق وسائل الإعلام ... وعملية التمثل تهدف إلى تغيير الواقع الاجتماعي المعاش أو محاولة التحكم فيه من جديد.

يري "**موسكوفيسي**، Moscovici التمثلات الاجتماعية تكون في الأشياء الملموسة وأنها موجودة ومنتشرة وتظهر من خلال الممارسة اليومية في عالمنا اليومي من المعاملات خاصة.(د.رفيق رشيد "2006)

V. 3.محددات التمثل:

يبقى التمثل عملية نفسية أكثر من اجتماعية، حيث يتخذ شكل محدد في الذات الإنسان بعمليتين أساسيتين هما العوامل الداخلية والعوامل الخارجية :

عوامل الداخلية النفسية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية الاعتقادية

عوامل الخارجية الثقافات الخارجية، الغزو الثقافي، الإعلام المرئي...

وهذا ما أكده "موسكوفيسي، Moscovici بأنه هناك تفاعل للعوامل الخارجية وعوامل الداخلية أثناء عملية التمثل ويؤكد بقوله **يجب التمييز** أثناء دراسة عملية التمثل بين المحدد المركزي الذي يؤدي إلى انبثاق التمثُّل وتشكيل محتواه، ومن ثم فإن تأثير المجتمع على تشكيل التمثُّلات لا يهتم تأثيرا مطلقا، إذ يتداخل النشاط الذهني والتجارب الشخصية للفرد لتشكل بدورها تمثُّلاته المختلفة. (د.رفيق رشيد "2006)

و **انطلاقا من ذلك يمكن أن توجز خصائص التمثُّل فيما يلي:**

1. أنه عملية استحضارية لأحداث الاجتماعية والثقافية التاريخية الواقعية
2. إن تحويل الصور التي يتم استحضارها هي صور ذهنية لها علاقة وطيدة بالواقع المعاش.
3. لا يمكن أن تكون هذه الصور طبق الأصل للواقع، مما تكون موضع نقد من قبل الجميع
4. يبقى استحضار عملية شخصية حسب الدوافع النفسية و الاجتماعية و الاعتقادية

أما المحدد الثانوي فهو كل ما يتعلق بالجانب السيكولوجي للفرد و ما يحمله من خصائص نفسية وعوامل التي تؤثر في عملية استحضار موضوع التمثل التي ترتبط بالوضعية الاجتماعية والثقافية والاعتقادية والبيئية ووضعيته داخل المجتمع.طقوس حول أمكنة لها طابع القدسّية فتورثتها الذهنية الجماعية عن طريق التمثُّلات الجماعية والفردية لتأخذ بعد ديني في كل ممارستها .

وبهذا الشكل سوف أهتم إذن بالمشكلة الأساسية في هذا البحث أي تحديد العوامل التي تؤدي إلى استمرار ممارسة الطقوس أمام أضرحة الصلاح وحقل الزاوية، مع الاختلاف في درجة التقديس بينهم مع توضيح الدور الكبير الذي يلعبه المقدس في تحّول الذي يعرفه الوضع الاجتماعي والثقافي لدى الجماعات المحلية وهذا ما سوف أتتطرق له من خلال هذا العمل المتواضع .

من خلال الدراسات النظرية، سوف نتطرق إلى الدراسة الميدانية وأحاول توظيف الدراسات السابقة الذكر، مع الظواهر المدروسة ونتائج المتوصل إليها .

وهذا العمل المتواضع ، ليس رغبة شخصية لإثبات مشروعيته بل هو دراسة ميدانية للظاهرة ، تطرق إليها العديد من الباحثين كل حسب غايته وهدفه ، كما أن العديد من الباحثين يرفضون تطرق بالبحث لهذه الظاهرة ، لأنه موضوع ليس للدراسة إلا من جانب واحد ؟

ولهذا أردت أن ألقي الضوء مباشرة بالمشاركة والملاحظة لكل الطقوس والأضرحة كحالة فقط، لكن نستطيع تعميمها على المستوى الوطني لأن المقدس له نفس السلطة الروحية في كل مكان وفي كل الأزمان . العديد من العلماء والباحثين وحتى من الأفراد المجتمع يرفضون هذه الممارسات الطقسية، ويتهمونها بالجمود والتخلف، ومن يصفها بالنشر البدع والخرافة ومنهم المعتدلون من يريدونها أن ترجع إلى عهدها السابق عادية تحمي الثقافة المحلية دون شعوذة، هدف واحد هو التنمية الثقافية للبلاد ...، سوف نعيش معاً وقائع حية من الحقل نحاول تحليله لنصل إلى نتائج، الغرض منها لفت أو إعطاء السبب أين المرض لأن الباحث دوره الكشف ليس لإيجاد الدواء أو الحلول.

المبحث الثالث: الدراسات النظرية حول التصوف والزوايا

I. التصوف

إن البحث عن التصوف ونشأته وأصل اشتقاقه فيه اختلاف كبير بين الباحثين الصوفية أنفسهم ومازالوا مختلفين إلى يومنا هذا.نقل عن الطوسي أبو نصر السراج [14] في كتابه الذي يعدُ أقدم مرجع صوفي عن صوفي أنه قال كان في الأصل صفوي ،فاستقل ذلك،فقيل: صوفي وبمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكناد : هو مأخوذ من الصفاء" [15] يرجع أول نشأتها إلى الجاهلية قبل الإسلام حسب بعض العلماء.... ابن خلدون في مقدمته في صفحة 476 "أن نشأة الصوفية كانت في القرن الثاني عندما **أقبل الناس على الدنيا، وأنصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية"**. والتصوف في بدايته كان عبارة عن نزعة فردية تتخذ من الزهد في الدنيا والتفرغ للمجاهدة النفس والعبادة والأخلاق الحميدة .

I. 1.نسبة كلمة تصوف:

سميت الصوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها، هكذا قال البعض، قال قوم لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسائرهم بين يده. وقيل أن اللفظ مأخوذ من الصوف، لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد.

وقيل نسبة إلى الصفة نسبة إلى الصحابة لكن النسبة إلى الصفة لا تجئ على الصوفي بل على الصفي.

وقيل نسبة إلى الصف الأول، لأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة والمنجاة

وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل مذهب القائلين بأن الصوفي نسبة إلى الصوف وأن المتصوف مأخوذ منه أيضاً "تصوف إذا لبس الصوف" [16] وهذا ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية" "وابن خلدون، إلا أنهم يرون أن الصوف هو شعار والرمز أهل الكتاب والرهبان .

I. 2.تعريفات التصوف

II. لا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه بل ازدادوا تعارضاً وتناقضاً، يوجد أكثر من مئة تعريف، وقال السهروري" وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول" [17]

سئل الجُنيد عن التصوف فقال " أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة" [18]

و ينقل عن القشيري عن الجُنيد أنه قال "التصوف عقدة لا يصلح فيها "

14 . هو أبو النصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب بطاوس الفقراء

15 كتاب "اللمع" ص 46 تحقيق د.عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور "دار الكتب الحديثة بمصر 1960 ذ

16 . مصطفى عبد الرزاق " التصوف " ص 62،57 ، دار الكتاب اللبناني

17 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " 54 مكتبة بيت السلام الرياض 2008

3. . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " 54 مكتبة بيت السلام الرياض 2008

و عن أبي حمزة البغدادي أنه قال علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة"

وذكر العطار عن أبي الحسن الحرقاني أنه قال أن التصوف عبارة عن الجسم الميت والقلب المعدوم والروح المحرقة"

ونقل أيضاً عن العطار أن الجنُيد قال الصوفي هو الذي سلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا ، وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله، وتسليمه تسليم إسماعيل، وحزنه حزن داود، وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب وشوقه شوق موسى وقت المناجاة وإخلاصه إخلاص محمد" [19]

فهده تعريفات التصوف والصوفية لدى بعض أعلام الصوفية، نلاحظ مدى تضارب في آراء والأقوال.

جُل التعاريف ترتكز حول تجريد العمل لله والزهد في الدنيا وترك ملذاتها، والميل إلى التواضع والذكر.

I. 3.بداية ظهور الصوفية :

كذلك كان اختلاف الناس في بدء هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه فذكر ابن تيمية وسبقه ابن جوزي وابن خلدون في هذا لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام احمد بن حنبل، وروي عن سفيان الثوري وحسن البصري كذلك [20]

كما انه اسم مستحدث أحدثه البغداديون لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم.حسب دراسات المتوفرة فإن ظهور مصطلح التصوف والصوفية كان أول ظهور له بالعراق وبضبط بالكوفة بسبب قرب حدودها من بلاد فارس (إيران حالياً) بالتأثير الفلسفة اليونانية بعد عملية الترجمة، ثم بتأثير طقوس الرهبان وأهل الكتاب."يعني أن هذا الاسم لم يكن موجوداً وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجوداً في كل منهم، والآن يوجد الاسم، ولا يوجد المعنى " [21]

أما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدون من موالي الصوفية وأنصارهم فمنهم المستشرق "نيكلسون" فإنه يرى لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة 150هـ غير أن المستشرق الفرنسي "ماسينيون" يرى غير ذلك فيقول"ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، إذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص،وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور" [22]

---

19 . نفس المرجع ص 55

20 . الشيخ ابن تيمية "الصوفية والفقراء"ص05 "مقدمة ابن خلدون"ص 467 تبليس إبليس لإبن جوزي ص 157 دار القلم بيروت لبنان

21 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " 59 مكتبة بيت السلام الرياض 2008

22. نفس المرجع ص 59

أما صيغة الجمع " **الصوفية**" ظهرت عام 189هـ 814م في خبر فتنة قامت بالإسكندرية، فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعياً نشأ في الكوفة بعراق.

إذن لفظ الصوفية لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة إنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وهذا ما أكده شيخ ابن تيمية وابن خلدون[23]،خلاصة أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول (صلم) و أصحابه و السلف الذي بعده يمكن القول أن التصوف مذهب معروف، يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد، وقد ذموا التصوف، في جل كتابات التي تطرقت لدراسات الصوفية،

I. 4.مصادر التصوف

فكما أختلف في أصله واشتقاقه وتعريفه وبدء ظهوره، فكذلك كان اختلاف في منبعه ومراجعه ومصدره، فتشعبت الآراء وتعددت وتنوعت الأفكار قال قائل إنه إسلامي بحت في أشكاله وصوره ومبادئه ومناهجه وأصوله، وقواعده، وأغراضه ومقاصده، حتى ألفاظه وعباراته، وفلسفته وتعاليمه، ومواجيده وروحانيته، وأذكاره، ومصطلحاته ومدلولاته، وقول أهل الصوفية ومن ناصرهم ودافع عنهم ومن تبعهم.

وقال آخرون" لا علاقة له بالإسلام إطلاقاً ،منذ نشأته وحتى بعد تطور، و هو دخيل أجنبي عنه كاسمه ودليلهم أنه لم يأخذ مصادره من القرآن والسنة، وهو رأي أكثر السلفيين ومن نهج منهجهم وكذلك الفقهاء أهل السنة.وقالت طائفة :"إنه اسم للزهد المتطور كرد فعل لزخرفة المدينة وبرزخها التي انفتحت أبوابها على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات وانغماس أغلبهم في ترف الدنيا ونعيمها" وهذا الرأي ذهب إليه إبن تيمية وبعض أعلام أهل السنة.وقال الآخرون"إنه وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية والمانوية والمجوسية والمزدكية، وكذلك الهندوكية والبوذية، وقبل كل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية التحديثية، وتمسك بهذا الرأي بعض الكتاب في الصوفية من المسلمين وغير المسلمين.[24]

وقال أحد المستشرقين "فون كريمر" أن الزهد الصوفي نشأ بتأثير من الزهد المسيحي" وقال جولد زيهر " إن مدح الفقر وإيثاره على الغنى كان من العناصر النصرانية" [25]

وأقر به ذلك الكاتب الكبير الإيراني د.قاسم غني في كتابه "تاريخ التصوف في الإسلام" [26]

كما التزام الصوفية لبس الصوف لكونه شعاراً وعلامة لهم ، مأخوذ من رهبنة المسيحية لأنه كان زيهم الخاص بهم و هذا ما أقر به الصوفي المشهور في طبقاته عن أبي العالية أنه كان "يكره للرجل زي الرهبان من الصوف ، و يقول زينة المسلمين التجمل بلباسهم" [27]

---

23 . الشيخ ابن تيمية " الصوفية و الفقراء" ص 05 ، "مقدمة ابن خلدون" ص 467

24 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " ص 66 مكتبة بيت السلام الرياض 2008

25 . أنظر ص 100 ترجمة عربية

26 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " ص 66 مكتبة بيت السلام الرياض 2008

وقال نيكلسون وماسينيون " إن التصوف الإسلامي أخذ لبسة الصوف من الرهان النصارى [28]
وقال د.قاسم غني" إن ارتداء الملابس الصوفية أو التصوف الذي نشأ عنه كلمة الصوفية كان من عادات الرهبان المسيحيين، ثم صار شعاراً للزهد عند الصوفية"[29]

صرح د.قاسم غني أن المسيحية استطاعت أن تعلم صوفية المسلمين آداباً وعادات كثيرة عن طريق زمرة المتقشفين وفرق الرهبان المتجولين ولا سيما الجماعات السورية المتجولة في كل مكان ممن كانوا على الأغلب من فرق النصارى النسطوريين، وفي حين أن تأثير كنائس المسيحية في المسلمين كان في نطاق محدود جداً "وأن الحياة في الصوامع والخانقاوات كانت أيضاً مقتبسة من المسيحية إلى حد كبير" [30]

وبمثل ذلك قال نيكلسون المستشرق الإنجليزي المتخصص في الدراسات عن التصوف حيث يذكر عن تطور الزهد في العصور الوسطى" لم يخرج الصوفية كثيراً على الحديث القائل لا رهبانية في الإسلام إلا بعد مضي عدة قرون –إلى أن يقول– وإننا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهباني ونشأته في العصور الإسلامية الأولى، ويقال أن أول خانقاه أسست لمتصوفة المسلمين كانت **برملة** في فلسطين قبل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر ، إن مؤسسها كان راهباً مسيحياً ... "[31]

أما المصطلحات الصوفية فهي أجنبية في الإسلام ولغة العربية ومقتبسة من المسيحية بحروفها وألفاظها، معانيها ومدلولاتها حيث يركز **د. بدوي** على بعض منها مثل" ناموس ، رحموت، رهبوت لاهوت، جبروت، رباني، روحاني، نفساني، جثماني ، شعشعاني، وجدانية، فردانية، رهبانية، عبودية ، ألوهية كيفوية [32]، لم يقتصر مصدر الصوفية على المصادر الفارسية أو الهندية بل ذهب فريق آخر من الباحثين إلى أن ثمة عناصر أخرى روحية يمكن أن ترد أصولها إلى أصول نصرانية.و يرى المستشرق " **فون كريمر**" أن التصوف الإسلامي والأقوال المأثورة عن الصوفية على أنهما ثمرات نمت وترعرعت ونضجت في بلاد العرب تحت تأثير جاهلي، حيث كان كثير من العرب الجاهلين نصارى وكان كثير من هؤلاء النصارى قسيسين ورهباناً"[33] و قول د.**التفتازاني** في رده على بعض المستشرقين القائلين بأن كثير من أمور التصوف مأخوذة من النصرانية ومع ذلك لا ننكر تأثر بعض المتفلسفين بالمسيحية على نحو ما نجد عند الحلاج الذي استخدم في تصوفه اصطلاحات مسيحية كالكلمة واللاهوت والناسوت وما إليها ، لكن هذا لم يظهر إلا

---

27 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " ص 96 مكتبة بيت السلام الرياض 2008
28 . نفس المرجع ص 100
29 . د.قاسم غني " تاريخ التصوف في الإسلام " ترجمة عربية ص 103
30 . إبن الجوزي " تبليس إبليس " ص 218– دار الإمام مالك – الجزائر 2007
31 . الشيخ " إحسان الهي ظهير " التصوف " ص 112 مكتبة بيت السلام الرياض 2008
32 . د.أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني " مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 24–25 دار الثقافة و نشر والتوزيع القاهرة
33 . نفس المصدر ص 25

في وقت متأخر(أواخر القرن الثالث الهجري) بعد أن كان زهد الزهاد قد استقر في القرنين : الأول و الثاني الهجريتين و أصبح دعامة لكل تصوف لاحق [34]،غير أن **د.التفتازاني** "يدرك بأن من الإنصاف العلمي القول بأن مذاهب الصوفية في العلم، ورياضاتهم العلمية ترد إلى مصدر إسلامي، إلا أنه بمرور الوقت وبحكم التقاء الأمم واحتكاك الحضارات، تسرب إليها شئ من المؤثرات المسيحية أو غير المسيحية فظن بعض المستشرقين خطأ أن الصوفية أخذوا أول ما أخذوا عن المسيحية"" [35]

I. 5.أقسام الصوفية :

أختلف العلماء الأوائل في تقسيم الصوفية، فابن تيمية قسمها إلى ثلاثة أقسام وقسمها الرازي إلى ستة أقسام . **ابن تيمية له ثلاث أقسام** :

القسم الأول: صوفية حقائق: وهم المتفرغون للعبادة والذكر والزاهدون في الدنيا.

القسم الثاني: صوفية الأرزاق: وهم الذين وقفت عليهم الوقوف ويشترط في هؤلاء ثلاثة شروط:

أ- العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتبون المحارم.

ب- التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية أما الآداب البدعية فلا يلتفت إليها.

ت- ألا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا.

القسم الثالث: صوفية الرسم: وهم المقتصرون على المظاهر كاللباس والوقار ونحوها وليس لهم رصيد من العمل،فيظن الجاهل أنهم منهم وليسوا منهم. [36]

I. 5.طرق الصوفية :

تطرق العديد من العلماء للطرق الصوفية وكل أخذ الطريقة من شيخه أو هو من أساسها وأصبحت تعرف بإسمه سوف أذكر البعض منها تطرق له **د.زهدي جمال الدين** في كتابه "الصوفية الوجه الأخر"، وبعض ما تطرقته الموسوعة الحرة "مع ويكيبيديا " طرق الصوفية ".

يعتبر الهجويري [37] المتوفي سنة 456هـ أول من كتب عن طرق الصوفية وقد قسمهم إلى 12 فرقة منها 10 مقبولة كما يقول واثنتان مردودتان ذكرهما تحت اسم "الحلولية"

الحقيقة أن طرق الصوفية كثيرة جداً و يصعب حصرها ، إذ كل من سولت له نفسه أبتدع طريقاً فعل وسماها باسمه أو اسم عشيرته أو لقبه ، وهذه مشاهد تتعشعش كثيراً في بلدان إفريقية ، إذ بين حين و أخر تخرج طريقة جديدة تحمل اسماً جديداً و أوراد مقررة و كرامات جديدة و...و...

---

34 . نفس المصدر ص 28

35 . أبي الوفاء الغنيمي التفتازاني " مدخل إلى التصوف الإسلامي" ص 30 دار الثقافة و نشر والتوزيع القاهرة

36. د. عامر النجار " الطرق الصوفية في مصر" دار المعارف قاهرة. (2001)

37 . هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي و كنيته أبو الحسن ، ولد فيما بين العقد التاسع و العاشر من القرن الرابع الهجري ،من أهم مؤلفاته "الديوان" و كشف المحجوب توفي بلاهور بباكستان سنة 465هـ (طرق الصوفية)

I. 6.أهم الطرق الصوفية

الطريقة الجُنيدية : وتنسب إلى أبي القاسم الجُنيد بن محمد وطريقته مبنية على الصحو ويعرف عنه الصحو أنه صحة حال العبد مع الحق ، وطريقته من أشهر الطرق في القديم.[38]

الطريقة المحاسبية : نسبة إلى أبي عبد الله الحارث المحاسبي و تقوم على تجريد التوحيد بصحة المعاملة الظاهرة و الباطنة ،وعلى الرضا على الأحوال التي يُقدر الله على عباده والرضا حسب هذه الطريقة نوعان :

- ✓ رضا الله عن العبد وحقيقته عندهم إرادة الثواب والنعمة والكرامة للعبد.
- ✓ رضا العبد عن الله وحقيقته استواء القلب على طرفي القضاء والمنبع والعطاء.[39]

الطريقة الخلوتية : نسبة للشيخ محمد الخلوتي وتنتهي هذه الطريقة إلى قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري وهي مبنية على ذكر بكلمة "**لا إله إلا الله**" بكيفية خاصة ثم ذكر الجلالة ثم الأسماء العشرة على الترتيب: هو حق، حي، قهار، وهاب، فتاح واحد، أحد، صمد، قيوم وقد أخذ هذه الطريقة أحمد التجاني عن محمود الكردي المصري، ثم صار أحمد التجاني مبتدع لطريقته الجديدة.[40]

الطريقة القادرية: تنسب إلى الشيخ **عبدالقادرالجيلاني** المتوفي سنة 561ه وهذه طريقة لها أتباع في جميع أنحاء العالم منها:بلادنا الجزائر وكل بلدان المغاربية وغينا، تّم تشييد قبب باسمه، وتُقام له الوعدة باسمه سنوياً

الطريقة الرفاعية : وتنسب إلى أحمد الرفاعي المتوفي سنة 578ه، وله مؤلف تم جمعه من خلال كلامه إسمه:"رحيق الكوثر"وهي شعبة من القادرية الصلة بين التصوف والتشييع، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب[41]

الطريقة الشاذلية: تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي المتوفي سنة 656ه و له الأوراد المسماة "حزب الشاذلي" ولها عدة أتباع في المغرب وفي بلادنا خاصة في جنوب الغربي، والطريقة الشيخية تنطلق منها اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو".[42]

الطريقة التيجانية :تنسب إلى أحمد بن محمد التيجاني المتوفي سنة 1238ه ،له عدة أتباع في إفريقيا يعدون بالملايين، لها عدة أوراد وطقوس ويعتقدون بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء

---

[38] . د. عامر النجار " الطرق الصوفية في مصر" دار المعارف قاهرة، . (2001)

[39] . نفس المرجع

[40] . نفس المرجع

[41] . موسوعة ويكيبيديا " موسوعة الحرة" طرق الصوفية" 2020، www.wikobidia.com

[42] . نفس المرجع

به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا ، و يقولون أن الشيخ سأل النبي يقظة عن نفسه ، و تكلم معه...، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة "الفاتح لما أُغلق" التي تحتل لديهم مكانة عظيمة. [43]

الطريقة الشيخية : المنسوبة إلى سيد الشيخ في الأبيض سيد الشيخ وهو على طريقة الشاذلية البوعمامية منتشرة في الجنوب الغربي للجزائر وفي المغرب و لها أتباع في كل مكان خاصة في فرنسا. [44]

الطريقة النقشبندية :تنسب إلى الخواجة بهاء الدين محمد النقشيدي البخاري، ولها صلة بين التصوف والتشييع ، ويدعون أن طريقتهم تعتبر سنداً إلى رب العزة ، وعنه من جبريل إلى الرسول محمد، إلى أبي بكر أول خليفة ثم ... خلفاء إلى أن وصلتهم. [45]

الطريقة المهدية: تعتبر حركة الثورية لها سند وفكر إسلامي سياسي، تنسب إلى محمد المهدي ، وكان أول ظهور في بداية القرن الماضي في السودان، ومازال أتباعها يناصرونها ويسعون لتكون لها دور بارز في الحياة السياسية في السودان خاصة بعد نشر المسيحية و أحداث الدامية التي تحدث حالياً.

II. الزوايا

III. 1.الحقل و الفضاء الديني للصاليح

التمثُل "**الزوايا** " المكان الروحي للعامة مُهمتها الأساسية هي تعليم و حفظ القرآن الكريم وإيواء السبيل عند بعض المثقفين أنها ظاهرة " **فلكلورية** " تدخل في التراث الشعبي تُقام فيها عدة الطقوس مثل "الحضرة" الوعدة" زيارات قصد الشفاء ... ، وبعض الأخر يرى "الزوايا" مؤسسة اجتماعية وثقافية قائمة بذاتها إنها مكان ذو قيمة روحية وثقافية واجتماعية و لها البُعد السيكولوجي والأثنولوجي أريد أن أدرس هذه الأمكنة لمكانتها قدسية دراسة علمية موضوعية.

التصوف موجود في بلادنا منذ أزل اشتهرت عدة الطرق منها أكثر انتشارا طريقة دينية القادرية نسبة لـ "عبد القادر الجيلاني" [46]التي كانت السبب في ظهور الطرقة القادرية في بلاد المغرب ومن بينها الجزائر، التي ظهرت فيها عدة طرق مثل الطريقة الشيخية التي سيطرت على الجنوب الغربي . وقد كان

---

43 . نفس المرجع

44 . . أ. حاكمي مصطفى " طريقة الشيخية" www.cheikhiyya.com

45 . موسوعة ويكيبيديا " موسوعة الحرة" طرق الصوفية" 2020، www.wikobidia.com

46 . عبد القادر الجيلاني و إسمه الحقيقي أبو صالح السيد محي الدين عبد القادر الكيلاني بن السيد أبي صالح موسى من بغداد و نسبه بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما فبينه وبين بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احد عشر أبا أما نسبه من جهة أمه فيرجع لسيدنا الحسين بن علي فأمه هي السيدة الشريفة والدرة المنيفة الحسينية أم الخير أمة الجبار فاطمة رضي الله عنها بنت السيد عبد الله الصومعي الزاهد ابن السيد أبي جمال الدين محمد ابن السيد محمود ابن السيد أبي العطا عبد الله ابن السيد كمال الدين عيسى ابن السيد الغمام أبي علاء الدين محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا ابن الغمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الغمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الغمام الهمام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين ابن الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، و يلقب بسلطان الأولياء .

للطريقة دور اجتماعي وسياسي كبير في المغرب لتعايشها السلمي مع المحيط الاجتماعي، بفضل مؤسستها الزاوية المؤسسة المادية والروحية للطرقية والتي تعتبر كمراكز دينية اجتماعية، سياسية، وثقافية، كان لهذه الزوايا دور وحضور عظيم حيث مرت بمراحل تاريخية، كان لها فيها أدوار ونكسات تأثرت من خلالها بالظروف الاجتماعية والسياسية لكل مرحلة منذ نشأتها مع القرن الثاني عشر ميلادي.(العقبي صلاح مؤيد 2000، ص 16)

II. 2.أصل الأولياء " الصالحين:

الباحث عن أصل الأولياء الصالحين يتذكر قوله تعالى ألا أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون" أشتق هذا الإسم من هذه الآية المباركة والتي تعني التقوى والإيمان لكن وقع اختلاف كبير في تحديد أصل هذه الفئة، فيرى البعض أن هذا الاسم أطلق عليها من ربطها لنفسها عن الشهوات وطلاق دنيا، ويرى آخرون أصلهم من دولة المرابطين التي كان ميلادها دولة المغرب وتميزهم بالزهد وبالحياة الدينية وابتعاد ويرجعها البعض إلى تقاليد الشمال الإفريقي قبل الإسلام كونها شكل من أشكال العبادة والامتلاك عن البربر أي من المعتقدات القديمة التي ارتبطت بعد ذلك مع الإسلام "فارتباط الإسلام بهذه الأفكار التقليدية حيث المتماثلة مع جنون الإسلام ومهابة المقدسات واحترامها التي كان يتمتع بها سحرة و قديسو البربر القديم تحولت هذه المعتقدات إلى ظاهرة للأولياء" (**سوفي فرشيوا** ، Sophie Ferchiou 1978 ص.19) ويؤكد بعض الباحثين وهذا ما يعتقد فيه كثير من مريدي هذه الأمكنة أنهم قدموا من الصحراء الغربية ويرتكز هذا الرأي على شهادات الأولياء نفسهم في تحديد أصلهم من الساقية الحمراء ، وآخرون يشيرون على أننا أمام أسطورة من رجال **Hodudun** لإخفاء أصلهم البربري (**نذير.أ**، A. Nadir 1977).

ذهب **نذير** .أ إلى الاعتقاد باحتمال أصل هذه الظاهرة إلى الاحتمال الأول، الذي يؤدي بنا للقول أن هذه الظاهرة لها علاقة بالتصوف الذي اشتهر به المغرب الكبير فالتصوف سبق ظاهرة الأولياء هذه الأخيرة التي لم يتطرق لها ابن خلدون شاهد العصر، وبالتالي نستطيع أن نأخذ برأي نذير .أ بعد تفحصه للكتابات المخطوطات والأساطير أن حركة الأولياء من التصوف مع القرن 15 و 16 م، وهذا بفضل النخبة الأندلسية: الأندلسيين كانوا بدون شك أصل للحركة المرابطية (**نذير.أ**، A. Nadir 1977). فانتشار التصوف في الجزائر وفي المغرب العربي كان بفضل النخبة الأندلسية [47] وهذه النخبة التي توافدت عبر عدة أفواج متعاقبة:مثقفون، عسكريون، محاربون بعد سقوط غرناطة على يد المسيحيين، وكان من بين

47 . كان دخول الأندلسيون إلى بلاد المغرب مع بداية القرن 15 م بعد هروبهم من غرناطة باحثين عن مأوى فيها و بوصولهم إلى المغرب اكتشفوا أن المغاربة و حكوماتهم لم تكن فقط مختلفة عن مسلمين الإسبان و كذلك غير واعين بخطر المسيحية القريبة منهم من هنا قرر الأندلوسيون أن يضعوا قواهم في سياسة المغرب فهناك من أختار طريق التعاون مع الحكومات المحلية كإداريين ورؤساء عساكر ومحاربين كما حدث في المغرب الأقصى و كمراقبين و مستشارين للحكومة التركية في الجزائر و صوفيين رفضوا المناصب الرسمية و كونوا نظام القدرية

الوافدين كذلك الصوفيون الذين كونوا نظام القدرية، و للحالة الاجتماعية والسياسية السيئة في المغرب اتجهوا إلى المناطق البعيدة من هذه البلاد بهدف تعليم الصوفية. (**نذير.أ** . Nadir (A) 1977.).

وهذا الرحيل لم يكن فشل في المدينة، بل بوجودهم في المدينة تعلموا المفاهيم اللازمة على جغرافية البلدان وسكانها، وبها كونوا طلبة توزعوا بدورهم إلى أماكن أخرى لتعليم الطريقة (**نذير.أ** . Nadir (A) 1977.). وكان أكبر أستاذ لهذه المرحلة هو **سي أحمد بن يوسف الراشدي**[48]

II. 3.بداية الزوايا والرُّبط :

أنشيء أول رباط زاوية صوفي في المشرق في عبادان، أنشاه عبد الواحد بن زيد في حوالي سنة 150 هـ، أما في المغرب وبالشمال الأفريقي عموماً ، فكان أول رباط فى عام 180هـ تقريبا بالمنستير "تونس"وتلاه رباط سوسه "بتونس" 206 هـ ثم انتشرت الربط خلال القرن الثاني والثالث والرابع والخامس زهدي جمال الدين "الصوفية الوجه الأخر 2007)

II. 4.وظيفة الرُّبط وانتشارها:

الرباط هو الدفاع عن الثغور في المقام الأول ضد هجوم النصارى الغزاة من البحر والبر حسب المعلومات التاريخية فإن هذا الربط لم ينتقل من سواحل أفريقيا إلى سواحل المغرب الأقصى إلا فيما بعد والرباط كان معروف إبان الوجود الإسلامي في الأندلس خاصة مع ولاية " **عبد الرحمن الداخل** " الذي أحي دولة الأموية من جديد بعد زاولها في المشرق، وكان الهدف تركيز الهجمات على الأعداء الذين كانوا يتربصون بطرد المسلمين من الجزيرة ، أما على الساحل الأفريقي فكان الهدف هو تركيز الهجمات المسيحية على شاطئ المتوسط وأيضاً لقتال المرتدين من سكان البلاد، فكان الرباط عبارة عن قلعة متقدمة وملجأ للسكان المسلمين المجاورين في حالة هجوم الأعداء.

وقد انتشرت هذه الربط كما قلنا على طول الساحل الأفريقي، وكانت وسائل الإنذار فيما بين هذه الحاميات هي إشعال النيران لتعلم بقية الربط فتقدم النجدة والعون، ولهذا نلاحظ وجودها على أعلى مرتفع في المنطقة عادة وأقربه إلى البحر.ثم ومع بدايات القرن الخامس الهجري ابتدأ الرباط يتطور ويضاف إلى مهامه مهام أخرى لا تقل أهمية عن السابقة، فقد أصبح معهداً لتعليم المسلمين وخلال سبعة قرون من التطور أصبحت الزوايا اليوم مؤسسة اجتماعية وثقافية مهمتها تعليم القرآن ونشر تعاليم الشريعة وإن

---

48 . هو من مليلة يقال انه أبتعد نحو ساقية الحمراء لتعليم الصوفية على الطريقة عبد القادر الجيلاني ترك هذه المنطقة بعد أن كون أستاذ تركه على رأس زاوية ثم اتجه نحو الجزائر و غريس بمعسكر ، و مستغانم مازونة تنس البليدة ، شرشال و أستقر بمليانة و كان له تلاميذ مثل سي محمد الشريف بقلعة بني راشد بجرجرة و سي محمد بن عبد الرحمان السهلي أستاذ سيد الشيخ و سيد بن صفية و سيد احمد بن موسى مؤسس زاوية كرزاز

كانت عندنا منصبة على المذهب المالكي، ورعاية السبيل وتقدم المأوى و المأكل لهم وتنشر الأمان على طول الطريق.

تاريخ يُذكرنا بالدور الذي قامت به الزوايا في بداية من نشر الدين الإسلامي ومحاربة المرتدين ولعلنا نلاحظ أن جميع ساكنة ووثني شمال أفريقيا باستثناء أقلية ضئيلة من اليهود دخلوا الإسلام،وهذا لاشك لكثرة الزوايا بهذه المنطقة، إذ لم توجد هذه النسبة المرتفعة من الانتشار حتى في الشام والعراق رغم وجود الخلافة بها.

II. 5.رحلة ابن بطوطة :

ويخرج ابن بطوطة فى رحلة من طنجة عام" 725" هـ ليظل ولمدة " 28" عاماً في تنقل وأسفار، طاف فيها بآسيا وأفريقيا والأندلس، وليضع كتاباً يذكر فيه ما يقرب من **مائة وثلاثين زاوية** كانت تقدم الطعام وتقري الضيف، وتقدم للمسافر الأمن والطمأنينة بل وتعطيه الزاد والثياب في طول البلاد الإسلامية وعرضها وحتى غرب آسيا .

II. 6انتشار ظاهرة "الأولياء" الصالحين:

كما سبق القول أن جُل من يتصفون بهذا الاسم يدلون أن أصلهم من الصحراء الغربية وبضبط من ساقية الحمراء، لكن الحقيقة أنه لم تكن ساقية الحمراء المنبع الثقافي التصوفي الوحيد بل سبقتها المدن الكبرى التي حصرت فيها هذه الطريقة الدينية **كتلمسان** الجزائر و**فاس** المغرب تونس والتي كان هدفها نشر الإسلام ومن هذه المنابع تخرج عدة تلاميذ انتشروا عبر كامل بلاد المغرب العربي لنشر الطريقة التي كان هدفها نشر الإسلام في البلدان المغاربية خاصة في المناطق البربرية البعيدة عن المراكز المؤسسة. وكذلك في البلدان الإفريقية الجنوبية والتي دخلها الإسلام عن طريق المتصوفة ، فكان الهدف الأول أسلمة سكان البربر بتعمق كبير للدين لأن بداية انتشار الإسلام في المغرب كان عبارة عن خضوع السكان للسلطة المسلمين – بالجباية ولم تكن هناك ممارسة للشريعة الإسلامية لدى سكان هذه البلاد. (نذير.أ ، 1977 A. Nadir)

وانتشار هذه الظاهرة واجه صعوبتين حسب البحث الذي قام به (**نذير.أ** ، 1977 A. Nadir):

- ✓ "عدم قدرة الأولياء" **المرابطين** الاتصال بالسكان المحليين لعدم معرفتهم البربرية، فبدأ الصوفيون يعلمون البربر طريقة الكلام للاتصال بهم وكذلك المعلومات الخاصة بالبلاد والرجال وبتعلم لغتهم وعاداتهم اقتربوا من السكان وحاولوا حل مشاكلهم وحمايتهم فكان أول عمل يقوم به الصوفيون.
- ✓ الفوضى وانعدام الأمن التي كانت تعيشه المنطقة من جراء حروب القبائل ضد السلطة المركزية لذلك انتشر الأولياء في المناطق التي ليس لها سلطة سياسية مؤسسة كبلاد القبائل الأوراس، قسنطينة وانتشروا عبر السهوب وفي الجنوب الوهراني والتيتري وانتشار تزامن مع الفتوى الصوفية **لأحمد بن يوسف** لتحرير كل العبيد للقضاء على العبودية مما زاد من انتشارهم بكثرة.

كان من نتائجها تشكل قبائل الأولياء أو المرابطية في المغرب الكبير بهذا الانتشار أصبح المغرب يتميز – مقارنة مع بلاد المشرق – بظاهرة الأولياء التي اختلف الدارسون في تسميتها، في الجزائر من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها تتواجد قبة أولياء (...) (**نذير.أ** ، 1977 A. Nadir)

II. 7. معنى الزاوية و الولي" الصاليح ":

الزاوية من زّويّ مصدر زّوّى الشئ يزويه وزّيّا وزُويّا فأنزوى نحاه فتنحي، وزواه وزويت الشئ جمعته وقبضتنه، اشتقت عبارة الزاوية من فعل يحيل على الضدين فيفيد أزال من جانب و جمع من جانب ثان أضاف صاحب لسان العرب ابن منظور الزاوية واحدة الزوايا، من المعاني المتصلة بفعل زوي" معنى القرب وقد ورد في حديث "عمر بن الخطاب رضي الله عنه "كان له أرض زوتها أرض أخرى"وهي معنى الإحاطة بالشئ في المظهر المحسوس والمجرد، معنى الزاوية إزالة المفاسد عن الإيمان وجمع معطيات العقيدة الصحيحة وإن أضاف إلى هذا المعنى الأول معنى القرب والإحاطة لأن الزاوية ليست الانزواء عن الناس بل هي الانزواء عن المعاصي و عن الضلال وهي زاوية للناس قرباً منهم وإحاطة بشؤونهم . (لسان العرب لإبن منظور)

أما الأضرحة الولية فهي جمع ضريح، والضريح هو الشق وسط القبر وتعارف الناس عليه إذا دفن فيه شخص له قيمة دينية أو غيرها من القيم التي تحتل من نفوس الناس مكانة كبيرة، واتخذت الأضرحة شكلا معينا من البناء تعلوه قبة تفنن الناس في شكلها وفى زخرفتها ، وتمثل زيارة الأضرحة جزءا من الثقافة الشعبية في بلادنا وهي ثقافة عمرها مئات السنين، العديد من المواطنين، أغلبهم نساء، يقصدون الأضرحة لزيارة قبور "أصحابها"من الأولياء والتبرك بترابهم وطلب التوسط لهم بل حتى ترجيهم في تحقيق أمنيات وآمال ورغبات، كل حسب اختصاصاته والعديد من الأضرحة تُشعّل لها الشموع وتغطى قبورها بأثواب خضراء ويتبرك بترابها حيث تدهن به الصدور والبطون بشتى الممارسات الطقسية.**من أجل البركة المقدس**

II. 8.الزوايا عشية الاستعمار الفرنسي

تفطن الاحتلال الفرنسي بعد مدة طويلة من وجوده بعد إصرار المقاومة لوجوده قيمة وشدة تمسك الشعب الجزائري بالإسلام الذي كانت المساجد والكتاتيب والزوايا المؤسسات الاجتماعية وثقافية والدينية الذي تمثله.وفي تلك الحقبة الاستعمارية انتشرت الطرقية والزوايا وتعددت، مما ساعدها على الإمساك بالمعالم الثقافية والشعبية للمجتمع الذي كان يرى في طرقية سوى الإسلام لا حسب، وكان لمشايخ الزوايا والطرق نفوذ عظيم ومكانة كبيرة لدى الأهالي ولا يساويهم أحد من العلماء الدين والمعلمين والقضاة وحتى أئمة المساجد، أمام قيمة المشيخة، ولم يكن بوسع عالم سواء أكان مدرسًا أو رائد الواعظ والإرشاد والسعي في إصلاح العباد، أداء مهمة"إلا إذا كان ينتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية، المنتشرة في البلاد، لأن

العقيدة الراسخة في النفوس، أنه من لا شيخ له، فالشيطان شيخه [49]،وبالتالي كان من الصعب بل من المستحيل التنكر لها وعدم الاعتراف بها، لأن نكرانها جميعًا وعدم الانتساب إلى واحدة منها، يؤدي إلى الرمي بالمروق من الدين، والإلحاد فيه ويدفع بالعامة إلى الانصراف عن ذلك العالم أو المصلح، لأنه مهما بلغ من العلم والفهم لا يجد في مجتمعه أنصارًا ولا من يسمع إليه ويقتدي به، إلا إذا انتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية أمام هذه المرتبة التي وصلت لها المشيخة والطرقية، كان عليها في بداية أداء واجباتها الحقيقية ومن أهم واجب هو حمل راية الجهاد ومقاومة المحتل الغازي وهذا ما لا يختلف عليه اثنان أو يعارضه أحد وتاريخ يشهد على للسان الأعداء وكما قال الله في كتابه و شهد شاهد من أهلها.

فقد تطرق أ. **زقاي أحمد** في موضوعه"**القصة الصراع بين التدين الخرافي والإسلام النقي**" عن جريدة الشهاب"بتطرقه للشهادات أكبر ضباط أذاك عن دور الهام الذي لعبته الزوايا والطرقية في مقاومة الوجود الاستعماري منها ما كشفه الضابط **دي نوفو**" ،"Di novo في كتابه **الإخوان** الصادر سنة 1845م عن الدور الرئيسي الذي أدته الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال، وتحدث النقيب " ريتشارد" Ritchared عن **ثورة الظهرة** التي قامت سنة 1845م مبرزا الدور المهم الذي قامت به الطرق الصوفية في هذه الثورة ومن تقرير للمفتشية العامة حرر بالجزائر سنة 1864م يعترف بالدور الخطير الذي تقوم به الطريقة الدرقاوية الدرقاوية كانوا معادين لنا كل العداء لأن غايتهم كانت سياسية بوجه خاص، أرادوا أن يشيدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردوننا، إن هذه الطريقة منتشرة جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سرية وكانت أغلبية رؤسائهم معروفة ." [50]

كما يتطرق للأساليب التي كانت تحيط بالزوايا من السرية التامة، وما يجري داخلها، من نشاط شيوخها والتي لم يستطع الاستعمار بما لديه من إمكانيات ووسائل الإطلاع عليها من أهم عوامل نجاحهم وصمودهم، ويستشهد بقول ماك ماهون Mac-mahone سنة 1851:يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيه [51] "ويقول أ.**زقاي أحمد** أن السيد "أوكتاف ديبون" Octaf- Dibbon المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر ومن مؤلفي كتاب الطرق الدينية في الجزائر 1897م في تقرير بعث به إلى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها "كليمانصو"Clemenceau إننا سلفا نجد يدا مرابطية وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا"زقاي أحمد 2007. لا أحد ينكر دور الزوايا والطرقية في رفع لواء الجهاد ضد الاستعمار منذ الوهلة الأولى و هذا ما يؤكده المؤرخ الفرنسي **مارسيل إيميري** Marcel émeri: إن معظم الثورات التي وقعت

49 . زقاي أحمد "عن الشهاب" القصة الصراع بين التدين الخرافي و الإسلام النقي" 2007

50 . زقاي أحمد "عن الشهاب" اقصة الصراع بين التدين الخرافي و الإسلام النقي" 2007

51 . نفس المرجع

خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أعدت ونظمت ونفذت بوحي من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدت دورا أساسيا في هذه الثورات: الرحمانية السنوسية، الدرقاوية، الطيبية ."زقاي أحمد ، 2007.

إن للانتفاضات والثورات الشعبية التي قامت بها الطرقية خلال القرن التاسع عشر على أسس دينية، وهي الجهاد ضد النصارى المعادين للإسلام، وبناء على ذلك أدت الزوايا دورا كبيرا ورائعا في معظم تلك الانتفاضات وأثّرت بشكل جلي على مسارها واستمرارها، فنجد أن الشيخ "محي الدين" حمل راية الجهاد وحملها بعده ابنه "الأمير عبد القادر" لمدة سبعة عشر عاماً ذاقت فيها فرنسا ويلات الهزيمة واعترفت بدولة الأمير.. وكان من أبرز المجاهدين في جيش الأمير عبد القادر" الشيخ " محمد بن علال بن الولي الصالح الشيخ "مبارك" دفين القليعة وشيخ زاويتها، الذي تولى قيادة الجيوش وخاض كبريات المعارك في نواحي وهران إلى أن سقط شهيدا في معركة وقطعت رأسه ووضعت في حراب من جلد وأرسلت إلى مريديه وأتباعه. منذ دخول الاستعمار إلى أرضنا لم تتوقف المقاومة يوماً ، وتشهد كل البقاع والمناطق تواجد الزوايا والطرقية أنها كانت بمرصاد له ويكشف لنا أ.زقاي أحمد عن ما شهدته منطقة الظهرة في شهر يناير من عام 1845م معركة هامة أطلق عليها الفرنسيون "انتفاضة الطرق الصوفية"، وذلك لمشاركة عديد الطرق فيها كـ: الرحمانية، القادرية، الطيبية، وانتقم المحتل من عرش أولاد رياح الساكن جنوب مدينة تنس والذي كان له شرف المشاركة في هذه الثورة .زقاي أحمد ، 2007،ولا ننسى ثورة البطل الشيخ " بوعمامة"، التي انتشرت عبر مناطق عين الصفراء وتيارت وفرندة وسعيدة وعين صالح وتوات، وكرزاز، واستمرت ثلاثة عقود من الكفاح. وكانت ثورته امتداد لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ جنوب وهران، استمرت من سنة 1864 إلى 1880م، وامتدت إلى جبل عمور،التيطري ،متليلي، ورقلة، أدرار،سعيدة،غليزان، سور الغزلان .... وثورة "بن ناصر بن شهرة من الطريقة القادرية الذي بدأ يعد للثورة سنة 846 م، اعتقل سنة 851 م ووضع تحت الإقامة الجبرية رفقة عدد كبير من أتباعه من رجال الأرباع في محتشد قريبا من بوغار.قال عنه الضابط الفرنسي لويس رين Louis rine:كان ابن ناصر بن شهرة الملاح الحقيقي للصحراء". زقاي أحمد ، 2007 وثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 871 م، التي كان الشيخ الحداد زعيمها الروحي وهو شيخ الطريقة الرحمانية التي كان لها الدور الرائد في قيام هذه الثورة بخروج طلاب الزوايا من سيدي موسى اويدير وآث وغليس وغيرها من الزوايا التابعة للطريقة الرحمانية استجابة لدعوة الجهاد ... وهكذا كان حال الطرقية والزوايا هي " غالبه إلا أن تفطن الاحتلال لقوة نفوذها فسعى لاحتوائها واستيعابها والسيطرة عليها لبسط نفوذه وإحكام سيطرته بعد أن عجز على تحقيق أمانيه باحتلال الجزائر في شهر واحد.

وقد ورد في تقرير الملازم "بوسري" Bouserie بعد اشتداد الانتفاضات والثورات سنة 1846م :" إن مشايخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يحطم فيهم وبسرعة الشعور

الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألد أعدائنا والتي يجب أن نخشاها ونخطط لها سياستنا، ولقد كانت القبائل الأشد عداء لنا هي التي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي ." زقاي أحمد ، .
2007

II. 9الاستعمار الفرنسي والزوايا:

العديد من الباحثين يبرزون كيف استغل الوجود الاستعماري الفرنسي مكانة الزوايا في المجتمع وكيف وظفها لخدمته بعدما كانت ضده وأصبح يشجع إقامة الاحتفالات و عترف بها ويشارك في كل الطقوس العقائدية لكل طريقة على حدى وتكون المساعدات على حجم كل طريقة وأهميتها بين أوساط الأهالي وخدمة التي تقدمها لإدارة الفرنسية. تاريخيا كانت الاحتفالات تقام في أمكنة وأزمنة اكتسبت مع الوقت قدسية خاصة تصاحبها مجموعة من الشعائر والطقوس وحسب دراسات اجتماعية فان هذه الاحتفالات و"الوعدات "عرفت تطورا ملحوظا إبان فترة الاستعمار يشير محمد إقبال "إلى رسوخ هذا الفكر السلبي البعيد عن صميم العقيدة الإسلامية الصحيحة في ذهن المسلم حتى غدت هذه الأنماط من التفكير عقبة في طريق التحرير ومقاومة الاستعمار.[52]

كان الدعم المادي والمعنوي للسلطات الاستعمارية للشيوخ الزوايا في توفير الأمن والسلامة لزوار ومريدي الأضرحة سنوياً، يثبت التاريخ أن الزوار لهذه الأماكن أثناء الموسم الاحتفالي الوعدة كانوا يدفعون نصف التسعيرة على متن القطارات أثناء تنقلاتهم للحضور الاحتفال بالمواسم الوعدة وفي 7 جوان 1936 استطاعت جمعية علماء المسلمين بقيادة **ابن باديس** عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري غايته توحيد المطالب والخروج بقرار موحد بضرورة المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية، تاريخ يحفظ لـ د . **ابن جلول** كيف طعن الجمعية ودعا مع غيره إلى الاندماج [53] ويذكر صاحب المقال كيف قام هذا الأخير يالزردة (الوعدة) بالقسنطينة بتاريخ الأحد 10 أكتوبر 1936 تحت رعاية السامية للإدارة الفرنسية وفي يوم عطلة (الأحد) وتقدم بمنشور إلى الأمة لكل أطراف القطر، وتبادر شركة القطار بتخفيض أسعار الركوب إلى النصف وتقدم السلطة الإستعمارية المعونة والإمدادات المادية وحملة إعلامية واسعة على الجرائد إلى اتحاد المسلمين إلى حفلة إسلامية إلى احتفال بذكرى أجدادنا"منشور9-10 أكتوبر 1936 [54]

و يذكر في هذا الصدد **الشيخ ابن باديس** " أنه أعطاه الماليون المعروفون قناطير الفارينة ورؤوس البقر ليقيم زردة لأموات وجه الأرض على أموات بطنها ..." [55] وقد حظر هذه الزردة حوالي خمسين ألفا من رجال

---

52 . مبارك ميلي " الشرك و مظاهره" مطبعة الشعبية 1989

53 . نفس المرجع ص 90

54 . أ مبارك ميلي " الشرك و مظاهره" مطبعة الشعبية 1989

55 . الشيخ بلقاسم بن رواق " الزردة رأس كل شر " دار الفضيلة ص 100

ونساء وبحضور الإدارة الفرنسية والقياد والمقاديم ومشايخ الطرقية ومواكب والأضواء و هي تكريماً للوالي الصالح "**سيدي عاتي**" الذي سميت المقبرة باسمه مقبرة كدية سيدي عاتي" [56]

ورغم كل ما قامت به الجمعية علماء المسلمين من توعية، وخاصة الإندماج وطمس الهوية العربية الإسلامية ومحاربة الدجل وسلب عقول وأموال الناس قامت الحركة الطرقية بمساندة الإدارة الفرنسية بمؤتمر الزوايا سنة 1937 فتأسست بقسنطينة يوم 4 فبراير 1936 ((**جمعية الطرق الصوفية**)) وهذا من أجل محاربة الحركة الإصلاحية التي كانت الجمعية علماء المسلمين أحد روائدها. [57]

وذكر في هذا الصدد المؤرخ الفرنسي (ميل دارمنغهم Dermenghem Emile 1945) "أن ضريح الولي سيدي عابد كان يزوره سنويا من 80 إلى 100 ألف زائر من الجزائر العاصمة ووهران ومناطق أخرى" وكانت تقام المواسم تحت حراسة الدرك والأمن الفرنسيين والمجندين والقياد، وهذا ما أضاف شحنة قوية بين السلطة المعنوية الروحية والسلطة السياسية – العسكرية للفرنسيين الزمنية.(نورالدين طوالبي الدين والمتغيرات والطقوس 1988 ص 54)، وهذا التعاون الروحي و الزمني بين الاحتلال و المشيخة في سيطرة الكاملة على المناطق التي يتحكم فيها شيوخ الطريقة ،كما ساهمت في انتشار بل توالد المذهل الزوايا والتي بلغ عددها حوالي 349 زاوية آنذاك، ومن جهة أخرى قامت الإدارة الاستعمارية بقمع أعضاء جمعية العلماء المسلمين وخنقهم والتضييق عليهم بحصار كامل وذلك بغلق مؤسساتهم ومدارسهم ومطاردة علماءها وبذلك تم فسح المجال أمام تحت رعاية السامية للسلطة الاستعمارية للطرقية والمشيخة التي كان أغلب شيوخها من قياد والذين كانوا يمثلون التدين الشعبي المغشوش ليخدر الشعب ويغذي مخياله الجماعي بالأساطير والخرافات وكثيراً ما كانت دعايتهم ضد الثورة التحريرية ،وتلك الكرامات والقصص الوهمية التي تجعله في النهاية يعيش الأوهام وتنزع منه كل أنماط التفكير الناقد والسببي الذي يثير التساؤلات والشكوك.وبذلك يثبت التاريخ كيف حاول الاستعمار تقديم والاهتمام ببعض الزوايا وشيوخها من أجل استخدامهم لإغراضه الخاصة ومنها ابتعادهم عن الجهاد وعن الإسلام الثوري ولا نتعجب أنه بعد مرور قرن تفطن العالم الغربي لأهمية هذا الاعتقاد الخاطئ لتوظيفه في خططه الاستعمارية ضد التيار السلفي الجهادي (تقرير راند 2007)

والسبب هذا الاهتمام بكون أن العامة الناس يقدسون الصالحين ويطيعون أوامرهم ويتبعون نصحائهم وذلك راجع إلى تلك الكرامات أولياء ودرجة تأثير المقدس في الذهنية الشعبية، أمام قوة المقدس مما يوصل إلى خلق العداء الفكري بينهم وبين أعضاء وفكر جمعية العلماء المسلمين ومزال هذا الخلاف الفكري قائم إلى يومنا هذا.

56 . الشيخ بلقاسم بن رواق " الزردة رأس كل شر " دار الفضيلة ص 102

57 . نفس المرجع ص 105

وكان الاستعمار الفرنسي يعلم جيداً أن السيطرة على الشيوخ الزوايا هو سبيل الوحيد لقضاء على مبادئ الثورة التحريرية القائمة على الجهاد ضد النصارى لهذا سعى منذ أن تفطن لأهمية توجه إلى الشيوخ الزوايا و القياد للقيادة أفراد الشعب الفقراء.

وهكذا تضافرت السلطة الزمنية التي يمثلها الاستعمار والسلطة الروحية التي كان يمثلها بعض المشيخة والقياد على هدف واحد يعلمه المستعمر ولا يعلمه الشيوخ الزوايا هو تخذير الشعب وتركه يعيش في بحر الصدق ما وصل إليهم هو مكتوب من الله. والله هو من سوف يغيرنا من الحال إلى حال والصبر على ما نحن إليه هذا الخطاب بعض شيوخ الزوايا وقد استمرت هذا الخطاب حتى الفجر الاستقلال تغير مفهوم.

كان هذا واقع الزوايا والطرقية في فترة الاستعمارية، لكن بعد الاستقلال كانت فيه نهضة فكرية ثقافية قام بها الشيوخ الزوايا والكتاتيب من التي بقيت محافظة على أصالتها ودورها الريادي والحضاري في تلقين علوم الدين وتحفيظ القرآن الكريم والمحافظة على الانتماء الإسلامي للأمة الجزائرية، كالمدارس والكتاتيب وبعض الزوايا التي أدت دورها في المقاومة وعبر ترسيخ كتاب الله تعالى في صدور أبناء الجزائريين داخل القرى والمداشر نذكر منها زاوية أدرار.الحقيقة أن الدين الإسلامي الذي جاء من اجل التغيير ويمنح الخلاص للشرائح الاجتماعية هو في الواقع نفسه الدين الذي يتم توظيفه من الفئة الحاكمة على السلطة الروحية وبمساعدة السلطة الزمنية لإضفاء الشرعية والمحافظة على مركزها الاجتماعي، حسب نظرية ماكس فيبر، لكن حاجة الإنسان إلى المقدس تجعله يقوم بالطقوس من اجل إيجاد حلول لأسئلته الغامضة وراحته النفسية.

ما الهدف من وراء "ضرب الزوايا بعد الاستقلال

مباشرة بعد الاستقلال تولوا أعضاء الحركة الوطنية مناصب قيادية لم تعطى أهمية كبيرة للزوايا على إطلاق بل تّم محاربتها، وفي بداية الاستقلال كان الاهتمام منصب إلى التعمير والتجهيزات العمومية وقطاع التربية و تكوين ... ولم تعطى أهمية كبيرة للثقافة وهذا ما تطرق له أستاذ مالك بن نبي في دراساته منها "مشكلة الثقافة" ورغم ما قامت به الزاوية من نواحي الايجابية منها كإصلاح ذات البين مثلا،وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع فتخيّلوا أن من بين المراسيم الأولى التي صدرت عن وزارة الشؤون الدينية سنة 1964 وبإيعاز من المصلحين الذين تبنوا أفكار السلفية الجديدة هي تأميم الزوايا، هذه بداية البداية فقط.. لقد كانت الزوايا همزة وصل بين السلطة الحاكمة والأمة، والكثير من الزوايا لعبت دورا رائدا في تحرير البلاد، لكن ما حدث بعد ذلك فتنة عظمى، حيث أن "المصلحين" الذي كان منهم أعضاء في الحكومة أحيوا الخلاف الذي كان سائدا بين جمعية العلماء المحسوبة على المصلحين وجمعية علماء السنة المحسوبة على رجال الزوايا فانتقموا منهم بإغلاق زواياهم، وهذا أمر غير مقبول، كيف يمكن لطائفة أو جماعة أن تستغل نفوذها في الحكومة للانتقام من جماعة أخرى تخالفها الرأي بمثل هذا العمل؟

- في هذه فترة تم ضرب الزوايا وتكسيرها وهذه حقيقة لا يجب أن ننكرها. لقد أصبحت الزوايا في هاتين الفترتين ممنوعة من التعليم، اللهم إلا الزوايا الموجودة في الصحراء والتي كانت بعيدة عما يجري في الشمال، كزاوية سيدي محمد بلكبير وزاوية كونته وفي تيميمون أيضا.
- حسب رئيس الاتحاد الوطني للزوايا **"د. شعلان"** أن الأمر في البداية انتقاما، ولكنّه تحوّل فيما بعد إلى مشروع، مشروع يُفرز زوايا متخلّفة تُلصَق بها معاني الشعوذة والدّجل لإبعاد الناس عنها، في حين كانوا يُحدّثوننا عن شخصيّة جزائرية عصرية تعيش الحداثة وتساير الزمن، وكانت كل تلك المعاني مأخوذة من الغرب.. نحن لم نرفض أن يعيش الإنسان في عصره، ولكن أن يعيش بشخصيّة متينة لها علاقة بتاريخها.

يقول أ.**زقاي أحمد في موضوعه**"القصة الصراع بين التدين الخرافي والإسلام النقي"نعم لقد كان من البرابرة يهود في الجزائر، ولدينا مقابر من أقدم مقابر اليهود في بلادنا، وهي مقبرة تين ميمون، **وميمون هذا كان رجلا يهوديا أسلم وأسلمت معه قبيلته**، ما كان هنا مسيحيون نذكر منهم مؤسس كنيسة عنابة "**القديس أوغسطين**" الذي كان جزائريا.. لقد أقبل البرابرة في الجزائر على الإسلام حين دخل عليهم واحتضنوه وحافظوا عليه، ثمّ كنا فاطميين وخوارج وشيعة أيضا، لقد مررنا بكل التجارب ولا يجب أن ننكر هذا الأمر، لقد أصابنا الفقر الفكري لأننا لم ندرس ميراثنا الإسلامي والتاريخي كلّه، فوقعنا في الفخّ.. أصابنا الفقر حتّى أصبحنا ننكر وجود تراث إسلامي حقيقي في بلادنا".

ويتسأل من جديد "كيف أصبحنا اليوم نبحث عن هذا التراث بعيدا عن الجزائر، وكأن الجزائر ليست مسلمة بما يكفي وأصبح الشاب اليوم يذهب إلى أبيه أو أخيه ويقول لهم الإسلام الحقيقي كذا وكذا، وينكر الإسلام المعتدل الذي له قرون من الوجود في أوطاننا وهذه هي النقطة الحساسة ،وهكذا قال رئيس الحكومة " **عبد العزيز بلخادم** :أن في الحياة اليومية للمواطن فيه مزج بين موروثه الديني العقائدي وبين مقتضيات الحياة، الزوايا لها طبعاً دور في الإشعاع الديني، نحن عندما نشجع الزوايا ليس طمعاً في الاستفادة السياسية من هذه الزوايا لأن الإسلام يُستهدف ونحن في حاجة إلى أن نمكّن أبناءنا وبناتنا من أن يشربوا من المنابع الصافية، وهذه الزوايا تعلم القرآن تعلم التفسير تعلم السيرة النبوية تعلم الفقه تعلم... فنحن نشجع ذلك لتمكين أبناءنا وبناتنا من أن يتزودوا بخير زاد (ملتقى التيجانية بعين الماضي 2006) وكحتمية اتجهت السلطات العليا للدولة نحو دعم نشاط الزوايا والطرق الصوفية إذ بدأ هذا التيار واضحا بعد في السنوات الأخيرة خاصة بعد صدور مشروع المصالحة الوطنية ، وما تبعه من ردود أفعال بين مناصرة ورافضة له وكذا المزايدات السياسية عليه.

ليس عيباً أن تولي الدولة وأجهزتها اهتماما وانشغالا بالزوايا والأضرحة وحضور وتنظيم "الوعدات" تحت رعايتها فإن كل هذا يدخل ضمن اهتمام الدولة في تنمية الثقافة المحلية ونشر ثقافة السلم والوسطية في صفوف المجتمع والمحافظة على الهوية والتراث الشخصية الوطنية، ونشره بين مختلف الأجيال لكن يكون

بصيغة حقيقية وعلمية ، دون الشعوذة والدجل و ...و.. وقد صرح" **د.محمود شعلال** "رئيس للاتحاد الوطني للزوايا الجزائرية "ومن بين مشروعات شاملة لتنقية الزوايا الصوفية من الدجل والشعوذة" الذي لا يأخذ على عاتقة تقوية دعائم الاتحاد وإصلاح شأن الزوايا والطرق الصوفية فحسب، وإنما الهّم الوطني هو المحرك القوى لديه وهو القاسم المشترك في كل خططه الطموحة للاتحاد الوليد حتى تتجاوز الجزائر أزمتها وتهب من عثرتها وتنتهي بلا رجعة مشاهد الدماء المراقة والثارات المتبادلة والأحقاد العمياء. يحلم أيضا بانضواء أكثر من 600 زاوية تحت لواء الاتحاد لتنفذ مشروعه حيث بلغ عدد الزوايا المنضمة حتى الآن نحو 380 زاوية لتعود الزاوية لدورها التاريخي الناصع البياض في مقاومة الدجل والشعوذة وفى حفظ الدين والمجتمع، ومجابهة تيارات التغريب والعلمنة ومحاولات طمس الهوية في هذا البلد العربي المسلم الضارب بجذوره في عمق التاريخ العربي والإسلامي.

II. 10.عودة الزوايّا:

ناقشت العديد من القنوات الفضائية الاهتمام الغربي بالطرقية خاصة بعد صدور توصية لجنة الحريات الدينية التابعة للكونغرس الأمريكي بضرورة تشجيع **حركات الإسلام التقليدي و الصوفي** وفي حديث مع قناة الجزيرة قال الباحث **الدكتور عبد الوهاب المسيري** حول الموضوع أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام ، يشجع الحركات الصوفية ، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات **محيي الدين بن عربي** وأشعار **جلال الدين الرومي** ثم يضيف:لقد أوصت هذه اللجنة بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة للاستعمار الغربي"في سنة 2006 و 2007 أصدر مركز راند لأبحاث و مؤسسة "الثينك تانكس" الأمريكيتان دراسات حول الإسلام اليوم و خاصة الإسلام المعتدل الذي يهتم بالإسلام الشعبي ومن بين ما ورد في تقريران ما يلي :تهتم بعالم الروحانيات الداخلية والتجارب العاطفية والشخصية للشيوخ وتعتبر في غالب الأحيان الإسلام الشعبي".لها العديد من الأتباع والمريدين في جميع أرجاء العالم الإسلامي وتُشكل الطرق الصوفية والمشيخة قاعدة جد مهمة في الهيكل الاجتماعي وهم العنصر المؤثر في صفوف أفراد المجتمع ويلعبون دوراً بارزاً ومركز محوري في السياسة والدين أما عن طقوسهم فهي تقتصر على الممارسات الاحتفالية الاعتقادية من تقديس الأضرحة، التبرك، الوعدة، الحضرة الذي يأخذ بُعد روحي ونشوة خالصة يعتقدون أنها تقربهم من الله [58] ،كما أوردت مجلة "يو إس نيوز "الأمريكية ما ملخصه أن الولايات المتحدة تسعى لأجل تشجيع ودعم الصوفية، باعتبارها واحدة من أهم وسائل التصدي للفكر الإرهابي والتطرف الديني.وحاليا ومع بداية القرن الحادي والعشرين، يمكننا القول أن المقدس يبقى دائما حيا

58 . د.أ محمد "مجلة الالكترونية" "الصوفية في عقل راند " 2007

في الذات الإنسانية ويبقى يتجدد من جيل إلى الجيل ويتم إحيائه بالطقوس تعوذ الناس عليها من اجل الراحة النفسية والذهنية وإجابة على كل تساؤلاتهم وتنفيذ لأمور غيبية لا يعلمها هو بذاته إلا انه بحاجة إلى المقدس.

ختاما إنه وعلى الرغم من أن هذا الاهتمام عالمي بظاهرة المقدس وحاجة الإنسان إليه تمليه الظروف الإنسان النفسية وتمثُلاته الذهنية نستطيع القول ونتأكد المريد في حاجة إلى المقدس وبه يحي من جديد الحياة أخرى عن طريف عملية طقسية بسيطة أمام فضاء الصاليح أو باسمه فقط يعيد إحيائه بالعملية فعلية جادة.

خلاصة الفصل:

عبر التاريخ أعتبر المقدس من مفاهيم التي لها علاقة با لإنسان تمثل الرمزية وأتخذ من الدين مصدر وتفسير له، وذلك من اجل جلب الراحة والأمان. إن البُنية الاجتماعية أمتد صيته ا ليشمل الفضاء المادي والعمراني معاً، وتحول بممارسة الطقسية المستمرة لتعبير عن تمثُلات ولأساطير والقصص وكرامات والفعالية مثل القدرة على تحقيق الأمنيات والدعوات وشفاء الأمراض المستعصية من حالات العقم.

أصبحت هذه هالة من القُدسّية على مقامات الصالحين وكراماتهم والمرجعيات التي تتحكم في التمثُلات، وتُأخذ أبعاد دينية وسطوة حقيقية على الذهنية الجماعية، وتقترن بالممارسة طقسية الفعلية تأخذ عدة طرق يُغلب عليها طابع الروحي الغامض وتنتقل هذه الممارسات الطقسية تستحضر عبر الأجيال وتتخذ طابع الديني والأصل وجزءاً من الثقافة والتقاليد . وباعتبار أن الإطار المفهومي قد تحدد الآن "أي البُعد الاجتماعي والثقافي والسيكولوجي"وتأثير المباشر للتمثُلات الفردية والجماعية والاجتماعية في استمرار احياء المقدس في المراسيم الاحتفالية و ممارسة الفعلية التي تتخذ الدين بُعد له.

الفصـــل الثـــاني
الممارسات الطقسية في الفضاء الصاليح

تمهيد الفصل

حكايات وحكايات حول الزوايا والصوفية في الجزائر وتاريخ قديم مع انتشارها في مختلف أنحاء البلاد يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي على امتداد كل التراب الوطني لا تخلو قرية أو مدينة من زاوية لوالي يمنحها المعتقد الشعبي بركة التي تدفع ضراً، فأي ضريح لوالي أو قيمة الاجتماعية للشيخ في زاوية يتوجه في المخيال الشعبي المحلي على أنه رمزاً للوسطية والاعتدال حيث تنسب له الروايات والقصص الشعبية على نعمة والأمن والأمان في الحياة الجماعات المحلية.وإن تعدد هذه الروايات حول صاحبها سواء ضريح والي أو شخصية الشيخ زاوية سوف تصبح تمثُل الراسخ في الذهنية الشعبية يتم تحويله إلى طقس في الواقع يأخذ بُعد الديني وينتمي إلى التراث الشعبي، فبات يُشكل حالة ثقافية ارتبطت بحياة الجماعات المحلية ومريدي الأضرحة والزوايا، وباتت هذه المظاهر متوارثة تأخذ بُعد ديني أثناء وقبل الممارسة الفعلية للطقوس وتُخلق أمكنة المباركة لها الرمزية و القيمة تصل إلى القدسية.

وبهذا يعيش الإنسان حول الأمكنة التي يسقط عليها القدسية ويعتقد أنه نقطة الوصل مع السماء هنا تتكثف القداسة وتصبح زيارة المكان واجبة على الجميع و محببة إليهم.

ومع مواسم الاحتفالية السنوية حول أضرحة الأولياء الصالحين تزدحم بزوارها ضمن طقوس خاصة وإن كانت هذه الطقوس ظاهرة غير جديدة بل قديمة متجذرة في المخيال الجماعي، وعلى أطراف هذه الأضرحة وعلى جدرانها وأسوارها وكلما كانت هذه الممارسات الطقسية قريبة من الأمكنة المباركة التي لها درجة من القدسية كلما كان قبول التبرك والتوسل والراحة أقرب إلى نفسية المريد، منها شفاء الأمراض المستعصية والتغلب على حالات العقم وتحقيق الأماني بالزواج تلك الأماني التي يتم الدعاء و التوسل أمام فضاء لمقدس لأضرحة الأولياء.انه ذلك الفضاء القدسي للصاليح وهو المرابط في قمم وأعالي الجبال بدأت شهرتهم الآفاق تتردد أسمائهم على كل لسان جغرافيتهم على امتداد المعتق دين في كل مكان، إنهم كما تردد تسميتهم **بأولياء الله الصالحين** بشر مثل كل البشر صنعوا مجدهم وذكرهم بتقواهم وصلاحهم فترددت أسمائهم ومناقبهم عبر القرون، وتواتر ذكرهم من جيل إلى جيل ارتبطت معهم الكرامات ونُسجت حولهم الأساطير والروايات وأصبغت عليهم الذاكرة الجماعية الشعبية قصصاً تبلغ حدود **القداسة** من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب كل منطقة لها معلم وفي كل قرية أتباع زوايا لا تخطئها العين وفي كل الزاوية حكاية وحول كل ضريح أسطورة ، يقصدهم الآلاف سنوياً للمشاركة في طقوس باتت تُعد من ممارسات الصوفية، هذا ما سوف نتطرق إليه من خلال هذا البحث عن دور المقدس في الحياة الإنسان وارتباطه بالطقوس وممارسات فعلية وهذا من خلال مشاركتنا في الاحتفالات التي تقام سنويا حول الأضرحة الصالحين و زيارتي إلى زاوية حاج محمد بعين السخونة.

المبحث الأول: توطئة حول الفضاء الصاليح

I. تكوين فكرة واضحة عن أمكنة الصالحين للممارسة الطقوس

وقبل تطرق للممارسات الطقسية نحاول تعريف الجماعات المحلية وتحليل أثنوغرافي لبيئة مكان ممارسة الطقوس وفعالية المقدس وإحيائه في المخيال مريدي والزوار لأضرحة وتأثير حكايات والأساطير عن قدرات هؤلاء الأولياء الخارقة وعن كرامات غير عادية كانوا يأتون بها في حياتهم التي يعتقد الكثير من الناس أن هذه الكرامات ما زالت حاضرة وفاعلة حتى بعد الممات ،ولهذا يُقبل الناس على زيارة أضرحة هؤلاء الأولياء و التبرك والتوسل بهم. إننا في حضرة مقام و الفضاء المقدس الذي تُقام حوله كل هذه الطقوس .

معنى مصطلح الجماعة المحلية

هي مصطلح يشير إلى جماعة من الناس يصنفون طبقاً لمعيار معين مثلاً تتميز حياتهم بطابع ثقافي مشترك ويتميز ببعض المواصفات التالية:

1. بقعة جغرافية محددة ثابتة إلى حد ما
2. مصالح اجتماعية واقتصادية مشتركة
3. مجموعة العادات والتقاليد والروابط والقيم الاجتماعية تستثير فيهم الشعور بالإحساس وبالانتماء لمجتمعهم.

وقد عرفها لندبرج L'andeberg[1] **أنه تجمع من الناس يتوفر فيه أدنى درجة من التجانس الجغرافي والتفاعل الاجتماعي".**

وقد عرفها ماكيفر Macgaiver بقوله **إنها منطقة للحياة العامة تتمثل في القرية أو المركز أو المقاطعة أو الريف أو منطقة أكثر اتساعاً، وتتسم الحياة العامة فيه بسمات مشتركة وواحدة كأنماط الأخلاق والتقاليد وأسلوب المعيشة وهذه هي مظاهر الحياة العامة كما ينظر إلى المجتمع المحلي باعتباره جزءاً من مجتمع أكبر"**[2]

إن تشابك المسألة الدينية بالمقدس والزمني بالأسطوري يجعل منها مسألة في غاية الجدية على مستوى الفكر والإيمان المرتبط بما هو قدسي ليس تعبيراً عن وهم جماعي بل إنه قد يمثل الفكرة التي يفرضها المجتمع على نفسه كما يرى " **إميل دوركايم** Emil Durkheim **حيث يغدو أي القدسي سلطة ومصدراً للرعاية وملجأ لاحتماء في زمن الضياع وفقدان المعنى".**

---

1 . رشوان ، حسين عبدالحميد "دور المتغيرات الاجتماعية في الطب و الأمراض " المكتبة الجامعية الحديثة الاسكندرية سنة 1994 ص 152

2 . نفس المرجع نفس الصفحة

I.1.الفضاء المكاني لزوايا سيد الحاج محمد بعين السخونة

أ. أثنوغرافية المكان

تتميز منطقة عين السخونة بأرضيها المالحة وتكثر فيها تربية الأنعام، يقطنها أكثر من إحدى عشر ألف نسمة، أغلب سكانها من قبيلة واحدة وهي قبيلة أولاد زياد وبعض الأخر من عدة قبائل، تتوفر على كمية كبيرة من المياه الباطنية وفيها تم إنشاء أكبر مشروع لتزويد ولاية سعيدة بماء الصالح للشرب وهناك مشروع لتوصيله إلى ولايات المجاورة. تتوفر منطقة عين السخونة لعدة هياكل تربوية من مدارس ابتدائية ومتوسطة و تم بناء ثانوية مؤخراً كما يوجد ثلاث مساجد الأول مسجد العتيق و الثاني المسجد الكبير والثالث مسجد أولاد زياد نسبة لأكبر قبيلة تقطن المنطقة، مع وجود هياكل ثقافية من مراكز ثقافية والملاعب الجوارية غير أن نقص يكمن في الهياكل الصحية حيث يوجد مستوصف واحد و عيادة للولادة تم تدشينها مؤخراَ و صيدلية واحدة. تبعد منطقة عين السخونة عن مقر ولاية سعيدة بـ: 90 كلم تم انضمامها لإقليم الولاية سنة **1984** بعدما كانت تابعة لإقليم ولاية تيارت، أما **زاوية الحاج محمد** تبعد عن مقر بلدية عين السخونة بـ 6.5 كلم وبالتالي تبعد عن مقر ولاية سعيدة بـ: 96.5 كلم تم تأسيسها **1946**م من طرف **الحاج محمد**. وكانت في البداية مبنية تحت الأرض تتكون من بيت " **الخلوة**" مازلت حتى الآن للعبادة مساحتها حوالي **4** م^2 مظلمة تعلو عن أرض بحوالي متر وكان الشيخ يعلق **سلسلة** في قمة الخلوة يحزم بها ضفيرته " **كان شعره طويل** "حتى إذا أصابه النعاس وهبط رأسه للنوم رفعته تلك **السلسلة** طريقة عبادة وذكر، وفيها نافذة صغيرة بحجم **3**م^2 من أجل دخول الهواء و تلبية من يناديه للصلاة أو زوار وبجانب خلوة البيت مساحتها حوالي **20** م^2 فيها على جانب مكان للطهي **" مواقد تقليدية"** كان يقدم الشاي للزائر ين وحسب الشيخ الزاوية **الحاج محمد** أن جده كان يمكث طيلة مدة فصل الشتاء وعند خروجه من خلوة مع حلول فصل الربيع يقام له " **ركب**" وهو نوع من احتفال على شكل وعدة منِ قبل مريده، ولهذا تسمى بربيعية أي ربيع الصالحين وهناك وعدة تقام قبل حلول فصل الشتاء تسمى الشتوية التي يتهيأ الشيخ لعبادة لأن معروف أن فصل الشتاء ليله طويل ونهاره قصير ففيه يتم صيام نهاره وقيام ليله.وهذه الخلوة مازالت مزار لتبرك فعند دخولك لها أول ما تشمه رائحة البخور الكبيرة إنه تهيئة المكان لقدسته مع توصيل إنارة لها حتى داخل الخلوة رغم صغرها زيادة على وجوب نزع حذائك عند دخول إنها قدسية المكانِ قيل لي أن المكان أحياناً يصلى فيه من قِبل الزائرين لهذا ننزع الأحذية ، لكن عند تحليلنا لرمزية الخلوة و المحافظة عليها هو إضفاء صفة القداسة على مكان " الخلوة" إن هذه الحفريات تعتبر شهادة الحياة لزاوية و وجودها هو وجود المقدس وبجانب تلك الخلوة توجد قاعة كبيرة على مساحة **50** م^2 تحت أرض مهيأة بنوافذ ومواقد التقليدية كانت عبارة عن دار لأهله و للطلبة والمساكين وعابري السبيل ومازالت إلى لأن موجودة رغم كل سنين، لكن لا تعطى لها أي أهمية مثل الخلوة رغم أنها تشبهها

وتم تدشينها في سنة واحدة حيث بدأت سنوات الأولى لإنشائها سنة **1946**م.وعلى الأعلى تم بناء المسجد بالحجر والطوب في البداية من أجل رؤيته من بعيد كمعلم للمكان للقادمين مساحته آنذاك كانت تقدر بحوالي **25** م، وحسب شهادة الشيخ الزاوية أن المسجد هو أول من تم بناءه قبل الخلوة حيث أن اختيار المنطقة كان من قبل أحد من أحفاد سيد الشيخ حيث تم تغيير المكان وحسب رأيه دائماً أن أول حجرة لتأسيسها حملها هذا الحفيد مازالت موجودة ضمن أساس بناء مسجد وكانت تظهر في بداية لكن نتيجة عملية الطلاء وإعادة التهيئة لم تبقى تظهر للعيان كما كان في سابق.أما اليوم فإن الزاوية أصبحت مشهورة إذ بقدومك إلى منطقة عين السخونة حتى تلقيك إشارة Plaque مكتوب عليها زاوية الحاج محمد على مسافة 6.5 كلم، الطريق معبد حتى باب المسجد، مازالت زاوية محافظة على طابعها التقليدي بوجود القاعة الكبيرة للضيوف تقدر مساحتها بـ 60 م^2، فراشها من زرابي تقليدية ووسدات تقليدية تبين أنها صنعت من طرف أهل الزاوية وفيها أغطية نظيفة.القاعة بنوافذها الثلاث وباب واحد يظهر لعيان عند قدومك و سطح من القرميد بدون واقي السطح، طلاء تقليدي عند دخولك إلى القاعة تشاهد إلى أمام صورة شيخ الزاوية الحالي الحاج حمو الطيب مع والده الحاج مختار رحمه الله في أماكن المقدسة في مكة أثناء الحج سنة **2002**، وعندما سألته عن صورة فأجبني أمام جمع من الحاضرين أن الصورة في مكة أثناء انتهاء من مناسك الحج سنة **2002** وهنا قال لي أن أبوه أي الحاج مختار "**أنت خلفتي**" أي تتولى مهام الزاوية من بعدي ثم قال **أن الصالحين يعرفون عند تقترب نهايتهم"** ، والبيوت كلها مبنية بحجر والأسمنت والقرميد، يسكن فيها كل أهل الزاوية من إخوة والأولاد وهي الخمس بيوت وعلى جانب الأيسر يشيد ببناء مراحيض وأماكن للوضوء كما استفادة إخوة الشيخ من دعم للبناء الريفي للبناء بيوت إلى جانب بيوتهم. أما المسجد فيقابلك عند قدومك بابه في القبلة دائماً مفتوحاً مساحته للطول حوالي **30** م^2 فيه مكبر الصوت و بعض المصاحف و مفرش بأفرشة جديدة من نوع كل " **صلاية**" لمصلي ومحراب تقام فيه تأدية كل الصلوات إلا صلاة الجمعة فإنها تؤدى في مساجد الموجودة بعين السخونة، وإلى جانب الأيسر من المسجد توجد قبة من الخارج يظهر عليها القدم لأنها موجودة منذ وفاة الشيخ رحمه الله سنة **1954**م ، فيها قبر مؤسس الزاوية الحاج محمد و ابنه المتوفى مؤخراً الحاج مختار.قبة لونها أبيض وأخضر عالية لكن لا تعلو عن صومعة المسجد فوق قمة القبة هلال من النحاس و بداخل القبة التي مهيأة جيداً من بلاط من نوع DALL DE SOL لونها أبيض كله مفرش بفراش جديد من نوع رفيع Tapis، تحت قبة مباشرة يقع ضريح الحاج محمد يعلو على أرض بمسافة **2** م مغطى بقماش أخضر من نوع " **قطيفة**" مكتوب عليه آيات قرآنية و قطعة قماش خضراء لون عادية فوق القبر لأخذ الزوار منه لتبرك. في حجرة مزينة بقوس إسلامي و في الزاوية اليسرى من الضريح يوجد راية الزاوية لونها أخضر مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله زاوية **سيد الحاج محمد**، غالباً ما ترفع أثناء المواسم الركب خاصة في " **وعدة ربيعية** " أو " **شتوية** توجد مساحة كبيرة بين الضريح و مكانه حيث يستطيع أن يجلس أكثر من ستة أشخاص فيها أمامه للذكر أو قراءة القرآن.

ولقد تم توسيع القبة بزيادة بيت على مسافة 8م^2 تم دفن فيها على الركن الأيمن الشيخ الحاج مختار الذي توفى في **18** مارس **007** ، حيث أن هذه التوسعة تم تهيئتها قبل وفاة الشيخ ، وبقيت أمكنة فارغة إنها باقية لأحفاده، هذا ما يساعد على استمرار ظاهرة تقديس الأضرحة.وتجد داخل قبة صورة الشيخ المرحوم **الحاج مختار** وأبوه مؤسس الزاوية **الحاج محمد** على اليمين، وصورة لشيخ الحالي **الحاج حمو الطيب** مع أبوه **الحاج مختار** على جهة اليسرى كما يوجد شجرة عائلة التي تنحدر إلى خليفة الأول **أبي بكر رضي الله عنه،** وعدة شهادات شرفية و شهادة تشجيعية وعرفان بالمجهودات المبذولة من أجل تعليم القرآن من طرف سلطات العليا في الدولة من وزير الشؤون الدينية والأوقاف ومن رئيس الجمهورية هذه الشهادات تم تسويتها في إطارات زجاجية فكل زائر للمكان يرها و يقرآها إنه إثبات الوجود رغم قدسية المكان واعتراف بها.وهذه الشهادات وجودها داخل القبة تثبت مكانة الشيخ لدى العامة وتأثير المقدس حتى على السلطات العليا في البلاد.

كما أن مكان وجود الزاوية هو خالي لا يوجد بجانبه أي قاطنين ماعدا أهل الزاوية على أرض مسطحة نوعية الأرض مالحة أي "**سبخة**"، وفيها إسطبلات لتربية الأنعام والأبقار ليست ببعيدة عن الزاوية ولكل من الإخوة إسطبله خاص به، ولهم بعض الأراضي الزراعية يفلحون فيها الخضر والفواكه مثل "**البطيخ**" وذلك نتيجة وجود الماء بوفرة، تتربع الزاوية ككل على مساحة كبيرة بأراضيها الفلاحية ومناطقها الرعوية تابعة لها إنها أوقاف تابعة لزاوية.

زاوية **الحاج محمد بعين السخونة** حسب قول **شيخها الحاج محمد** أنه رفض تأسيس جمعية ضمن قانون الجمعيات نرفض طلب الاعتماد من وزارة الشؤون الدينية ولا نكون تحت وصايتها، كما أن انضمامه للجمعية الوطنية للزوايا كان عنوة من أجل رفع اللبس عن كونه معارض لها أو للنظام وأنه مع النظرة التي تريد إرجاع الزوايا إلى عهدهم السابق إلى أصالتها الحقيقية مع التركيز على الدين والذكر والعلم وفقط. وتحسيس الأجيال بانتمائهم الحضاري وتواصلهم المعرفي بين مختلف الأجيال وأكد أن الزاوية تم تأسيسها سنة 1946 وزاوية في الرقاصة ولاية البيض تسمى الزاوية الموحدين تم تأسيسها سنة 1933م أما هذا القانون الجديد يسري على من يريد أن يؤسس زاوية جديدة ليس علينا. ونبدأ بتعريف بمؤسس زاوية عين السخونة ثم نحاول تعريف بأصحاب الأضرحة التي تم ملاحظتها ومشاركة في احتفالات التي قامت حولها.

ب.نبذة تاريخية عن الشيخ سيد الحاج محمد بن بحوص مؤسس الزاوية

هو زوي محمد من مواليد سنة 1894 بربوات ولاية البيض إبن بحوص بن الحاج بن محمد بن الطيب بن يوسف بن سليمان بن الحاج بن الشيخ الذي هو عبد القادر بن محمد المعروف بإسم سيدي الشيخ منحدر من ذرية سيدنا أبوبكر الصديق ، وأمه فاطنة بنت الشيخ بن محمد البودواوي من ذرية سيدي الشيخ .تربى وترعرع في أحضان والديه بمسقط رأسه بربوات ولاية البيض ثم رحل معهما إلى منطقة

الشط الشرقي بضواحي الرقاصة ولاية البيض تعلم القرآن الكريم و مبادئ الفقه والسيرة النبوية من عدة مشايخ منهم الشيخ الفاضل سيدي الحاج محمد بن عبدالقادر الشريف التاجروني بمدينة البيض ولازمه حتى الوفاة، وأخذ عن كل من الشيخ مولاي عبدالله من أحفاد الولي سيدي الحاج بن عامر بمدينة البيض وجدد عليه الطريقة القادرية . أما الطرق التي كان عليها ويتخذها ورداً له هي طريقة الشيخية أخذها عن الشيخ سيدي الطيب بن الشيخ بوعمامة دفين بزاويته بعين بني مطهر **برقم** عمالة وجدة بالمملكة المغربية وأخذ الطريقة التيجانية والطريقة الطيبية عن الشيخ مولاي التوهامي بالمغرب كذلك.في الثلاثين من عمره أنتقل إلى زاوية الشيخ بوعمامة بمنطقة بني مطهر بالمغرب عند شيخه سي الطيب بن بوعمامة، فتتلمذ عنه وأخذ عنه الطريقة الشيخية والإذن في فتح زاويتين الأولى **زاوية الموحدين لنشر الطريقة الشيخية ببلدية الرقاصة ولاية البيض** وهذا في سنة 1933، والثانية **الزاوية القادرية بعين السخونة ولاية سعيدة** لنشر الطريقة القادرية والشيخية والطيبية وذلك في سنة 1946، وكلاهما يتميزان عن بقايا الزوايا بحفريات تتمثل بمسجد وقاعة الضيوف ومطبخ ودار للعبادة **الخلوة** وعدة بيوت للزوار ولازالت موجودة كمعالم تاريخية وسياحية وثقافية إلى الآن وهي قبلة للزائرين للتبرك.نظراً للسمعة الطيبة وتقواه وورعه والمعاملات الحسنة وكراماته العديدة التي شهد له بها العام والخاص نال حب واحترام الجميع مما ارتقى إلى مقام المشيخة للطريقة الشيخية بتأييد من جميع شيوخ وأعيان ووجهاء أولاد سيدي الشيخ.ومما ذكره الدكتور **عبدالقادر خليفي** في كتاب الطريقة الشيخية في (صفحته 28) متحدثاً عن ماقاله الجنرال (بيجي أوندري Pegie André) في كتابه " P-J à l étude des confréries Contribution" **الجزائر"1956** ص**240** تحت عنوان شيوخ الطريقة بعد الشيخ بوعمامة " الواقع أنه بعد وفاة الشيخ بوعمامة سنة 1908 انتقلت المشيخة إلى ابنه الشيخ سيدي الطيب بعيون سيدي ملوك بالمغرب، والذي أمر بتأسيس زاوية الموحدين بالقرب من البيض بزعامة محمد بن بحوص في الثلاثينات من القرن العشرين، وقد فتح هذا الأخير زاوية أخرى في عين السخونة بالقرب من مدينة سعيدة في أربعينات من القرن العشرين لنشر الطريقة الشيخية وفي سنة 1949 وبعد حدوث شقاق بين أولاد سيدي الشيخ العربي بن الدين بن حمزة المعين باشا أغا على قبيلة أولاد سيدي الشيخ وأهل أو يأكل منذ سنة 1932 وبين حمزة بوبكر الذي سيصبح عميد مسجد باريس.تدخل سي عبدالحاكم بن الطيب بن بوعمامة ممثل أولاد سيدي الشيخ الغرابة خليفة والده سي الطيب على الطريقة لصالح الأول منهما وأنعقد على اثر ذلك اجتماع ضم معظم أعيان أولاد سيد الشيخ للبيض وعين بني مطهر برقانات يوم 05 أوت 1949 بمدينة البيض، بحضور لعرج سي عبد الرحمان من زاوية القنادسة الذي عرض وساطته بين الطرفين، وقد قرر المجلس إبقاء سي العربي على رأس الزاوية ومع ذلك تمت تسمية محمد بن الحاج بحوص مقدم زاوية عين السخونة المعروف بتقواه والذي يحظى بكل الاحترام كشيخ للطريقة الشيخية ومسؤول على المحافظة على عقيدتها الروحية، وسمي حمزة بوبكر أميناً عاما للجمعية

وقد ساهمت هذه الإجراءات في توحيد الطريقة الشيخية و من محمد بن بحوص انتقلت مشيخة زاوية عين السخونة إلى ابنه المختار متوفي بتاريخ 18 مارس 2007 وتولى إبنه الحاج حمو الطيب من بعده .... ومما جاء في (الصفحة 66) من نفس الكتاب لمؤلفه عبدالقادر خليفي بعنوان شيخ زاوية عين السخونة يحب عبدالقادر الجيلاني، وأورد الدكتور أحمد بن نعوم في كتابه أولاد سيدي الشيخ الذي حصل على شهادة دكتوراه دولة من جامعة بروفانس فرنسا رواية مفادها أن الحاج محمد بن بحوص مولى عين السخونة كان يحب عبدالقادر الجيلاني وينظم فيه أشعارا مديحية ويتأثر بذلك حتى يبكي وذات يوم قرر السفر إلى بغداد لزيارة ضريح هذا الولي ، خرج كسائح ينتقل من زاوية إلى أخرى إلى أن وصل إلى بلدة متليلي وكان وهو في الطريق يرى في الحلم حيواناً متوحشاً أورن يهدده بقطعة حجر كانت بين يديه وهو يقول له "عد و إلا قتلتك " ولما وصل متليلي رأى رؤيا أخرى، رأى الشيخ يقول له " عد إلي وستجد عندي ما ترغب فيه " فعاد إلى الأبيض سيدي الشيخ حيث مدفن هذا الولي .

إن لزاويتان دور هام في تعليم القرآن الكريم ونشر مبادئ تعاليم الدين الإسلامي ونشر الطرق الصوفية وحل جل المشاكل الاجتماعية كالصلح بين الناس، والتحريض إلى الجهاد "النفسي للدفاع عن الوطن، الروحي وإطعام الفقراء والمساكين وإيواء اليتامى والمحرومين ومن مواقفه الخاصة انه سنة **1945** عام المجاعة، قام الحاكم الفرنسي بجمع حوالي **375** معوز من مختلف الشرائح ، شيوخ وأطفال ويتامى ومعوقين ومصابين بعدة أمراض مثل " *التفيس*[3]" وسلمهم إلى الشيخ *محمد بزاوية الموحدين* أين حضيوا بالرعاية التامة إلى أن تم شفاء بعض ومات الباقي وطلب من الشيخ بأن لا يتصل بهم تفادياً للعدوى والأوساخ وغير ذلك فرد عليه أخذ عن قول *رسول صلعم* " **اللهم أحيني مسكيناً و أمتني مسكيناً و أحشرني في زمرة المساكين** " ،لقد تخرج على يديه كثير من المشايخ والموردين وأتباع الطرق الصوفية عدد لا يحصى ومنهم الولي الصالح الشيخ سي الحاج أحمد بن بحوص بن حمزة من ذرية أولاد سيد الشيخ الذي فتح زاويته المشهورة بمدينة متليلي الشعابنة ولاية غرادية لنشر الطريقة الشيخية بمنطقة الجنوب الشرقي . كما عين ابنه الحاج الشيخ بزاوية الموحدين وخلفه أبنه الشيخ سي الحاج المختار على الطريقة الشيخية بزاوية عين السخونة.الشيخ محمد بن بحوص من كبار المجاهدين أين ناضل وجاهد ضد المستعمر الفرنسي أخذ مشعل الجهاد عن والده سي بحوص بن الحاج ، أحد قادة الشيخ بوعمامة وعن شيخه المجاهد الشيخ سي الحاج الطيب بن بوعمامة مواصلة لمقاومات أولاد سيدي الشيخ.

3 . تيفيس نوع من مرض معدي ينتشر نتيجة وجود الأوساخ و المياه القذرة و سوء التغذية

في يوم **الاثنين 26 شوال الموافق لـ 07 جويلية 1954** توفى الشيخ رحمه الله وتغمده برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه بزاويته بعين السخونة ودفن بداخل بيت كان مخصصاً للعبادة تاركاً موضعاً لقبره ودفن بها أصبحت فيما بعد ضريحاً وقبة يتبركون بها.

لقد كتب عن مآثره مخطوطاً تحت عنوان " **بلغة المحتاج في مناقب سيدي محمد بن بحوص بن الحاج** " من تأليف الدكتور **طواهرية عبدالله** "أدرار" هو تحت الطبع الآن، ووفاه شعراء عصره بقصائد كثيرة تمدح فيه أخلاقه و كرمه و زهده و الكرامات الحميمة و الخصال الحميدة رحمه الله .

I. 2.وعدة سيدي خليفة بـ: بلدية الخيثر دائرة بوقطب ولاية البيض

تعتبر وعدة سيدي خليفة من أكبر وعدات في بلدية الخيثر دائرة بوقطب ولاية البيض بعد وليمة كبرى ركب سيد الشيخ ،تقام الوعدة سيدي خليفة مرة في السنة بتاريخ محدد يبدأ من تاريخ 20 جوان على أن يكون يوم الجمعة أخر يوم تبدأ المراسيم هذه الوعدة من يوم الثلاثاء على أن تنتهي يوم الجمعة .

أ.نبذة عن شخصية الولي سيدي خليفة :

هو الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن زيان بن أحمد بن عبد الله بن عبد الحق بن علي بن عبد القادر بن علي بن عبد الخالق بن رحو بن دحو بن مصباح بن صالح بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي وأمه فاطمة بنت رسول الله "صلم" حسب شجرة عائلة الخلايفة "معلقة داخل القبة "،ويوجد ضريحه عند ثلاثة منابع الأول يسمى باسمه أو إسم عين الفريطسية و الثاني عين المعمورة و الثالث عين أجدير .

ولد الولي سيدي خليفة "أحمد" في القرن السابع هجري ودرس بزاوية سيدي يحي بن صفية أين تعلم تعاليم القرآن الكريم وأصول الفقه ثم هاجر إلى تونس أين درس بجامع الزيتونة ولم يقف عند هذا الحد بل هاجر إلى المشرق العربي أين أتم دراسته بجامع الأزهر، ولقد كان عالما كبيراً في عصره حسب شهادة بعض شيوخ الزوايا وشيوخ المنطقة.ومن المشهور عند الأولين من أبنائه والآخرين من أحفاده والمتعارف أن لقب "خليفة" قد أطلقه عليه الشيخ عبدالقادر بن محمد السماحي المعروف بـ "سيد الشيخ" ، وجعله خليفته في نشر المنزع الصوفي بين أتباعه هذا من جهة ومن جهة أخرى كان خليفته في الحكم الإداري، حيث كان يشرف على منطقة واسعة تمتد من أقصى مناطق الغرب الصحراوي أي من الأبيض سيد الشيخ إلى الخيثر وتعريجاً إلى منطقة عين تمونشنت، ومن ثمة أصبح لا يعرف إلا بإسم "خليفة" بدلاً من اسمه الحقيقي وقد سميت عليه إحدى بلديات ولاية سعيدة وهي بلدية سيدي أحمد.عرفت شخصية سيدي خليفة الوقار والصلاح والحكايات التي نسجت في الأدب الشعبي من حوله طغت فيها روح الأسطورة، وهناك من يرجعها إلى جود الكرامات التي يؤمن بها البعض.وحسب شيوخ و مقدم سيدي خليفة الذي أفادنا أن سيدي خليفة أحمد تعلم أصول الدين الحنيف، وقد أشرف بنفسه على تعليم القرآن الكريم وأصول الفقه

لأحمد وأخوه محمد، بعد سبع سنوات أصبح أحمد من الفقهاء الكبار.وحسب مقدم الضريح دائماً أن أحمد كان عطوفاً جداً و كان سيدي يحي يحبه كثيراً ويعامله معاملة الأب لأبنه، وكان أحمد مكلفاً بأمور شتى منها الاهتمام بالضيوف والزوار لزاوية سيد يحي، كما يهتم بأمور البيت من جلب الماء والحطب وما شبه ذلك كل هذه المدة واحمد لم يكسر الحجاب على زوجات شيخه وبناته، وحسب روايات المستقاة من شيخ زاوية وبعض كبار المنطقة، هناك عدة قصص عن الشيخ منها الحادثة التي وقعت له في زاوية سيدي يحي التي جعلت أخوين أحمد "سيدي خليفة" وأخوه محمد يفكران في رحيل عن زاوية.أرتكب أخوه الصغير محمد جريمة قتل دفاعاً عن نفسه في حق عّبد صائل قد تجبر وظلم الكثير من الرعاة وقتل الكثير من الأبرياء وكان ينتمي إلى قبائل مجاورة وتتخلص الحادثة عندما التقى محمد العبد الصائل عند منبع الماء وكان يريد أن يسقي ويدع الدواب لتشرب فمنعه العبد من ذلك تجبرا تصارعا وقتل محمد العبد ومات هذا الأخير متضررا من جراحه وقام **الشيخ زاوية سيدي يحي** بدفع دية هذا العبد لكن **احمد"سيدي خليفة"** طلب من شيخه أن يسرح سبيله ويغادر المنطقة ليلا حتى لا يجلب له العداوة مع القبائل الأخرى.طلب الشيخ الزاوية سيدي يحي من احمد أن يودع أهل بيته، ثم قال له "تعالى أوصيك بشيء" ***أنا صيغتك و سيد الشيخ يشيخك*** " ثم قال لتلميذه وأخوه الصغير "أغمض عيناك" ففعالا الأخوين فوجدا أنفسهما عند العين بمنطقة الخيثر بعد برهة من الزمن. وهناك عدة قصص وأساطير عن الولي التي لها خصوصية خاصة ، وتروى من الزائرين وهي التي تنسج الخيال الجماعي للشخصية الأسطورية للوالي، التي هي أحد أسباب إضفاء التقديس على أمكنة وفضاءات الصاليح وتقام له الطقوس والممارسات حوله.مثل إحدى القصص التي تروى أن سيدي خليفة كان يُقطن مع بعض الأعراش من قومه في نفس المنطقة، وكانوا يستعدون للذهاب في ركب نحو مقام سيد الشيخ في منطقة الأبيض سيد الشيخ، ومعهم قطيع من الغنم ووجدوا أحمد "سيدي خليفة" وأخوه محمد في طريق فسألهم أين وجهتهم فاجبوه أن وجهة زيارة مقام سيد الشيخ. فطلب منهم أن يسمحوا له بزيارة الولي سيد الشيخ ، فقالوا له بشرط واحد ألا وهو أن "تسوق لنا القطيع كراعي" فقبل، وعند وصول القوم ودخلوا إلى المقام سيد الشيخ يلتمسون بركته ورضاءه فقال لهم "لحقوا عاقبكم" أي "أتوا بمؤخرتكم"، فقالوا "ليس هناك إلا راعي حقير" حسب راوي لم يدركوا الأمر، فدخل احمد "سيدي خليفة" وألقى بنفسه في أحضان سيدي الشيخ، فبدأ على وجه القوم الغيض والحسد وقال "بعضهم كيف نأتي بمالنا وجاهنا وزعمائنا ويأتي راعي حقير لا ندري حتى من أين أتى ليأخذ كل هذه القيمة والمكانة عند سيدنا ويستولي في برهة من زمن على بركته واهتمامه" .

بعد نهاية الحفل الديني بمرور ثلاث أيام، قرر القوم الرحيل لكن سيد الشيخ أبى بقاء أحمد " ***سيدي خليفة***" بعض الوقت معه، فذهب القوم وبعد مرور أيام قال سيد الشيخ "يا أحمد جعلتك خليفتي في مذهبي"، ثم قال "يا خليفة هل ترى قد وصل القوم إلى مشارف عشيرتهم "قال"ربما هم على وشك الوصول"، فقال له" أغمض عينك يا خليفة" فأغمض عينيه فوجد نفسه أمام الخيام مع القطيع الغنم.

لما وصل القوم إلى مشارف الخيام خرج الجميع لاستقبالهم بالزغاريد والأفراح فوجدوا أمامهم سيدي خليفة و هو من بين المستقبلين فتعجبوا من الأمر فقال أحدهم " **كيف لهذا الأحمق أن يصل بقطيع الغنم قبلنا فهذا من المحال**" فأجتمع كبار القوم وقرروا التخلص منه، فكانت الحيلة التي زعموا على تنفيذها تتمثل في طلب من سيدي خليفة الصلاة بهم و عندما يسجد يتم قتله. وقالوا له يا سي أحمد لقد علمنا أنك فقيه وعالم فارتأينا أنك الأجدر منا للقيام بصلاة الظهر جمعاً"، فلما قام بهم الصلاة وقال "الله أكبر"وسجد نهض الجميع لقتله إلا واحد أطرش كان من خلفه ولم يسمع بالمؤامرة. فلقد شلوا من أداء الصلاة بفضل حكمة الله وبعد التحية والسلام نظر إلى القوم من ورائه فوجدهم على ما أصبحوا عليه فقام من مكانه في حالة هستيرية يجري فلحق به فرسان وعرش بني مظهر وامسكوا به وفي نفس المكان الذي جلس به وضعوا له خيمة كبيرة سميت بخيمة مولات نسبة لوالدته "مولات" ونجد هذا الاسم متداول كثيراً في منطقة الخيثر ومرحوم، وضواحي البيض والأبيض سيد الشيخ.وحسب الروايات مزال يحمل هذا المكان هذه التسمية إلى حد الآن، وأصبح سيدي خليفة يتعبد في خيمته و لا يخرج منها ، وأصبحت القبائل تأتي لزيارته وأخذ العلم من عنده وعندما سمع سيد الشيخ بما جرى قال مقولته التي تعتبر مشهورة في منطقة يا خليفة درتك صبار ما تدرتكش خواف" هذه القصة حسب رواية مقدم الوالي سيدي خليفة.

ب.الزيارة الأولى لضريح سيدي خليفة

كانت زيارتي الأولى لضريح سيدي خليفة يوم الجمعة **21 ماي 2021**، بعد أن وصلتُ إلى دائرة الخيثر قادم من سعيدة ، أجرتُ سيارة خاصة من أجل توصلي إلى مقام الضريح الذي يبعد عن مقر بلدية الخيثر بـ : **05** كلم ، أما المسافة بينه وبين ولاية سعيدة حوالي 83 كلم ،مع وصولي كان بعض زوار من النساء وبعض الرجال داخل الضريح ، تمّ استقبلي من طرف"مقدم"الوالي بحفاوة وكان لي له لقاء مسجل عن حياة الوالي وطريقة تحديد موعد الوعدة وتنظيم ... الخ في حديثه أظهر المقدم الوالي أن الوعدة سيدي خليفة أصبحت مشهورة حتى خارج الوطن، إذ يوجد العديد من يقدمون من الخارج خصيصاً للحضور وبعض الأخر لا يريد أن يفوت متعة الاحتفال.خاصة بعد التوقف بسبب جائحة كورونا لمدة 03 سنوات كما تطرق إلى أن تحديد الموعد يكون في شهر ماي بين كبار الخلايفة في منزله الذي يبعد عن ضريح بـ **150**م فقط، وتقام تلك الليلة مديح وذكر إلى الفجر، على أن نلتقي في موعد المحدد هو **20** من جوان ويكون هذا اليوم مصادف ليوم الجمعة حيث تحسب ذلك.كما تطرق لـ إشاعة أن الدولة وسلطات المحلية تساعد في ترميم ومساعدة خديمي الضريح و ذب ذلك على الإطلاق، حيث أكد أن مساعدة تأتي مما يقدمونه الزوار زيادة على عرش الخلايفة الذين يقومون بكل شئ من ترميم و تقديم العون.

أما في مناسبة الاحتفال "بوعدة " فإن البلدية أحياناً تقدم لنا المساعدة من أجل الطلاء الجدران و تنظيف، كما أن والي البيض شخصياً مع رئيس دائرة بوقطب يحضر مراسيم إعلان بدأ التظاهرة الوالي سيدي خليفة.وبحضور كل ممثلي السلطات العمومية من مديرية الغابات التي تقدم لنا العون ومديرية الري

تساعد في تقديم الشاحنات المياه لرش الأرضية لتقليل من فعلية الرمل وحضور الدرك الوطني للحفاظ على الأمن وحضور الحماية المدنية التي لها مركز دائم في عين المكان مع قيادة الدرك الوطني.

أما عملية التنظيم تقوم بها الجمعية إحياء وعدة سيدي خليفة، بمساعدة السلطات المحلية وأولاد سيدي خليفة من الخيثر، ويقتصر التنظيم حول القبة الضريح بتنظيم أوقات الزيارة من النساء والرجال على فترات، أما التنظيم التظاهرة فالمهمة الأمن للدرك الوطني والحرس البلدي. أكد المقدم" أنه في بصدد تأسيس زاوية في المنطقة لتكفل بزائرين في مستقبل خاصة المأوى، حيث أن جُل الزائرين في الوعدة يبتون في العراء في سدد قوله أن الاحتفال في سابق كانت تحضره عائلات من العرش الخلايفة، أما اليوم فلا نعرف أغلبهم نتيجة كثرة من يقومون بأداء وعدة. مع زيادة الحضور فرق الخيل حيث في سابق كانت تحضر من 15 إلى 20 "علفة" [4]أما اليوم فحضور أكثر من 50 علفة كل علفة مؤلفة من 07 إلى 10 خيول.مع حضور الرسمي لوالي البيض وحضور الإذاعات المحلية والتلفزيونية وكل القطر الوطني يسمع بوعدة سيدي خليفة" هذا ملخص الحوار الذي قمت به مع مقدم الوالي سيدي خليفة قبل الانطلاق الرسمي للاحتفال بالوعدة بـ شهر تقريباً .

حضور و المشاركة في الوعدة يوم **18 و 19 و 20 جوان 2022** بعد توقفها بسبب جائحة كورونا الكل مشتاق لهذه التظاهرة وهذه الجمع الغفير، عند وصولي لأول يوم من التظاهرة كان الكُل يعمل على قدم وساق من أجل ربح الوقت من يبني الخيام ومن ينظف المكان ، ومن ينزل في خيول، من يبحث عن مكان استراتجي قريب من القبة من طرف التجار المتنقلين ، وخاصة مروجي الأدوية التقليدية الشعبية كل يجري ... ومدهش كثرة الزوار من يوم الأحد حسب أحد المنظمين إلى هذا اليوم الذي من المفروض هو موعد قدوم من يؤدون الوعدة حسب قوله."فزوار"كُثر أمام القبة الوالي مع تنظيم محكم من طرف المنظمين نساء وحدهم في فترة الصباحية من فجر إلى 08 صباحاً للرجال، و من 08 صباحاً إلى الخامسة مساءاً نساء، وهي الفترة أطول حسب أحد المنظمين أن النساء أكثر رغبة في زيارة لهذا حدد لها فترة أطول. غير أن الحقيقة هي أن النساء هم أكثر تقديم للزيارة من الرجال، أما بعد الساعة الخامسة مساءاً تكون ممنوحة للرجال، وكنا أحد من استفادة من زيارة في هذه الفترة المخصصة للنساء لكن يصعب دخول الضريح مع وجود عدد هائل من النساء. لكن في فترة المسائية قمت بدخول بالقوة في أول وهلة تشم رائحة البخور مع شدة الزحام على البابين، من قبل الزوار خاصة أمام الباب الأول الذي وجهه للقبلة.

أما الباب الثاني الذي يؤدي للقبر الضريح فشدة الزحام أكثر، وفي البيت الأول على اليمين نجد المقدم الذي سبق وأن تعرفت عليه سابقاً من ورائه العلم الوالي أخضر اللون والعلم الوطني كذلك ،معلق

4 . علفة هي كلمة تعود عليها المجتمع الريفي في الجنوب الغربي معناها فرقة الخيل التي تلعب أثناء الاحتفالات الموسمية و عادة تتكون علفة أو فرقة من 10 فرسان

على جهة اليمنى من مكانه لوحة مصنوعة من الزجاج فيها شجرة الولي وحسب كتابة التي فيها في أسفل فإنها مهداة من طرف بنت متربصة في التكوين المهني من نفس المنطقة وعلى الأرجح تكون من عرش "الخلايفة".أمام "المقدم" طاولة طويلة بطول 2.5 م مغطاة بقماش أحمر يأخذ "الزيارة" وهي عبارة عن مبلغ مالي من الزائرين ويقدم لهم قطعة صغيرة من القماش الأخضر للتبرك والكُل يدفع ويطلب منه الدعاء له كل حسب طلبه. إضفاء صفة القداسة على قطعة القماش بركة من الضريح لتبرك والمسح بها. عند دخولنا البيت الثاني الذي فيه قبر الولي أول شئ تلاحظه هو رائحة البخور القوية التي يصعب التنفس معها، مع كثرة الزحام على ضريح الولي كل شخص يدخل البيت الضريح يبدأ بطواف من اليمين إلى اليسار مع تقبيل الضريح الذي يقدر علوه بحولي متر، مصنوع من الخشب ومغطى بقماش الأخضر والأحمر، ثم من يرفع الستار على الضريح مباشرة من أجل تقبله ، ومنهم من يقبله فوق الخشبة.على الركن الأيمن يوجد كيس كبير "شكارة" مملوءة برمل، للتذكير عند زيارتي الأولى لم يكن موجود هذا الكيس من الرمل، وعلى الركن الأيسر توجد الشمعة مشتعلة. كل يأخذ التراب من يضعه في قطعة القماش التي أخذها من المقدم ومن يضعها في منديليه، ومن يضعها مباشرة في حقيبته، ومن يأخذ الرمل من القبر مباشرة حيث يرفع الستار ويدخل يديه داخل ويأخذ التراب.و عندما سألنا العديد من الزائرين كم تزور من مرة كُل أجمع على أنهم يزورون عدة مرات و لما مروا بالقرب من ضريح، خاصة إذا كان عدد الزائرين قليل.أما بعض التجار عند سؤلنا لهم كم زرت من مرة ، بعض قال أنه زار عند قدومه فقط ثم يزور عند ذهابه، وعند سؤلي لكن أنت في بركة الوالي ؟ قال لي نعم بركة لكن أنا أشير عليه من بعيد و" **نحن مقدرين قيمته**".هذا ما يوضح أن **الكُل يقدس الولي** رغم عدم زيارته له المهم أنه في" ثمثُلاته" أي في الحقل أي في فضائه الخالص لا يستطيع فعل شئ محرم سوف يعاقب عليه في حين أي تسقط عليه لعنة المقدس، الوالي موقع المقدس ،كما أن من بين الممارسات الموجودة في عين المكان هو تواجد التجار بيع أدوية الشعبية وتقليدية، حيث نجد أكثر من أربعة تجار متنقلين يبيعون أدوية وأعشاب الكُل حسب معرفته الكُل يقول أن دوائي فعال ومجرب ولي تجربة في هذا الميدان و أغلب زبائنهم من الشيوخ والكهول والنساء. وفي طريقي دخلت المسجد مساحته أكثر من **140**م^2 فيه كل المواصفات المسجد العادي غير أنه لا تقام فيه صلاة الجمعة، أمام الباب مباشرة تجد صندوق كبير محمول على طاولة إنه صندوق جمع الزيارة هكذا مكتوب عليه، تقام فيه أناشيد وذكر جمعاً بين صلاة العصر إلى المغرب، أما في صباح فيوضع شريط مسجل للذكر، يُشعر الذي في حقل الضريح أن جّمع من الناس يذكرون داخل المسجد صوته يسمع على بُعد مسافة بعيدة يزاحم مكبرات الصوت الخاصة حلقات البيع والغناء ورقصات العلاوي وحلقات عيساوة. عندما سئلنا أحد المشرفين عليه هل المسجد مفتوح طيلة العام؟ قال لي نعم إنه مدرسة قرآنية من استطلاعي بالأمر ثبت أن الدولة وعلى رأسها مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية البيض ومديرية إدارة السجون، مّن مّون مشروع بناء المسجد وعلى سواعد المساجين.وكان يقيم فيه الجيش الشعبي الوطني لمدة خمس السنوات حتى سنة 2005 ، خرج

منه لتتخذ منه جمعية سيدي خليفة مقراً لها وفيها البيت كبير بجانب المسجد تعتبر مكاتب لها، كما يغلق بعد صلاة العشاء حتى لا ينام فيه الزوار. كما نجد حلقات المجذوبين على رقصة العلاوي ،وبحضور رجالي نسائي على الحلقة مع تقديم زيارة طبعاً ووجود حلقات عيساوة الذين يسقون على لصعات العقرب والأفاعي التي تجدب إليها زبائن كثيرين.

ولا ننسى بأن سوق أسبوعي يباع فيه كل شئ ملابس أحذية، أواني، حلويات مشروبات، الشاي، مطعم متنقل وجبات خفيفة، ووجود أكثر لحلوة **النوقة** التي لها زبائن أكثر لأنها لها علاقة بوالي" المقدس" أكثر فكُل زائر عليه على أقل شراء هذا نوع من حلوى لأهله لأنه يقدم للأطفال وجيران بإسم بركة الوالي سيدي خليفة لها من قدسية ما يجعلها عزيزة في تقسيمها و كل يجب أن يذوق و لو قطعة صغيرة.

أما الممارسين للوعدة فأغلبهم لهم بيوت مبنية بحجر والطوب، ومن لهم بيوت مبنية بحجر واسمنت وأغلبها مسقف بلاط الحديدي، مع وجود الكهرباء في أغلب البيوت فمنهم من ورثها أباً عن الجد ومنهم من لجأ إليها بعد أن تركها أهلها.وهذا نادر جداً لا نجد بيت خالية كلها فيها أصحابها مع وجود بعض السكان القاطنين في المنطقة بصفة دائمة فهؤلاء المريدين والممارسين "للوعدة" يقيمون على أكثر أربع ليالي من ليلة الثلاثاء إلى مساء الجمعة، يذبحون أضحيتهم عند مجيئهم في أول ليلة يتلذذون بأكل الملفوف والشواء قبل موعد الوعدة كما أن هؤلاء هم من يعزمون أهليهم وأصدقائهم وأحبابهم للحضور الوعدة يوم الخميس أو الجمعة صباحاً .لا يوجد وقت محدد للذبح الأضحية فكل حسب ما يراه مناسب له فمنهم من يذبح الأضحية ليلة مجيئه، ومنهم من يذبح حتى الصباح ، لكن أغلبهم يذبح يوم الخميس لا نجد أحد يذبح يوم الجمعة رغم أن وعدة محددة يوم الجمعة. أما اللعب بالخيل فكُل يأتي من أجل نزهة إنها هوية أحد الفرسان قال لي أنه" أين ما يسمع بوعدة أأتي لأنني أحب اللعب الفروسية وحتى حصاني لا يمل من المكوث في إسطبل" أكثر من 250 فارس في هذه الوعدة، موزعة من 07 و 10 فرسان لكل فرقة لباسها الخاص بها موحد، وتمثل عرش ما من الأعراش المجاورة مثل فرقة الجعافرة يقال "علفة جعافرة"، ويتم اللعب بالخيل في فترة الصباحية من يوم الأربعاء وفي فترة المسائية من نفس اليوم، على أن تكون فترة الصباحية والمسائية من يوم الخميس والفترة الصباحية فقط من يوم الجمعة، على أن يفترق الكل على الساعة 11ونصف. من بين الفرسان منهم من يمارس الطقوس الوعدة وهو مقيم مع عائلته وأهله ومنهم من هو مدعوا لحضور الاحتفال عند أصدقائه، لأن أغلب الفرسان يعرفون بعضهم البعض ولهذا نجدهم يحضرون كل مراسيم الوعدة. لكل عرش وعدة خاص به وكل فرقة من الخيل تدعوا أصدقائها في موسم الوعدة و نجد الفرسان مقسمة حسب العروش كل عرش يمثله 10 فرسان باللباس تقليدي موحد لكل عشرة فرسان. كل الألبسة التقليدية مختلفة بين كل فرقة حيث كل فرقة تلبس لباسها التقليدي خاص بها مما يزدها جمال خاصة الخيل.كل الأيام الثلاثة من الثلاثاء إلى الجمعة صباحاً هو موسم زيارات إلى ضريح سيدي خليفة كل وسائل النقل لولاية المجاورة تجدها في عين المكان من الأغواط، أدرار ، بشار، البيض ، النعامة، سعيدة،

معسكر، سيدي بلعباس أما سيارات الخاصة فتقريباً نجد كل أرقام الولايات، وبعض السيارات المرقمة أجنبياً.طيلة هذه الأيام لا تنتهي زيارة فالقبة الضريح دائماً مزدحمة سواء وقت النساء أو الرجال ملعب الخيل مزدحم ، حلقات البيع أدوية الشعبية كذلك حلقات الخاصة بأغاني الشعبية وشعر الملحون، أماكن التجارية كل مزدحم أنهم بالآلاف لا تسعهم كل هذه المساحة أكثر من 20 هكتار مساحة محاذية لقبة الضريح.بعد الانتهاء من الفاتحة أمام قبة الوالي التي لا يحضُرها الكثير، رغم أن المقدم الضريح قال لي أنها مقدسة ويجب على الكُل حضورها، لكن الواقع أن من يحضُرها إلا القليل وأغلبهم من عرش الخلايفة، بقى بعض الزائرين الممارسين للوعدة يؤدون زيارة الوداع للوالي وتقديم أخر زيارة حتى لا تفوته الفرصة.لاحظت أثناء الفاتحة رغم أن أحدهم يرفع راية الوالي خضراء اللون مكتوب عليها لا إله إلا الله– الله أكبر تتوسطه نجمة خماسية بين لا إله إلا الله والله أكبر وفي أسفل الراية مكتوب إسم " **سيدي أحمد**"، وراية المرفوعة إلى الأعلى الكُل يشاهدها من أجل رفع الأيادي و تأمين على الفاتحة و الدعاء للجميع.في نهاية بعد الساعة الثالثة مساءاً أصبحت المنطقة شبه خالية إلا من بعض المقيمين الذين بدؤوا في حمل أمتعتهم .

ج.**أثنوغرافية مكان الضريح**

تُشكل رؤية ضريح الوالي مكانة مقدسة لدى جميع زوار ومريدي هذه الوليمة"وعدة سيدي خليفة ، يتربع الضريح الذي يبعد عن المسافة سبعة كلم من مقر بلدية الخيثر طريق معبد إليه، موقعه في مساحة كبيرة أكثر من **30** هكتار وراؤه ملعب للخيل على مسافة كلم ونصف مهيأ للعب، له قدر كبير من الأهمية لدى سكان منطقة الخيثر خاصة عرش الخلايفة، لهذا تجده دائما يتميز بالسعةو الكبر مساحة و الزينة.كما له "مقدم" أي من يقوم بالخدمة للضريح طول السنة خصيصاً له.عند وصلك مباشرة إلى عين المكان من بعيد و على مسافة أكثر من كلم تشاهد القبة الكبيرة إنها ظاهرة للعيان، عند وصول المرء للمكان يتوقف كل شئ إنه في فضاء المقدس يشير إليه من بعيد " **سلام، سلام سلام يا سيدي خليفة راني جاي زاير** " هذه أغلب العبارات الذي يقولها الزائر عند حلوله لعين المكان.لا تصل القبة إلا بعد قطع مسافة **120** متر لأن محطة الأخيرة للحافلات بعيدة وأنا أمشي على يمينك ويسارك تجار كل أنواع السلع وكأنك في السوق تذكرت القصص، عند اقتربت من القبة الضريح إذ بوضع سياج على بعد 60 متر من الضريح وعليه حراس البلدي وبعض المنظمين يمنعون الزوار من الدخول إنه وقت النساء.هذا السياج جديد تم إنشائه في مناسبة الوعدة فقط، لأنني لم ألاحظه في زيارتي أولى يتربع الضريح على مساحة كبيرة محاطة بصور على علو متر ونصف على كامل الضريح وقبب المجاورة له،حيث تبلغ المسافة بين الباب الضريح و الصور حوالي 10 متر. كُل تلك المساحة مبلطة ببلاط، وصور تم طلائه بالأبيض والقبة بالأبيض والأخضر مع وضع إشارة فوق ضريح مكتوب عليها " الوالي سيدي خليفة" تهيئة الفضاء الصاليح بما يليق به " **كمقدس**".

كما يوجد رواق على مسافة 25 متر طول و عرضه 02 متر محاط بصور على مسافة متر ونصف يؤدي مباشرة لقبة الضريح، على قبة الضريح في أعلى تمثال نحاسي في شكل دائرتين وفي فوق هلال بلون أخضر

كلها مرصفة بالترصيص الصحي أبيض اللون Faïence ، وفي صومعة القبة نوافذ في أعلى تطل مباشرة على ضريح الوالي باب القبة من الخشب لونه أخضر وله مفتاح حيث يغلق الضريح في أوقات التي لا يكون فيها زوار من طرف المقدم الوالي. له أربع أوجه بجانبه وعلى جهة اليمنى لضريح الولي توجد" القبة الضريح إسمه الشيخ **بن خليفة أخ الولي سيدي خليفة** " له صومعة خضراء وباب خشبي أخضر. ووراء هذا الضريح بيت مسقف بقرميد الأحمر ليس فيه قبة إنه" **الضريح إبنه سيد أحمد بن خليفة"** ، ووراءه مباشرة يوجد بناء عادي لبيت من الحجر وإسمنت سقفه من قرميد أحمر إنه **ضريح عم الولي اسمه سيدي مسعود"**، وإلى جانب هذا الضريح على مسافة 100متر يوجد ضريح أخر إنه" **ابن الولي سيدي خليفة واسمه سيدي بوعزة**" كذلك بيت عادي باب أزرق حديدي سطح من الخشب والقرميد الأحمر، كلهم محاطون بصور مسافته متر ونصف أمام الضريح مقبرة خاصة بعرش الخلايفة. كما أن وراءه مباشرة على يمين الضريح مجموعة من الأحجار راسية في الأرض يقول بعض أنها هي أجسام العباد الذين أردوا كيد بالولي ، وهو يصلي بهم فجعلهم الله حجر قصة سبق ذكرها، فإن الكثير من يعرف القصة ويعتقد بها يصرف عليها ولا يمر بجانبها حتى لا يسبه شرهم.كما توجد مقبرة أخرى على جهة اليسرى من الضريح كما توجد بجانب الضريح على مسافة ميل بركة كبيرة للماء إنها " **بركة الولي سيدي خليفة** "بسبب وجودها يسمى والي " **ببحر سيدي خليفة و ليعوم فيه يشفى** "واغلب زائره لتبرك هم النساء وهي محاطة بصور عالي على مسافة خمسة أمتار وعليها حارس عند بابها الكبير المصنوع من الحديد ، قال لي أحد المنظمين" أننا أردنا ترصيص جوانبها ببلاط فجفت البركة فتوقفنا عن الأشغال فرجعت كما كانت"، هذه القصة تصبح أسطورة وتزيد من قدسية المكان إلى حد تصبح صورة المقدسة حية، هذه الصورة الخارجية لمكان وجود المقدس وسوف نتطرق بتفصيل ماذا يحتوي داخل كل ضريح.

I. 3."ركب" أولاد سيد الشيخ بـ: بلدية الأبيض سيد الشيخ ولاية البيض

بعد توقف إحياء تظاهرة لمدة ثلاث السنوات بسبب جائحة كرونا ها هي تعود وبحلة أخرى تُشكل احتفالية ركب الأبيض سيدي الشيخ بالبيض فضاء متميزًا وقعه الحضور المكثف لآلاف الحشود التي قدمت إلى القلعة التاريخية لأولاد سيدي الشيخ صغارا وكبارا نساء ورجالا لزيارة ضريح الولي سيدي عبد القادر بن محمد المعروف بسيد الشيخ.كما يقوم الزوار بالتبرك بالضريح الولي في جو اجتمع فيه الجميع معبرين عن تمسكهم التام بانتمائهم الحضاري والتاريخي، ضمن جملة من معاني الجُود والكّرم التي صنعها أحفاد الولي ، وسكان وأهالي منطقة الأبيض سيدي الشيخ الذين استضافوا الجميع وخاصة شيخ زاوية عين السخونة "الحاج حمو الطيب" الذي يُعتبر سيد الشيخ جده كما أسس الشيخ الزاوية الحاج حمو الطيب سنة 2005 "**دار للقرآن**" تعتبر منارة للعلم بزخرفتها وموقعها في وسط المدينة، وقد أخذت هذه المناسبة ركحًا فلكوريا وحضاريا جسدته فرق الخيالة و **الفنتازية**" التي أمتعت المشاركين في الركب بإبداعات

فروسية جميلة وممتعة، تُمت بصلة بعروبة الأصل والانتماء وسط أهازيج البارود المدوي وسط ساحة المدينة ضمن حلقة تلاقي اتفق فيها الجميع على سنمفونية التآخي و التآزر.وتخللت هذه الاحتفالية استذكار لعدة أبيات جاءت في الياقوتة لصاحبها الولي سيدي الشيخ التي تحث على السلوك المستقيم للمؤمن والصادق، والتي يعتبرها بعض المؤرخين بأنها كانت العامل الأساسي في قيام العديد من الثورات المقاومة للاحتلال المستبد كما كان الحال في ثورة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ ككُل. تستمر الأجواء الاحتفالية لركب الأبيض سيدي الشيخ وسط إستفاضات ضمنية تدعو في مجملها إلى التمسك بالانتماء الحضاري والاعتزاز به، ضمن نسق جامع يدعو إلى المصالحة وتكريس سبل السلم والمؤاخاة والتضامن الاجتماعي في السراء والضراء ضمن مسيرة تقف هي الأخرى في باب البناء الوطني المتماسك، تستمر هذه التظاهرة لمدة أسبوع و إن كان إطلاقها يومي 26 و 27 و 28 من شهر جوان. وكُنت من بين المشاركين ضمن هذا الاحتفال الطقسي الكبير من أجل الملاحظة المباشرة لدور المقدس في خلق الممارسات في حضنه، قبل أن نذكر مختلف الطقوس أقدم نبذة عن شخصية المقدس التي أفادني بها شيخ زاوية عين السخونة الحاج حمو الطيب مع بعض المراجع التاريخية، ثم نتطرق إلى أثنوغرافية المكان.

أ.نبذة عن شخصية الولي سيد الشيخ

"سيد الشيخ"واحد من الوجوه الأكثر بروزاً في الجنوب الغربي الجزائري على الصعيد الديني، كما على الصعيد التاريخي، تسمية سيدي الشيخ التي عُرف واشتهر بها هي لقب يدل على علوّ مكانة مشيخته ولايته.اسمه الحقيقي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، نشأ في نواحي"قصر أربوات"، وهي عبارة عن واحة واقعة على الطريق المؤدي إلى البيّض في اتجاه الأبيض سيد الشيخ على بعد حوالي **23** كلم من هذه الأخيرة ، وبالرجوع إلى عمل المؤرخين المسلمين فإن كُتّاب مناقب سيدي الشيخ اعتادوا الإشارة إلى أجداده من أبيه لكنهم مقتضبون بل وساكتون عن ذكر نسبه من أمّه.

مولده: بينما كانت أمه آتية من البدو حصل لها المخاض في أربوات الفوقاني وبالضبط بدرا قرب المسجد العتيق "معلم تاريخي"، وقد اتخذها أهل المنطقة كدار للضيوف ، كما أنها تحتوي هذه الدار على "وتد" أصبح يستعمله أهل هذه المنطقة للتداوي به من كل داء.حسب بعض الأقاويل الشعبية المعروفة فإنّ أُمّه تسمّى"شفيرية" كانت ابنة الشريف سيد علي بن سعيد أحد "أولياء" المنطقة ، وقبره مشيّد في قبّة في" قصر الغاسول"على بعد حوالي **35** كلم جنوب البيّض حاليا. أما تاريخ ميلاده ووفاته ومسقط رأسه يوجد شك كبير، إن المخطوطات التي يمتلكها أحفاده تعطينا معلومات ريبية وغير يقينية لا تمكّننا من الاستنتاج الصحيح.زد على ذلك أنه لا يمكن التيقّن من الزمان والمسافات بين الولادات عند البدو الرحّل الذين تتميز حياتهم بالترحال المستمر دائما وراء القوت ، مجبرون بطبيعة حياتهم على العيش مع ماشيتهم متنقلين حسب الفصول أو حسب الظروف السياسية أو الاقتصادية على الهضاب أو بين السهول وغالبا حول عنصر الماء سواء أكانت عينا أو بئرا.فالمنقول شفهياً أن عائلته كانت تحط الرحال عادة في" منطقة الحمّام"

غير بعيد عن القرية الصغيرة أربوات التحتاني بعض" **الأوتاد**"الطبيعية استعملت كمعالم لتحديد مكان خيمة أبيه عندما نشأ في تاريخ لم يُجمِع عليه مترجمو حياته، يمكن أن نحتفظ ليس بسنة 951هـ/1544م المقدَّمة من طرف مخطوط مجهول المؤلف"المخطوط م.أ"، لكن يمكننا أن نصل إلى نتيجة مستندين إلى تاريخ وفاته الذي تكاد تتفق عليه جميع المراجع.المخطوطات تصرح أن سيدي الشيخ توفي سنة **1025 هـ الموافق لـ 1616** عن عمر يناهز **85** سنة هجرية ومن ذلك نستنتج أنه ولد سنة **940هـ/ 1533م**. إنه ينزل من سلالة أبي بكر الصديق إلا أنّ سلسلة نسبه وجد فيها من وثيقة إلى أخرى بعض الاختلافات ، أقرب وثيقة إلى الصواب وجد فيها بعض التعديلات باجتهاد من إمام زاوية سيدي الشيخ السابق الراحل"محمد القاسمي" الذي اغْتِيل غدرا في البيّض من طرف مجرم مجهول سنة **1379هـ /1960 م**، حسب هذه الوثيقة المخطوطة فإن سلسلة نسب سيدي الشيخ تكون كالآتي :

الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة بن أبي ليلى بن أبي يحيا بن عيسى بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حرمة الله بن عسكر بن زيد بن أحمد بن عيسى بن الثادي بن محمد بن عيسى بن زيدان بن يزيد بن طفيل بن المضي بن ازراو بن زغوان بن صفوان بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

عائلته أقامت مند بداية القرن التاسع الهجري 14 الميلادي في هذه المنطقة مترحلة بين العرب والبرابرة، وكانت تتمتع بشهرة وإطراء نظرا لانتسابها أبي بكر الصديق رضي الله عنه شهرة مضاعفة نظرا للدور الروحي الكبير الذي لعبه أجداده آل أبي بكر أو كما هو متعارف عليه **البوبكرية**"في تونس والجزائر والمغرب ويحمل سيد عبد القادر بن محمد لقبه الشهير سيد الشيخ الذي أصبح اسمه الشائع حتى أن حفدته تسمى بأولاد سيدي الشيخ بقصة طويلة أسطورتها تعود إلى الماضي، حيث كان سبب حمله لهذا الاسم إلى كرامة شهيرة متواترة مفادها، أن امرأة تلميذة للشيخ سقط ابنها ذات يوم في جُب فنادت بأعلى صوتها:"يا القادر يا عبد القادر..." فإذا بشيخين يحملان معا اسم عبد القادر هبا لإنقاذ الطفل، أما شيخ المرأة فقد أعد يده من الأسفل قبل أن يسقط في الماء، وأما الشيخ سيد عبد القادر الجيلاني فسارع لإمساكه من الأعلى، ولما لاحظ هذا الشيخ أن الطفل مستقر في يد شيخ آخر علم أنه يُشاركه في الاسم فتوجه له بالقول: **ميز إسمك عن إسمي يا شيخ** ".حسب القراءات المتداولة عن كرامات الشيخ أنه مثل هذه الحادثة لا يستطيع القيام بإغاثة من هذا القبيل إلا شيخ كامل، فأجابه سيد عبد القادر بن محمد:" هو ذاك يا شيخ من الآن فصاعدا سأحمل إسم الشيخ الذي شرفتني به" وهكذا تمت له الشهرة بهذا اللقب على حساب إسمه الحقيقي عبد القادر، من خلال هذه القصة عن إحدى كراماته موجودة في أشعاره إذ يقول في الياقوتة مبينا حضوره في الشدائد وكذا قولته المتواترة: **اخديمي انجيه طاير، وعّبدي انجيه غاير، وولدي انجيه ساير** ." **من هم زوجات سيدي الشيخ** ؟كان لسيدي الشيخ في حياته عدّة زوجات

منهن واحدة مسيحية و آخرتهنّ عائشة بنت عبّو "تحريف لعبد الله أو عبد الإله"، دفنت فيما تبقّى من منزل سيدي الشيخ في القصر الغربي غير بعيد من المسجد العتيق الّذي بني من طرف والي صحراوي منذ بداية رسالته.

كيف كانت وفاة سيدي الشيخ؟،حول وفاة سيدي الشيخ لم توفّر المناقب والروايات الشفهية إلاّ معلومات ضعيفة الصحّة، نظرا للأهمية التي يوليها الرواة للأحداث الخارقة للعادة على حساب الأحداث التاريخية البحتة، وبهذا فإن هذين المصدرين يخبران أنه من جرّاء الجراحات الخمسة التي أصيب بها سيدي الشيخ أثناء هجوم على"الإسبان في وهران"، استشهد في سبيل الله و العقيدة حيث وافته المنية قرب قرية صغيرة تسمّى "ستيتين" على بعد حوالي **30** كلم من البيّض حاليا [5] . كما يقول صاحب الكتاب المناقب البوبكرية في صفحة **116** ، أنه أثناء رجوعه من تلمسان ناداه ربّه إليه ، لكن الطريق من تلمسان إلى الأبيض لا يمرّ "بستيتن" ، في حين أنه قد توفي شرق هذا القصر، كما تشهد على ذلك القبة التذكارية التي بنيت هناك المناقب والرواية الشفهية تشيران إلى خط السير الذي اتّبعه جثمانه الذي حمله على ناقة بعض مرافقيه منهم مقدّم : المغسل ثم "الكراكدة" وأخيرا "الفرعة" وهو اسم الساحة الواسعة التي تنتصب حولها القصور التي يتألف منها الأبيض [6] .يكون قد توفي يوم الجمعة 02 من شهر جمادى الأولى 1025 هجرية ، في حين أن **02** جمادى الأولى كان يوم أربعاء و ليس يوم جمعة الموافق ليوم 18 ماي **1616** ميلادية. عن سن يناهز **85** سنة حسب نفس الوثيقة، إذا اعتبرنا هذه المعلومات صحيحة فإنه قد ولد سنة **940** هـ أي **1532** م وقد دفن يوم الأحد [7]

ب.تعريف بالطريقة الشيخية

نسبة للولي الشهير، الشيخ سيد أبو عبد الله عبد القادر بن محمد المعروف "بسيدي الشيخ" هو الذي أسس الطريقة وسميت بإسمه: شيخية أو بوشيخية، وذلك في القرن العاشر الهجري، فالطريقة الشيخية هي طريقة صوفية، تحث على طاعة الله عز وجل والالتزام وهي طريق قويم وصراط مستقيم تهدي إلى السبيل والهدى،جامعة بين الشريعة والحقيقة لأنها لب الطريقة الشاذلية بسندها المتصل إلى الإمام أبو الحسن الشاذلي. وقد أجمع القوم على الطريقة الشاذلية إن مبنى الطريقة الشيخية على طلب العلم واحترام العلماء والفقهاء والفقراء، وكثرة ذكر الله تعالى مع الحضور، إذ هي من أقوم وأبسط وأنفذ وأقرب الطرق الصوفية ، فمن سلكها وصل إليه تعالى مصحوبا بالسلامة. محفوفا بالكرامة والأنوار، لأنها متمسكة بآداب الشريعة التي تحث على فضيلة الوسط بلا مجاهدة ولا كثرة الجوع ، ولا كثرة السهر ولا طقوس، حسب قول

---

5. من كتاب المناقب البوبكرية لـ : ص 38-37

6. نفس المرجع ص 57

7. نفس المرجع ص 57 و 58

الشيخ زاوية عين السخونة الحاج حمو الطيب للطريقة الشيخية أذكارها وأورادها الخاصة بها، أمر بها الولي سيد الشيخ نفعا لأتباعه وعلى المريدين عن طريق لهذه الأوراد وما خصت به من بركات.يعتنق الطريقة الشيخية عدد كبير جدا من المريدين، بالمغرب العربي وأوروبا وأمريكا، أين ينتشر أولاد سيدي الشيخ والقبائل التابعة لها: كالشرفاء، البوبكرية خاصة أولاد سيدي أحمد المجدوب، المهاية، العكارمة، حميان، العمور، أولاد جرير، بني مطهر، بني كيل، الرزاينة، القرارشة، الشعانبة، الأغواط كسال، البرابر..... وغيرهم من القبائل المخلصة للطريقة الشيخية.

I. 4.مقر و زوايا "الطريقة الشيخية " بالجزائر

أولاً : الزاوية المركزية الأم الكبرى الشهيرة التي بها ضريح سيدي الشيخ المؤسس ببلدية الأبيض سيدي الشيخ" ، يخدمها عبيد الزاوية، وحفدة سيدي الشيخ.زاوية سيدي الحاج الدين ببلدية بريزينة كان لها السبق في عقد لواء الجهاد لثورات أولاد سيدي الشيخ بقيادة سيدي سليمان بن حمزة سنة **1864م** ، وكذلك قادة ثورة التحرير المباركة بناحية البيض والقائمون عليها هم سيد فتاتي بوبكر بن الحاج أحمد، وسيد فتاتي الطيب بن الحاج الدين، وسيد فتاتي حمزة بن محمد فهي مأوى للفقراء وإطعام الطعام وعابري السبيل و بها مدرسة لتعليم القرآن الكريم .زاوية متليلي الشعانبية لمؤسسها سيد الحاج أحمد بن بحوص دفين متليلي بالهضبة المطلة على زاويته بشعبة سيد الشيخ وله قبة تزار هناك والقائم عليها نجله سيدي عبد القادر بن الحاج أحمد وبها مدرسة قرآنية. زاوية عين السخونة الشهيرة بولاية سعيدة لمؤسسها الولي الصالح سيدي الحاج محمد بن بحوص دفين سخونة وبها مدرسة لتعليم القرآن الكريم والقائم عليها المقدم سيدي الحاج المختار رحمه الله الذي توفي في **18 مارس 2007** ، وتم تنصيب إبنه حمو الطيب قائم بأعمالها وشيخ زاوية بمباركة الطريقة الشيخية بالمغرب وبفرنسا ، كما أسس مدرسة قرآنية خاصة تحمل إسم دار القرآن بالأبيض سيد الشيخ غير بعيدة من ضريح جده "سيد الشيخ" زاوية عسلة لمؤسسها الولي الصالح سيد محمد بن يمينة بدائرة شروين ولاية أدرار بالمكان المسمى **تبو**، أين أسس هذه الزاوية ثم أنتقل بها إلى بلدة عسلة بولاية النعامة المكان الذي توفي به رحمه الله ودفن بمقبرة سيدي أحمد المجدوب، فهي مقصد الزائرين للتبرك به والقائم على الزاوية إخوته سيد الناصر وسيد المبروك، وله موسم كبير يقام مرة في سنة محدد بـ **15** أكتوبر من كل سنة.وقد تم الاحتفال به مرة في شهر رمضان إذ صادف تاريخ معه و تعتبر من أحسن "الوعدات" من جانب التنظيمي.

أ.أشهر الزوايا بالمملكة المغربية

الزاوية البوعمامية الشيخية: أسسها سيد الشيخ بوعمامة بها مسجد كبير ومدرسة قرآنية تعلم القرآن الكريم والتجويد والفقه والحديث الشريف ، وهي الآن تحت إشراف الشيخ الحالي للطريقة "الشيخ الحاج حمزة" هناك زوايا أخرى لم نذكرها لعدم توفرنا على المعلومات الكافية.

ب. أوراد الطريقة الشيخية إجمالا

الأذكار العامة: الأصل أن الوظيفة الشيخية لازمة على المريد الشيخي مرتين في اليوم، بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب.

تتم على الشكل التالي:

أولا: أداء صلاة الفريضة جماعة سواء صلاة الصبح أو المغرب.

ثانيا: قراءة الحزب اليومي من القرآن الكريم ، ثم يتم الشروع في الوظيفة الخاصة كما يلي:

- ✓ افتتاح حزب الفلاح جماعة وجهرا وإذا لم تتيسر الجماعة أتى به المريد منفردا، و هو ذكر عام مطلق يعطى للراغبين الجدد سواء كانوا عزابا أو متزوجين.
- ✓ افتتاح الحضرة بعد حزب الفلاح مباشرة خلال فصل الشتاء الذي يطول فيه الليل ويمكن للمريد أن يأتي به منفردا، إذا لم تتيسر الجماعة إلا أن السماع الجماعي مطلوب فيه. أما باقي الفصول فيؤتى بها مرة في الأسبوع ليلة الجمعة.
- ✓ الصلاة الكمالية: وهي:" اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله " "25 مرة"، هذا الذكر يعتبر جزءا من الوظيفة اليومية بعد صلاة الصبح وبين العشاءين .

الكلمة الطيبة: هي كلمة التوحيد" لا اله الا الله، تردد مائة مرة، منها سبعة عشرة مرة : محمد رسول الله تنقسم الجماعة فريقين، يقولها الفريق الأول الذي فيه "المقدم"مرتين، ثم يردها عليه الفريق الثاني. ويسمى هذا الذكر بدور سيدي الشيخ أو السبحة، وهذا الذي يؤتى به في كل اجتماع ويتأكد على الجماعة بعد صلاة الصبح وبين العشاءين.

الصلاة الأمية :

وصيغتها:اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. 80 مرة يأتون بها بعد عصر يوم الجمعة.

قصيدة الياقوتة:

على الأقل مرة في الأسبوع ليلة الجمعة وفي المناسبات الدينية " المواسم... "

الأذكار الخاصة :

- **الورد الخاص**: وهو الورد المأذون للمقدم أن يلقنه الفقراء.

والورد الشيخي يتميز عن أوراد الطرق الأخرى أنه يؤتى به سرا لا جهرا، ولا يسمح أن يباح به لغير المريد بحال ، ولعل من حكمة ذلك، تربية المريد على صيانة العهد وكتمان السر، والزيادة في الأجر،لأن الذكر إذا كان سرا كان أجره أكثر. وتشجيع الناس على طلب الورد بدافع حب ولأنه يحتوي على" **الاسم الأعظم** " الذي لا ينبغي أن يعلمه كل أحد وغير ذلك من الحكم ومن أهم شروطه الزواج فلا يعطى للأعزب.

الورد الأخص:

وهو الورد الذي يلقنه الشيخ لمن رآه أهلا لذلك من خواص مريديه الذين يتربون تحت رعايته المباشرة والصلاحية كاملة في هذا النوع من الورد للشيخ كمًا و نوعًا حسبما يراه من استعداد المريد.

أهمية السبحة في الطريقة

السبحة شعار المريد في أية طريقة كانت ، وهي تتميز لدى الشيخيين بوجود حبة من المرجان بعد حبة السبحة الخمسين إن سبحة أي مريد في الطريقة الشيخية ، شعاره المرجانّة.

شيوخ الطريقة الشيخية بعد مؤسسها

قبيل وفاة سيد الشيخ رحمه الله ترك وصيته المكتوبة والمختومة بطابعه، من جملة ما أوصى به سيد الشيخ " تقوى الله عز وجل والإلتزام بالسنة المطهرة، وإطعام الطعام وإسعاف ذوي الحاجات ، وأن مشيخة الطريقة الشيخية لإبنه سيد الحاج أبوحفص" [8] ،ثم تورثها أحفاده جيل بعد جيل أما شيخ الحالي للطريقة الشيخية هو "الشيخ الحاج حمزة"، الشيخ الزاوية البوعمامية الشيخية التي أسسها الشيخ بوعمامة مقرها بالمملكة المغربية.

ج.أثنوغرافية المكان

كانت زيارتي لعين المكان يوم الأربعاء الموافق لـ **23 جوان 2022** ومكثت فيها طيلة الموسم الطقسي بركب سيد الشيخ إلى غاية انتهائه.كانت البداية من سعيدة حيث توجهت إلى محطة نقل المسافرين على الساعة 07 صباحاً حيث امتطيت حافلة خط البيض لأنه لا يوجد خط مباشر لمكان "الأبيض سيد الشيخ" تبعد المسافة بين البيض وسعيدة حوالي 200 كلم ، ومسافة بين الأبيض سيد الشيخ والبيض حوالي 100 كلم، كان أول توقف في بلدية "الخيثر"، الكّل ينتظر الحافلة من أجل التنقل إلى عين المكان ثم كانت ثاني محطة بلدية "بوقطب"، الكثير من المسافرين يردون أن يركبوا لكن لا مكان ، ثم توجهت الحافلة إلى البيض طريق خالي صحراء لا يوجد اخضرار الطريق معبد وطويل بعد أكثر من ثلاث ساعات وصلنا إلى ولاية البيض.بعد أن تعرفت على مكان توقف الحافلات التي تّقل إلى الأبيض سيد الشيخ، كانت المحطة تعج بالحافلات، إنها فرصة للعمل أكثر إذ تزدهر فيه التجارة بأنواعها و منها وسائل النقل، حيث تُسخّر كُل حافلات النقل للخطوط أخرى للعمل في خط البيض الأبيض سيد الشيخ، عن مسافة 80 كلم المهم كانت الرحلة طويلة فالمسافة بين البيض والأبيض سيد الشيخ أكثر من 300 كلم حيث دامت الرحلة أكثر من ثلاث ساعات نظراً لبطء سرعة الحافلة، الطريق صحراوية مع وجود الخيام المتنقلة لمربي الأنعام في مناطق شبه خالية، وجود مناطق خلابة أحياناً مع بساتين من النخل وواحات وكثبان رملية، إلى أن وصلنا

8 . من كتاب المناقب البوبكرية لـ : ص 88

بلدية الأبيض سيد الشيخ التي هي مقر للدائرة وتُعد من البلديات الكبيرة في إقليم ولاية البيض، أغلب قاطنيها من عرش أولاد سيد الشيخ وحميان وشعابنة الذين كانوا من بين القبائل الأولى التحقت بجهاد مع أولاد سيد الشيخ ضد الاستعمار.

عند نزولي الكُل يوجهك إلى مكان الركب أي احتفال توجهت مباشرة إلى عين المكان أول شئ لاحظته هو كثرة "القبب" حيث لا تعرف أين ضريح الولي سيد الشيخ"كما أن كل هذه الأضرحة محاطة بسور طوله حوالي **04** متر.كما أن الشئ الثاني الذي تلاحظه هو الاختلاف في طريقة بناء القبب فيما بينها وبين القبب التي توجد في الشمال وفي الهضاب العليا، حيث نجد أن القبب في شمال تكون القبة كبيرة ودائرية أما القبب المتواجدة في المنطقة فإن بناءها يأخذ شكل قصر الصحراء وتُبنّى القبة على شكل صومعة ثم توضع في قمتها قبة صغيرة ، وهذا الاختلاف له تاريخ حيث أن الجماعات المحلية في المنطقة يأخذون أشكالاً لأضرحتهم مثل بناء قصورهم الموجودة حتى الآن وهي من الثقافة العمرانية للمنطقة.وتمّ تزيين المكان لهذه التظاهرة بالأعلام الوطنية التي عُلقت حول كل الأضرحة وفي المساحة الخارجية حول موقع الضريح "سيد الشيخ".كانت أول قبة صادفتني في طريقي لإبن الوالي الحاج بوحفص وإسمه" جلول بوحفص" قبة صغيرة جداً ، يقف عليها شاب في العشرينات أمامه طبق من الحلفاء مزين بقطعة من القماش توضع فيه "ضريبة الزيارة" سّلمتُ عليه وتوجّهتُ إلى أكبر قبة بجانبه إنه إبن الثاني لسيد الشيخ وخّلفته "الحاج بوحفص" القبة كبيرة فيها بيتين الأولى على اليمين موجود فيها قبر مقدم الطريقة السيد:"الشيخ بن حمزة" الذي وحد قبائل أولاد سيد الشيخ بعد الفتنة مع الشيخ بوبكر بن حمزة جّد دليل ابوبكر عميد مسجد باريس إثر عدم دعم هذا الأخير في الانتخابات المحلية، وبجانب هذا الضريح يوجد ضريح لأحد الأحفاد اسمه بن حمري حمزة متوفى سنة **1979**م ، وعند سؤالي أن عدد زوار قليل أجابني بأن أغلب زوار لا يطيلون الزيارة عند "سيدي بوحفص وهو الضريح الذي نحن فيه . **إنها درجة التقديس** لكن "تطُول" مدة بقائهم عند **ضريح سيد الشيخ أكثر** ، هو **أكثر فضاء للتقديس** الضريح "سيدي بوحفص يتربع على مساحة كبيرة حوالي **08** م^2 يتوسط هذه القبة مبني عليه بيت من الخشب على شكل "بيت بقبة ومغطى كله بقماش من النوع الجيد يميل لونه إلى الأخضر أكثر، كما له باب في هذا البيت الخشبي طوله مترين فوقه علامة من نحاس على شكل هلال و نجمة وعرضه **60** سم . عند دخولك تشُم رائحة بخور قويّة الضريح الذي يتوسط هذه البيت ، طوله حوالي متر ونصف ، المكان ضيق والحرارة بداخله كبيرة نتيجة إشعال الكهرباء حيث توجد ثُرية **Lustre** عليه ثلاث إنارات مما يزيد في درجة الحرارة ، مع وجود نافذة واحدة على الجهة اليسرى من الضريح تطُل خارج البيت الخشبية ، حيث أن بناء هذا البيت الخشبي مغطى بالقماش يزيد في بهاء الضريح حيث يُربكك المنظر وتشعر بمهابة المكان، مما يزيد من قدسيته ويؤثر على الشعور النفسي للزوار.يجعل هذا المكان الذي يحيط بالبيت في شكل دائري، يطوف به الزوار ثم يدخلون إلى الضريح الذي يعلو أكثر من متر على الأرض مغطى بنفس القماش، والمكان مزين مثل العرش

بالأعلام الوطنية وعلم الولي وعليه نافذة صغيرة في الأمام، إذا كان الباب الداخلي مغلوق ، يمكن الزيارة بالنظر إلى ضريح منها على مسافة غير عالية. عند مكان رأسه يوجد لوحتان واحدة على اليمين والأخرى على اليسار مكتوب عليها "**ضريح الولي الصالح و القطب الواضح سيد الحاج بحوص الغوث الكبير سيدي الشيخ**" .

وفي إحدى الزوايا اليمنى يوجد مكان شبه المدفأة التقليدية عليها شمعة منيرة ، أما بلاط الكلي للقبة فإنه من النوع الجيد، أما وجه الخارجي فإن البيت الخشبي المزين بطريقة النقش على الخشب **"أرابسيك"** يزيد من جمال الضريح، وعند طوافك تجد على يمين الضريح من الخارج مكتوب عل قطعة القماش" **وزير الدفاع الولي الصالح سيد الحاج بحوص**" وهذا اللقب أعطي فيما بعد على نية أن في حياته لم يصب المنطقة أي أذى إذ كان هو الحامي الديار والعباد من كل شئ. القبة كلها مزينة من فوق بأقواس إسلامية وكأنك في مسجد، أما القبة ككل عليها صور مزينة ببلاط من النوع جيد **Faïence** أزرق وأبيض، وقد قال لي مقدم الضريح عند سؤالي له من أهتم ببناء وتهيئة المكان كان جوابه الوالي السابق لولاية البيض هو من قام بتهيئة كلية لجميع أضرحة أولاد سيد الشيخ والمساحة المجاورة له وذلك في إطار اهتمام الدولة بالمؤسسات التقليدية ومعالم السياحة الدينية.يوجد عدد قليل من الزوار الذين دخلوا للزيارة في وجودي كانت زيارتهم مختلطة نساء رجال والأطفال، كل يبدأ من اليمين ثم يدخل إلى الضريح يُقبل القماش الموجود فوق الضريح و يمسح وجهه ، بعض يقرأ القرآن و البعض الأخر يدعو بما شاء لا يُوجد القيِّم بداخل الضريح . انهم في مجال القدسي خالص.كل القادمين إلى "تظاهرة الركب" يتوجهون مباشرة إلى الضريح الكبير "المقدس" الأكثر اهتمام هو "سيد الشيخ ، وللعلم أن كل هذه الأضرحة محاطة بصور علوه أكثر من ثلاثة أمتار كما توجد بداخله مقبرة خاصة بعرش أولاد سيد الشيخ وتوجد بعض القبور محيطة بالجدار الخارجي للولي حيث يتم تقريبها تعتبر فضاء تابع للصاليح . هذا الولي له عدة قبب مبنية بإسمه في منطقة مغرار بالبيض وفي البيض له عدة قبب وغرداية وفي المنطقة المجاورة يتبرك بها الزوار، وذلك راجع لشهرته في المنطقة من كثرة تنقلاته فيها. انها اضفاء بركة الصاليح في أي مكان ويؤخذ قدسية مباشرة وتُقام له الطقوس في أي مكان وفي أي زمان.ثم توجهت مباشرة إلى الضريح المقدس الكبير سيد الشيخ" وفي الطريق إليه توجد الزاوية المركزية القرآنية لسيد الشيخ الذي كان شيخ زاوية عين السخونة يُدير شؤونها فنشب خلاف بينه وبين أحد أعمامه فتّم إبعاده عنها ، ولذلك أسس دار للقرآن تبعد عن ضريح سيد الشيخ حوالي **900** متر وللعلم الزاوية الأولى مغلوقة تُفتح فقط أثناء الاحتفال وعلى جانب الأضرحة تجد التجار المتنقلين، كل شئ يباع ، وصوت الفرق الغناء البدوي لا ينقطع، موقع الضريح سيد الشيخ في وسط مدينة الأبيض سيد الشيخ إذ أمامه تم تدشين لوحة كبيرة تلمح إلى صمود وتواصل ثورة أولاد سيد الشيخ، كما أن الموقع الجميل والذي زاد جماله تلك الواحة والنخيل على عدة أشكال، حيث أصبح معلم سياحي تاريخي الضريح يظهر لك من بعيد بصومعته الطويلة ذات اللون الأبيض والأخضر وقبة صغيرة على الركن الأيسر فوق

سطح الضريح له أربع أوجه يقع وسط الصور طوله أكثر من ثلاث أمتار مزين بسياج حديدي وله باب من الحديد أخضر اللون عند اجتيازه يواجهك رواق على مسافة 15م إلى الباب الضريح ذو لون أخضر قبل أن تصل إليه، فإن أصوات المتسولين على كامل مسافة الرواق وبجانب الباب على الجهتين اليمنى واليسرى وأمام الباب تكاد لا تنقطع.إننا أمام الباب مباشرة على قطعة حديدية باللون الأخضر **الولي الصالح سيدي عبد القادر بن محمد "سيدي الشيخ" نفعنا الله به** عند دخولي كان عدد كبير من الزوار يريدون الدخول، أول الشئ أثار انتباهي هو المساحة الواسعة للضريح حيث يتكون من ثلاث بيوت الأولى الكبيرة على اليمين فيها الضريح سيد الشيخ، أما البيت التي في وسط فيها ضريحين عند الباب دخول وهما لي : إبن سيد الشيخ "سيد الحاج مصطفى وسيد بلقومان " عليهما قطعة قماش خضراء عادية مكتوب على احدهما إسمه وهو إبنه أما الأخر، غير مكتوب وهنا نلاحظ درجة تقديس بين الأضرحة التي لاحظناها في السابق بين كل ضريح حتى بين الزوار.قاعة مفترشة بفراش تقليدي عدد من الزوار جالسين ينتظرون للدخول للضريح نساء والرجال والأطفال، ومن يطوف حول الضريحين ويشرب الماء لوجود دلو من الماء كما يواجهك عند يسارك من الباب وعند نهاية ضريحين صندوق مبني ومزين ببلاط Faïence أبيض اللون عليه فتحة بمساحة **10** سنتيم مخصص للزيارة وضع مبالغ مالية فيه ، كما يوجد شخص أمامك بجانبه عدد كبير من قطع القماش أخضر من يدفع له زيارة يعطيه قطعة، طلبتُ قطعة دون أن ادفع فأعطني واحدة لكن بنظرة مزعجة لأنني لم أقدم له "زيارة" فقط.كما أن المكان يبهر الزائر بزخرفته وكثرة الأقواس الأندلسية والنقش على الجبس على الأعمدة والأقواس وعلى السطح وتزيين الجدران باللوحات القرآنية مع شجرة العائلة كبيرة عليها نسب الشيخ مع نسب الرسول "صلم ، البلاط الأرضي من نوع الجيد Dalle de sol وحتى الجدران مزينة بـ : Faïence على طول **1.60**م، الشبكة الكهربائية بكامل، أما البيت الأخير من الضريح فهو عادي غير مهيأ إنه مكان مقدس فيه شمعة وكل أرضيته عادية أي باقية كما هي بالرمال حيث يدخل المريض أو الزائر فيجلس فيها ويأخذ بعض الرمل للتبرك مساحتها حوالي **10** م^2 .

تشرف رئيس الجمهورية السيد :**عبد العزيز بوتفليقة** رحمه الله بزيارته شخصيا وهذا اهتمام الدولة بهذا القطاع الذي أصبح حساس وله اهتمام كبير من طرف السلطات العليا. أما البيت التي يقع فيها الضريح سيد الشيخ **فإنها أقدس مكان في مخيلة الزائر** كلما دخل زائر سأل أين سيد الشيخ يدخل مباشرة مساحته واسعة عدة أقواس أندلسية زخرفة رائعة على الأقواس وعلى الأعمدة وعلى الجدران وعلى السطح و على طول الصومعة مع القبة بالأوان الخضراء والبيضاء والبرتقالية إنها نقش على الجبس.لوحة مزخرفة ومنقوشة على الجبس مكتوب عليها اسم الولي وتاريخ ميلاده وتاريخ وفاته بلاط الأرض من النوع الجيد الجدران المحاطة به كلها مزينة بـ: **Faïence** ذو اللون الأزرق والأبيض، الضريح مكانه في وسط حيث يُشكل حلقة دائرية حوله.ضريح مبني عليه بيت خشبي منقوش على الطريقة الأندلسية ومغطى كله بقماش من نوع الجيد لونه أخضر على مسافة أربعة أمتار من الأرض، وفيه نوافذ زجاجية صغيرة من الخلف تطلُ

على رأس الضريح ونوافذ من الأمام تطلُ على مؤخرة الضريح، حيث يستطيع الزائر رؤية الضريح من خلال هذه النوافذ، وقد قال لي أحد المشرفين أن هناك مشروع ليكون بناء على الضريح بزجاج حتى نتفادى الزحام والزائر ينظر للضريح من ورائه، بابه من جهة اليمنى من وضعية القبر الضريح طوله حولي مترين وعرضه **60** سنتيم فوقه لوحة مكتوب عليها " **ضريح الغوث الرباني والقنديل الصمداني والنور النوراني تاج العارفين سلطان الواصلين وإمام السالكين سيدنا عبدالقادر بن محمد** .شدة الزحام عند الباب يحاول المنظمون التحكم في التنظيم لكن أحياناً تُفلت السيطرة من أيدهم، لأن الزوار يُمكثون طويلاً داخل الضريح سألت أحد الزوار قد "طولت الداخل أي بقيت مدة طويلة أمام الضريح؟ والناس ينتظرون، فكان رده "حنا نجو مرة "فعام" أي في السنة ليدخل " **ميشبعش**" أي لا يقنع منه من سيد الشيخ" لكّان "نصيب" أي رغبتي "نبات" عنده" ، أي أنام داخل. و هذا ما يظهر جليا حاجة الزائر إلى المقدس.إنها درجة تقديس حيث يشعر الزائر إذا لم يُمكث طويلاً عند ضريح الشيخ زيارته غير مقبولة ونيته خائبة ، هذا التّمثُل في الذهنية لدى الزائرين لاحظته في وعدات السابقة وتأكدت منه في هذه الوعدة ، حيث يشعر الزائر عند مكوثه طويلاً أمام الضريح دعوته سوف تُستجاب وما جاء من أجله في نيته سوف يصل إليه.هذه حاجة المقدس ،عند دخولي إلى البيت الضريح تشُم رائحّة البخور القوية، قلة الأكسوجين بسبب ضيق المكان ودرجة الحرارة مع وجود الكهرباء بأربع إنارات معلقة على ثرية **Lustre** من النوع الجيد يزيد في حرارة المكان يصل عدد الزوار إلى عشرة في مساحة حول الضريح تقدر بمترين على طول الضريح ومتر على عرض الضريح ، حيث الواقف في المسافة بين الضريح و جدار البيت الخشبي مساحته حوالي **60** سنتيم، المكان لا يحتمل أقل من خمسة زوار لكن الحقيقة الموجودة أكثر من عشرة متزاحمين لرؤية وتقبيل القماش الضريحي الضريح يتوسط البيت مغطى بقماش أخضر وأصفر من النوع الرفيع، كما أن شكل البيت الخشبي على شكل قبة لقصر من كل جوانبه وفوقه سطح مربع الشكل مزين بالقماش مكتوب على لوحة عند رأسه الآية القرآنية إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..مع إسمه تهيئة المكان يزيد في قدّسيته وتّبجيله، وحاجة الإنسان لهذه الممارسات الطقوسية لراحته النفسية. وعلى يمين سيد الشيخ مدفون معه على يمينه سيد الحاج حمزة الذي تولى طريقة الشيخية في عشرينات من القرن الماضي وكان له دور كبير في توحيد قبائل أولاد سيد الشيخ بعد الفتنة الكبرى مع أولاد بوبكر حمزة، وفي الزاوية اليمنى من القبة مدفون "سيد قدور بن حمزة قائد الثورات أولاد سيد الشيخ في سنوات بين **1817و 1897** وهو والد سيد الحاج حمزة ، إذ هما فقط من دفنا معه داخل القبة.كما توجد مقبرة غير بعيدة من وراء السياج، وتبقى تلك الواحة من النخيل قبلة لزوار من كل مكان حيث يرتاح فيها الزائر من شدة طول السفر ولقدسيتها إنهم في فضاء الكبير للمقدس، كما أن القبة الضريح كلها محاطة بسياج والصور يحدد معالم المنطقة المقدسة وكل مكان له تاريخ، وكل مكان له حكاية، إنها مكانة كبيرة في مخيلة الزوار ومريدي الولي، هذا المكان وكل

هذا الفضاء يعتبر ذا قيمة دينية واجتماعية ونفسية في مخيلة مريدي والي، لأن الصالحين عاشوا ومروا يوماً من هنا.

المبحث الثاني: الممارسات الطقسية في الفضاء الصاليح

الممارسات الطقسية

I. داخل الزوايا :

الطقسRite مشتقة من كلمة يونانيةRitusالتي تعني بدورها مجمل ما أعتاد عليه الفرد أو المجتمع، وكل أنواع الاحتفالات التي تعبر عن ممارسات فعلية، تكون في الخارج عن أطر التجربة أو إعادة لصنع ماضٍ غامض غالباً ما يأخذ شكل العادة أو العرف .إذن هي تجربة مقدسة يسعى أصحابها دائماً إلى إحيائها، كثيراً ما يتغلب الواقع على الفرد فيحدث له نوع من الاضطراب، فيقد بذلك توازنه الداخلي فيفكر في أول شئ الطقس الذي أعتاد على إقامته، معتقداً أيما اعتقاد في الاعتماد عليه كاف لإعادة اطمئنانه وتوازنه الداخلي فيسارع بالتالي إلى إحيائه.وإلى جانب وجود الدين كعامل أساسي في صنع الطقس يوجد حالة لاوعي تعطي للطقس طبيعة الخاصة فالطقوس تعبر عن أرضية خصبة من اللاشعور الاجتماعي الذي يصعب على المرء فهمه زيادة على وجود تلك الهياكل المقدسة من قبب الأضرحة وحفريات تاريخية لها من بركة وشفاء.تقوم الممارسة الطقسية أمام ضريح الشيخ مؤسس الزاوية والحفريات الموجودة فيها.إننا على بعد خطوات من قاعة الضيوف يوجد ضريح مؤسس الزاوية الحاج محمد مع ابنه المتوفى مؤخراً الحاج مختار، يعد معلماً يعرفه كل القادمين للزاوية ويزوره ،كل من دخل ضريح يحتفي بطريقته الخاصة ويسعد العديد من الناس بتبركهم ببركاته ويأملون من الله وهم في حضرته أن يذهب عنهم الحزن والفقر ويرزقهم الأبناء والمكانة الرفيعة ويشفيهم من أمراضهم المستعصية.كل الزوار من مختلف المناطق وبمختلف فئات المجتمع الذين يقدمون إلى الزاوية يفدون للضريح من أجل التبرك، فقادم بعد استقباله من طرف أحد أحفاد الشيخ إذا لم يكن الشيخ في القاعة مع ضيوفه فلا يخلى يوم بدون زيارة على مدار الأسبوع كل يوم الزيارة وخاصة في المناسبات كمولد النبوي أو ليلة القدر المباركة.حيث يفد عدد من الزوار لإحياء هذه الليلة بجانب ضريح التي يتم إحيائها حتى الفجر أو عيد الفطر أو عيد الأضحى والأيام الجمعة تشهد بعض زيارات النسوية من عدة مناطق خاصة مَنْ لهم حاجة أو طلب ترجاه. كل شئ في الضريح **وحوله يصبح مقدساً**، عتباته جدرانه وحتى ماؤه، وأمكنة التي كان يتعبد فيها أو يخلو فيها حتى المناطق الخالية التي كان يذهب إليها تصبح **لها قيمة قدسية** وعليه فهناك طقوس على الزائر القيام بها ، منها إحضار بعض الهدايا للشيخ الزاوية. أغلب الزوار يتم استقبالهم في قاعة الضيوف من طرف الشيخ نفسه بعد تبادل أطراف الحديث في

عدة أمور دنيوية و دينية، أحياناً إذا كان وقت كافي تكون فيه وقفة للذكر. ثم يذهب الجمع كله مع الشيخ لزيارة الضريح الذي لا يبعد إلا خطوات ما يدخل الزائر إلى حرم الضريح بعد أن ينزع حذائه تنتابه الزائر نوع من الخشية إنه في حضرة المقدس أمامه مباشرة ضريح الشيخ الحاج محمد مؤسس الزاوية الذي يعلو على مسافة مترين من الأرض مغطى بقماش كبير لونه أخضر عليه مزين بآيات قرآنية وقطعة قماش أخرى عادية لأخذ منها الزوار قطع صغيرة لتبرك مباشرة يجلس الشيخ على جهة اليسرى من مكان ضريح ويجلس الزوار حوله على شكل دائري وتبدأ قراءة القرآن بسورة الكهف أو ياسين ثم تختم بدعاء و مسح الوجه بقماش الأخضر الذي هو فوق الضريح للتبرك. يبدأ الشيخ ثم يتبعه الزوار الذين معه ثم قرأه سورة الفاتحة على ضريح الشيخ الحاج مختار الذي هو في ركن الأيمن من القبة عند دخولك لها، لكن هذه الطقوس جماعية في حضرة الشيخ الزاوية. أما إذا كان الزائر وحده فقد تأخذ طقوس شئ مغاير تماماً منهم من يذهب مباشرة للضريح يلمسه وجو من الخشوع والرهبة أمام ولي الله من الصالحين له قدسية خاصة لدى أي زائر لمكان ويقرأ الفاتحة وذكر ويمسح وجهه بقطعة القماش ويطلب ما يريد، ويبقى مدة طويلة بجانب الضريح، يوجد أشخاص من يمكثون أكثر من ساعتين داخل القبة، ثم يركن إلى الجهة اليمنى أين يوجد ضريح الحاج مختار كذلك يقرأ القرآن ويمسح وجهه بقماش الذي هو يغطى الضريح، ومنهم من يصلي داخل القبة .لأن عامة الناس ينظرون إلى الولي بركة يتوسل بها عند الخالق عز وجل وحسب قول الشيخ الزاوية **الحاج حمو الطيب** "**فإن حاجة الزائر مقضيه بإذن الله وكل حسب نيته لأن الأعمال بنيات كما يقول رسول صل الله عليه و سلم** ". حسب رأي العلماء التصوف فان لأولياء يظلوّن أحياء حتى بعد مماتهم، ويجوز التوسل بهم عند الله عز وجّل لتلبية مقاصدهم، فيأتي البعض وقد عقد النية الخالصة إيماناً بأن مطلبه سيلبى قوة النية هي محدد الرئيسي لتلبية المطلب وعلى قدر شدة النية وهمتها تتحقق المطالب المقصودة، وتقضى الحاجيات بناء عليها .وعادة ما يتم التعبير عن النية بالخشوع وإظهار الرهبة الممزوجة بالخشوع أثناء زيارة الضريح، ثم يتوجه مباشرة إلى الشيخ يطلب منه أن يطلب له الله لأمر ما أو يقدم له زيارة سرية بينه وبين الشيخ وفي الأخير يطلب منه التصريح بذهاب إذا كان لا يريد المبيت لأن أكثر زوار يقيمون على أقل ليلة مع الشيخ ويحضرون جلسات الذكر والصلاة الجماعية ولا ننسى الكرم الذي يزخر به كل أهل الزّاوية من تقديم الطعام والقهوة في كل حين ولا أحد يكلمك مهما بقيت في زاوية.أما الزّيارات الخاصة بمرضى تأخذ ممارسات طقسية أخرى فإن زيارة القبة الضريح مباشرة ومسح الوجه بقطعة القماش الموجودة فوق الضريح ويجلسوا بسكينة وخشوع في حضرة المقدس، حيث وكأن المرء يستشعر بمناجاة صامتة تسري في المكان بين الضريح و الزائر.وفي مثل هذه الحالات عادة يمكث المريض مع أهله مدة طويلة داخل الضريح ويتضرعون له وإظهار النية الحقيقية مع الخشوع والاحترام الشديد من أجل تلبية مقصدهم الشفاء، في بعض المرات بحضور الشيخ أو أحد أحفاده أو إخوته خاصة إذا كان بحضرة أبويه أو جدته أي كبر السن، أما إذا كان المريض أنثى عادة تكون الطقوس مع نساء أهل الزاوية

من زوجات الشيخ أو أمه أو بحضور أحد الطلبة الصغار معهم، من أجل القراءة عليه حيث تقرأ الفاتحة والمعوذتين"**الإخلاص إحدى عشر مرة**"و**معوذتين وفاتحة مرة واحدة** ويختم بدعاء لمريض سواء من طرف الشيخ بنفسه أو أحد أحفاده.ثم توجه مباشرة إلى الخلوة ويتبرك بترابها ويبقى بداخلها مدة وأحياناً في حالة ما يكون الشخص مصروع " **أي مس من الجن** " في الثقافة الشعبية "يبات بداخلها" طول الليل حيث يفرش للمريض وينام فيها ليلة واحدة، وقال لي مقيم أحد طلبة مسافرين مقيم في زاوية مدة طويلة أن كثير من حالات عاشها أن مريض بعد أن ينام في الخلوة يصبح معافى تماماً ويقسم بذلك، كما أكد لي أن بعض الحالات لم يتعافى أصحابها. ثم يأتي الشيخ فيقرأ عليه و أحياناً يأخذ معه " **تسبيبة**"وهي نوع من رقية، حيث يكتب على قطعة من ورق أبيض عليه أحياناً جداول أو كتابات أخرى و يطوى الورق على أثنين أو أربع، ويأخذه المريض معه حيث يمسح تلك الكتابة بالماء و **الشيخ** [9] بداخل الكأس يشرب منه المريض أو يطلى له به على رأسه أو مكان الذي يؤلمه لمدة معينة يأمر بها الشيخ تكون دائماً فرادى أي ثلاث ليالي أو خمس أو سبع أو تسع لا تزيد عن ذلك.أحياناً يأخذ كتاب من الشيخ وهو عبارة عن ورقة بيضاء صغيرة يكتب عليها بعض كتابات الغير مفهومة، وأحياناً جداول وتطوى على أربع حيث تصبح ورقة صغيرة وتغلف بقطعة قماش خضراء اللون من القماش الموجود فوق ضريح الولي ويحملها معه المريض تكون دائماً معه.وينصح تعليقها في ركن الأيمن من الجسم لمدة طويلة قيل **لي" أنها تنفع كثيراً و كل من تسبب من الشيخ وزار شفى بإذن الله** .ولا تنحصر الزيارة وممارسة الطقوس فقط قصد الجانب العلاجي أو تبرك بل أيضاً تحوى الجانب الوقائي، فهي مدعوة إلى محاربة العين الشريرة التي تتربص بالطفل المولود ،الزوجين حديثي الزواج وإلى رفع الرقى المؤذية التي تعيق الزواج الفتاة خاصة و الإنجاب.إذن لهذه الأسباب تقام كل هذه الطقوس والممارسات في حضرة الوالي الصالح من بلوغ السعادة في المخيلة الاجتماعية وإضعاف لقوى الكون المعادية.كما أن أثناء المراسيم الوعدة تكتسب هذه الممارسات الطقسية حماية في حضن الوالي لأن هذه الممارسات لا تتطلب أفعال ضخمة أو مبالغ مالية باهظة ، أصلاً يكفي كما يفعل البعض، أثناء زيارتهم خاصة إذا كان بصحبتهم مريض أو عقد النية في تحقيق مقصدهم أن يجلبوا معهم طير "**دجاجة**" في غالب من نوع "ا **لعرب**" لأن الدجاج الآخر لا يلبي مقصد في مخيلتهم ، وأن الدجاج العرب له خاصية خاصة به، ويتحقق المطلب به واصطحاب الطير من أجل إتمام الفعل الاستشفائي، ترعاه السلطة الروحية التي يتمتع بها قدسية الضريح و تأثير شخصية الشيخ على ممارسي هذه الطقوس.كما أن الأيام المفضلة للزيارة في حضرة الضريح يوم الاثنين يوم وفاته ويوم الجمعة إنها عيد المسلمين زيادة على أنها

9 . و هي نوع من نبات يعيش في مناطق الصحراوية و "عشبة" يتداوى بها في مناطق الصحراوية ضد البرد

يوم راحة للجميع، أما زيارة الشيخ الزاوية فهي على مدار كل الأيام ولا يخلوا يوم بدون زيارة ولو زائر واحد هذا و تأكد منه طيلة وجودي في زاوية وزياراتي المتعددة طيلة تسع شهور.

II. الممارسات الطقسية و التنظيمية أمام الأضرحة الصلاح :

كانت لي زيارات لـ : أضرحة الأولياء ومشاركة في الطقوس وخاصة **" الوعدة"** منهم الولي " **وعدة سيدي خليفة و الركب أولاد سيد الشيخ**

II. 1. ممارسة الطقسية " الوعدة " :

كانت البدايات الأولى لممارسة طقوس الوعدة أثناء حياته ثم استمر الأمر بعد مماته وكان أمر الشورى بين عرش الخلايفة الذين يقطنون منطقة الخيثر، وبعض منهم بسعيدة وعرش بني مظهر ببلدية مرحوم تابعة إقليميا لولاية سيدي بلعباس، للتشاور حول موعد الوعدة والاتفاق حول التحكم في مراسيمها ومع مرور الزمن انتقل الأمر تحديد موعد الوعدة لكبار عرش الخلايفة الغرابة والخلايفة الشراقة. الخلايفة الغرابة هم الذين يقطنون ببلدية مرحوم تابعة إقليمياً لولاية سيدي بلعباس والخلايفة الشراقة فهم من يقطنون منطقة بلدية الخيثر دائرة بوقطب ولاية البيض أين يوجد مقام الضريح الوالي سيدي خليفة .

ويقول أحد كبار عرش الخلايفة الذي يسكن بلدية الخيثر أن هذا الانقسام يعود إلى وقت الاستعمار الفرنسي ففي سنة 1880 تصدى الخلايفة للاحتلال الفرنسي فأنجر عنه حرق وتحطيم الكلي لقصر سيدي خليفة آنذاك. وحكم بالإعدام على البعض وتعرض البعض الآخر إلى النفي والتشريد ومنهم القائد "**ديدي**" والقائد "**الساسي**" اللذان تزعما الانتفاضات ضد المستعمر ونفيا إلى منطقة "سفيد" التي لا تبعد كثيراً عن منطقة ، كما أن الكثير من عرش الخلايفة شاركوا في مقاومة التي قادها الشيخ بوعمامة في المنطقة الأبيض سيد الشيخ .وحسب الروايات التاريخية المستقاة أن الخلايفة الغرابة قد نفوا إلى ديار الكاف بقرب من ولاية تيارت لمدة عشر سنين، وعلى رأسهم **الحاج محمد البكاي** أحد أحفاد سيدي خليفة ولقد جاهد بكل ما لديه، خاصة أمواله التي وضعها تحت تصرف عشيرته عندما مرت بضائقة مالية في ذلك الوقت ، إلى جانب مساعدة الشيخ بلقاسم بن يعقوب الذي لم يتوان لحظة في الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، بعد قضاء عشر سنوات من النفي رجع الخلايفة الغرابة إلى منطقتهم بعد قضاء على كل الانتفاضات الشعبية ، بما فيها انتفاضة أولاد سيد الشيخ بقيادة الشيخ بوعمامة .ثم قام الاستعمار بمنع الاتصال بجميع عشرتهم و بهذا أنقسم العرش الخلايفة إلى قسمين حسب روايات، حيث كان الحكم عسكري ساري المفعول إلى غاية سنة 1920 أين تحول الحكم من جديد إلى حكم مدني ويبقى أمر تحديد

موعد الوعدة شورى بين عرشين حيث يلتقي كبار العرش من الخلايفة الخيش أين يوجد مقام الضريح والخلايفة مرحوم، الذين يحتفلون بوعدة إبن الوالي سيدي خليفة سيدي محمد بن خليفة، حيث يكون اللقاء تشاوري في شهر ماي على أن يكون موعد الوعدة 20 من شهر جوان من كل سنة. تبدأ المراسيم من يوم الاثنين إلى غاية يوم الجمعة و يقوم البراح بالإعلان موعد الوعدة في الأسواق الأسبوعية لكل مناطق المجاورة رغم أن تاريخ محدد و ثابت 20 جوان من كل سنة .

II. 1.1. الممارسة الطقسية أمام ضريح الولي سيدي خليفة:

يعد أكبر ضريح بين الأضرحة وأقدسهم في مخيلة المجتمع المحلي ومريده ، كما يتربع على أكبر مساحة وأكثر جمالاً ورونقاً من حيث البناء والتزيين الخارجي والداخلي للقبة ببابين واحد على يمين الضريح وأخر في واجهة القبلة. يُرى من بعيد عند دخولك تنزع حذائك رغم أن القبة تتكون من بيتين الأولى مساحتها حوالي **12م**^{2} غير نظيفة، يقابلك على اليمين المقدم وأمامه طاولة طولها حوالي مترين مغطاة بقماش أحمر. المقدم واقف وراءه راية أو علم الضريح أخضر، يستلم الصدقات من الزوار مبلغ من المال ويقدم لك قطعة صغيرة خضراء والزوار هم من يلحون على طلبها، والكُل يطلب منه **يا مقدم سيدي خليفة أطلبنا ربي" بجاه سيدي خليفة**"وهو يرد "**زيارتكم مقبولة**" يكررها عدة مرات تعطي صفة القداسة عليها.

كان دخولي بصعوبة، عند الدخول تشم رائحة بخور قوية جداً الجو مظلم كثرة الزوار قلة الأوكسجين في الداخل، جو مهيأ لتأدية الممارسات الطقسية، القبر يتوسط البيت طوله حوالي ثلاثة أمتار أو يزيد علوه حوالي متر أو يزيد من الأرض فوقه قطعة قماش ذات لون أخضر غامق هو غالب من نوع قطيفة.مساحة الضريح حوالي **12** م^2 توجد كهرباء بداخله لكن يتم استعماله في الليل فقط زُيّنّ أعلّى الضريح بثرية Lustre من نوع جيد وحسب المعلومات التي تحصلت عليها أنه تبرع بها أحد الزوار كصدقة جو داخل الضريح مفعم بقدسية الكُل وجهه للضريح.

يبدأ الزائر من اليمين يطوف على الضريح ويلتمس الضريح ويتم التقبيل على القماش الأخضر المعلق على الجدران،حيث أن كل جدران القاعة معلق عليها قماش أخضر عادي وتقبيل على الغطاء الذي فوق الضريح،نتيجة كثرة الزوار فإن الكُل يحث على أن تكون طواف مرة واحدة " **الكُل يقول أيا، أيا دورة خفيفة خلوا خوتكم يزوروا** رغم وقت ما زال طويل لكن من الزوار يريد زيارة الأضرحة الأخرى أو قضاء حوائجه أو عودة إلى بيته أو مشاهدة لعب الخيل أو الحلقات الشعبية (...) .بعد أن يتم الطواف وتقبيل القماش معلق على الجدران والغطاء الذي فوق الضريح من الزوار من يقف أمام الضريح ويرفع يديه يدعو في السر، أحياناً يدخل البعض ويقرأ القرآن ويختم بدعاء ويطلب زيارة هو كذلك، ثم عند الخروج في الجهة اليمنى هناك كيسين مملوءين برمل الزائر يأخذ " **حفنة** " **بركة الصاليح تستعمل كدواء** .ثم توجهت إلى الضريح الذي على اليمين إنه ضريح "**أخ الولي شيخ بن خليفة**" هو كذلك مقدس يُزار من طرف كل من

يزور الولي الكبير، القبة صغيرة لونها أبيض وأخضر صغيرة مساحة الضريح حوالي **10** م^2 بابه خشبي لونه أخضر يغلق في الأوقات التي لا تكون فيها الزيارة، عند دخولنا كان أغلب زوار هم من لاحظتهم في ضريح الولي "سيدي خليفة". ضريح أخ والي في وسط القبة علوه أقل من متر عليه قطعة قماش عادية ليست مثل التي على الضريح الولي يوجد فوقه ثرية Lustre لكن قديم جداً فيه إنارة واحدة، بلاط من الإسمنت فقط، وجدنا رجل على يمين الضريح واقف نازع حذائه بعض يقرأ القرآن، كُل من يدخل يقبل القماش الذي على ضريح حتى الأطفال الذين يؤتون مع أوليائهم يقومون مثل ما يقوم به أوليائهم. ترسيخ ذهنية التقديس الصالحين. وبها يتم إحياء المقدس وممارسة الطقوس بين الجيلين غرس فكر التدين الشعبي للأطفال منذ الصغر والحث على قدسية الأضرحة حتى يستمر في نهج والده إنها " **دعوة الخير وبركة** " يقول لي أحد الزوار لما سألته لماذا تجلب أبنك معك ؟ من أجل **بركة و دعوة الصالحين** .

كما للوجود بركة من الماء على جانب الضريح محاطة بالصور على مسافة خمسة أمتار ولها باب كبير لها حارس **إنها مقدسة إنه حمام سيدي خليفة** يقول أحد المنظمين الناس تأتي هنا لتستحم وتغسل ثيابها من إبعاد الأذى عن من يلبسه"، مُنعت من دخول لأن البركة فيها النساء. ونزع السحر لكن عند وقوفك على سطح فناء ضريح ترى البركة من فوق لاحظتُ عدة رجال مع نساء ربما عائلات، لاحظتُ عن قرب امرأة في ستينات من عمرها جاءت لتغسل وتبرك ملابس قريب لها مصاب بمرض جلدي بركة الماء الصاليح سيشفى عندما يلبس ملابسه المغطسة بهذا الماء ثانية.

إنها تمثلات في المخيال الشعبي تصل إلى حد الشفاء ببركة " **البركة المقدسة** "خاصة بعد قصة جفافها عندما أراد البعض تهيئتها بالترصيص الصحي، حيث يعتقد مريدي الوالي أن البركة تريد أن تبقى كما هي، رغم أن هذه البركة يسقى بها القاطنين زراعتهم طول العام زيادة على عدم طهرتها و صلاحيتها للشرب.ما استكشفته في جميع الوعدات التي حضرت فيها حيث كل الزوار يشترون من هذا النوع من حلوة حتى سميت بإسم الولي وأخذت طابع القدسّية وبركة لكُل من يأكلها في الذهنية الجماعية لأغلب الزوار ومريدي الأضرحة.

I. 1.2.الممارسات الطقسية في حقل الضريح " ركب أولاد سيد الشيخ

طقس **ركب أولاد سيد الشيخ** الذي يشترك فيه جمّع من الأعراش من مريدي الطريقة الشيخية مرة كل عام، هذا الطقس لا يستدعي ملاحظات مميزة فهو يعتبر في هذا المكان وهذا الزمان طقساً ذا هوية دينية على هذا الأساس نلاحظ توافقاً تاماً في الملامح بين جميع الأوساط المشاركة سواء الريفية أو المدنية إنها أيام مقدسة إضافة على مرافقة الطقس بفتح جميع الزوايا الموجودة في المنطقة للزوار حيث يتم التكفل التام بهم من أكل وإقامة. ففي دار القرآن التابعة لزاوية عين السخونة التي يديرها شيخ الزاوية "عين السخونة" الحاج حمو الطيب يتم إطعام الزائرين بإخراج أكثر من 500 "**زلافة**" من"كسكس مع اللحم" إذا حسبنا أن المائدة فيها خمسة أفراد فإن بعملية بسيطة خمسة في خمسمائة نجد أن ألف وخمسمائة فرد تّم

التكفل بها إنه عدد كبير. كان مقامي في هذه الدار ولاحظت توافد الزوار على الدار من أجل الفطور وغسل و أحيانا **القيلولة** أي نوم في نهار مع نوم في الليل بداخلها. لا تختلف الطقوس أمام الأضرحة على تلك الطقوس التي شاهدتها ضريح سيدي خليفة ما أن يصل الزائر إلى عتبات الصور الخارجي للأضرحة حتى تتغير ملامحه وشعوره حيث يدخل في عالم آخر من اللاشعور في كل تصرفاته من خلال إظهار قوة النية الممزوجة بالخشوع و الرهبة في حوض المقدس، كل شئ يصبح مقدس جدرانه، ماؤه ، النخيل. حيث يقوم الزائر بعدة طقوس بداية بالإسراع بالدخول إلى ضريح سيد الشيخ خاصة للذين يزرون للأول مرة تجدهم يسألون" أين سيد الشيخ، أين سيد الشيخ عند أول عتبة ضريح تجد المنظمين الذين تقتصر مهمتهم في التنظيم والحراسة وأحدهم مهمته تَسلم "الزيارة" من الزوار وهو مبلغ نقدي هذا الشخص يجده الزائر أمامه مباشرة عند دخوله بعد أن تُقدم له زيارة يعطيك قطعة من القماش خضراء اللون وبجانبه مجموعة كبيرة من القصاصات الخضراء في كيس تم إضفاء البركة الصاليح عليها للتبرك بها. ثم يعرج الزائر مباشرة إلى ضريح والي بعد الطواف من اليمين إلى اليسار وهذا الطواف يكتسي عدة ممارسات مثل تقبيل الجدار الخشبي والقماش المغطى به ورفع اليد للدعاء مع وقوف على الأضرحة المدفونة بجانب الضريح. الموجودة في الزاوية اليمنى من القبة وهما ضريحا سيد الحاج حمزة ووالده سيد قدور بن حمزة ثم يمكث الزائر لتمتع برؤية الضريح من النافذة الزجاجية الخلفية في انتظار الدخول إلى الضريح من شدة الزحام" يشتد الزحام عند الباب الصغير للضريح حيث لا تتسع المساحة الداخلية لأكثر من خمس زائرين وقد نجد بداخلها عشرة أو أكثر، عند الدخول ترى وجوه الزائرين تغيرت، تلاحظ في ملامحهم شدة الخشوع والرهبة لا أحد يتكلم الكُل شاخص، كُل يتمتم بداخله أحياناً يدخل زائر فيقرأ على الملأ سورة قرآنية ويدعوا بصوت مرتفع والبقية يؤمنون" أمين ، أمين..."، وفي مثل هذه الحالة الذين في الخارج عند الباب لا يتكلمون بل يرفعون أيدهم ويستمعون إلى القرآن يؤمنون معه، ولا يحرجوهم من أجل الإسراع بالخروج ، كُل الزوار الذين دخلوا الضريح إلا وقبلوا الضريح على قطعة القماش التي تغطي الضريح ومسحوا ووجوههم عدة مرات والدعاء مباشرة مع مسح. كما أن شدة حدق على الهيئة المكان التي فيها الضريح والإنارة التزيين وكأن الضريح فوق العرش، هذا الشكل والسعة و فنون والزينة الخارجية والداخلية للضريح تُعطى أهمية أكبر لصاحب الضريح لأن الناس يُقبلون على الأضرحة هذه أكثر من الأضرحة العادية، وهذا ما لاحظته في قلة الزوار بل انعدامهم في بقية الأضرحة رغم أنهم أبناء وأحفاد الولي المقدس. إضفاء القدسية أكثر. هذه الهيئة الفنية وجمالية للضريح تصور تمثلات جماعية لدى الزوار عن حجم جلالة الولي"وتسمع الناس يتهافتون،بركة كبيرة إننا في فضاء المقدس به يتم إحياء طقوس. بعد ذلك يتخذ الزائرون عدة ممارسات عند خروجهم فمنهم من يبقى في الرواق الدائري حول الضريح، منهم من يصلي ركعتين، ومنهم من يبقى مدة من الزمن في حضرة المقدس وبعد ذلك يخرج ليزور الأضرحة التي لم يشعر بها عند دخوله لأنه كان يتلهف لدخول " **لولي سيد الشيخ** " لأنه هو صاحب الركب أي الاحتفال في

تمثلاته.حيث يوجد ضريحين في نفس القبة هما إبن والي "سيد الحاج مصطفى وسيد بلقومان" على ضريحهما قطعة من القماش خضراء اللون عادية لا تعطي أهمية كبيرة للضريح علوه حولي متر على الأرض، فيُقبل الزائر مباشرة بفمه على الخشبة التي تغطي الضريح ويمسح وجهه بالقماش الأخضر ويقدم الزيارة أي مبلغ المالي لأحد المنظمين القائم على ذلك ويعطيه قطعة قماش خضراء اللون هناك من الزائرين وخاصة النساء تذهبن إلى البيت الأخيرة تجد فيها شمعة وأرضيتها كلها رمال فيدخل الزائر ويبقى بعض الوقت ثم يأخذ معه **حفنة** من الرمل في منديله للتبرك بها والتداوي.عند الخروج تجد كذلك اشتداد الازدحام بين من يريد أن يدخل ومن يرغب في الخروج والمنظم عند الباب يحاول السيطرة على الوضع حتى لا يكتظ الزوار في الداخل، وما أن تصل باب الخروج حتى يواجهنك المتسولون **صدقة على الوالدين"الله يتقبل زيارتكم، زيارة سيد الشيخ ، راك رابح زيارتك راهي مقبولة** كل هذه العبارات يكررها المتسولون خاصة الأطفال والنساء، إنها ظاهرة منتشرة كثيراً في مثل هذه المناسبات. بعد ذلك توجهت مباشرة إلى **"دار القرآن"** التي أسسها شيخ زاوية عين السخونة" **الحاج حمو الطيب**، إذ تتربع على مساحة أربعة هكتارات بنائها على الطريقة الإسلامية والقبة خضراء اللون تراها من بعيد العلم الوطني يرفرف فوقها مع راية الولي خضراء اللون استقبلنا الشيخ الذي وجدناه يستقبل في ضيوفه ورحب بنا عند دخولنا تجد على يمينك مسجد كبير والطلبة يقرؤون القرآن الكريم على طول الرواق تجد على يمينك وعلى يسارك وأمامك صور لقادة ثورة أولاد سيد الشيخ من الشيخ بوعمامة إلى مؤسس زاوية عين السخونة الحاج محمد بوحفص وصور لشيخ حمو الطيب مع **رئيس الجمهورية عبدالعزيز بوتفليقة** لدى زيارته الأخيرة للمنطقة و هو من منحه القطعة الأرضية التي شيد عليها هذه الدار التي تسمى" **دار القرآن"**. فيها عدد كبير من الطلبة المسافرين أي " **المقيمين**" وتلاحظ عدد كبير من الألواح التي يقرأ عليها القرآن فتستنتج كثرة طلبة القرآن في هذه الدار كما تجد على جدران الرواق شهادات التقدير والعرفان من وزير الشؤون الدينية والأوقاف ، ورئيس الجمهورية ووالي ولاية البيض لـ الشيخ حمو الطيب لمجهوداته المبذولة في سبيل تعليم القرآن الكريم .كذلك نجد استعمال الزمن عن أوقات الدراسة داخل هذه وحرص الطلبة في مداومة قراءة القرآن على مكبر الصوت في المسجد وذلك لعظمة الحدث الطقسي للوعدة وبُعدها الديني أكثر من بُعد التاريخي.كما توجد مساحة كبيرة عبارة عن فناء يقوم إعداد الزوار فيه في وقت الغداء والعشاء كما تقام فيه الحضرة وهي ذكر من أذكار الصوفية على الطريقة الشيخية، وفيه يتوضأ الناس للصلاة.كما تقام الصلاة داخل دار قرآن في المسجد المهيأ جيداً بفراش من النوع الممتاز صلاية لكل مصلي ومحراب منقوش بجبس ومكبر للصوت وكتب القرآن وفيه خمسة نوافذ ثلاثة يطلون على الرواق الداخلي واثنان يطلون على الخارج.كما توجد بيت مغلوقة قِيل لنا أنها مكتب خاص ، وبيتين على الجانب خاصين بإقامة الطلبة المسافرين، وحيث ينام فيها الزوار في هذه المناسبة وقد كنت من بين الذين ناموا في إحدى البيتين حيث كانت مملوءة على الأخر

وننام على شتى الوضعيات ومن الزوار من ينام في الفناء الخارجي ونذكر أن دار قرآن وفرت كل الأفرشة للزوار. كما كنت مع الزوار وقت العشاء حيث تم تقديم العشاء لأكثر من **250** شخص حيث على كل مائدة خمسة أشخاص وتم إخراج أكثر من **50** زلافة أي صحن من كسكس مع اللحم ومشروبات غازية عادية، وقد سبق العشاء حفل ديني للذكر والقول هو قيام شخص بترتيل الأقوال على وزن الشعر الملحون وكان هذا القول طويل أكثر من نصف ساعة تم تسجيل البعض منه يتمحور كله على كرامات الأولياء وقصصهم وأساطير عنهم .

ونستخلص من هذا الاهتمام هو درجة تأثير الوجود للقدسية هذا الولي وفضائه الواسع في مكان وزمان ولهذه المناسبة الركب. كما أن في الصباح يتم تقديم الفطور وهو الشاي مع الزبدة الممزوجة بالتمر تسمى الرب في المنطقة وخبز عادي من المخبزة وذلك لكثرة الزوار لا يستطيع تقديم الخبز التقليدي المطلوع. يسهر شيخ زاوية عين السخونة **الحاج حمو الطيب** شخصياً على دار القرآن في هذا الاحتفال الموسمي بركب أولاد سيد الشيخ لأجل إنجاحه وهذا ما ذكره أمامي لـ: الإذاعة المحلية بالبيض، إن ركب سيد الشيخ هو عيد للصالحين وكيف لا يكون عيد، ونجد أعياد للطماطم في أدرار وعيد الشجرة و..و.. فليكن للصالحين عيدا.

أ. مشاهد و ظواهر في حقل الوعدة ركب أولاد سيد الشيخ

لا تختلف المشاهد والظواهر التي تم ملاحظتها في وعدة سيدي خليفة حيث يتشابه المنظر من عدد الحلقات الموجودة من فرق فلكلورية سواء لرقصة العلاوي أو الرقص الفلكلوري بالبنادق والفرق الخاصة بالجذبة أو ما يعرف عند المهتمين بهذا الجنس السيكولوجي العجيب الحال من أحوال الناس وهو طقس نفسيو اجتماعي ملئ بمشاعر الخوف والهذيان والغيبوبة والجذبة في موسم ركب سيد الشيخ. أمر عادي بالنسبة للناس هناك يجذب المجذوب كما يجذب المتفرج أو المتفرجة يصرخون تضطرب أجسادهم وتتحرك رؤوسهم بشكل غريب، وإذا أراد أن يمسك بهم أحد للتخفيف من عذابهم منهم من يصرخ ومنهم من يضرب بجمع يديه، ومنهم من يسقط مغشياً عليه فسبحان الله إن أكثر المجذوبين والمجذوبات تنتهي طقوسهم الخاصة بسقوط مفاجئ دون حراك وأغلبهم يفضلون رائحة العطور ومنهم من لا يفضل شيئاً غير الهواء حتى يستفيق وبالتالي على من معه أن يشق ثياب صدره ليفسح المجال للهواء البارد بالتسرب بين ثنايا الصدر، ثم تدب فيه الحياة من جديد. يقول لي أحدهم:وهو يناهز الخمسين كلما سمعت هذه الموسيقى وهي عبارة عن إيقاع الطبل، وصفير ناي تقليدي" **تشددوني رغبة**" إلى"**الجذبة**" يبدأ **قلبي في "الهفقان**" أي الخفقان بسرعة، أساير الموسيقي بشكل كبير أي الإيقاع، وفي دقيقة يبدأ جسدي وكُل أعضائي أي أطرافي ورأسي في الحراك كأني أرقص أو شيء مثله. يزيد رتم البندير أي تزداد الموسيقى حراكاً، فأضطرب و أتفاعل مع الموسيقى ثم لا أشعر إلا والناس يفقوني بالريحة وماء، أي بعد إحساسه بالغيبوبة عن الوجود ولا يعرف ما الذي يفعله، إلى حين يستفيق فيجدُهم قد صبوا الماء البارد على وجهه ووضع العطر أي يشم

رائحة البخور والعطر رجالي أو نسائي لا يهم.. المهم هو الرائحة... وللعلم عندما يبدأ شخص في هذه الطقوس على ضاربي الطبل وعازفي الناي ألا يتوقفوا حتى يقع المجذوب على الأرض تستغرق مدة أحياناً أكثر من **40** دقيقة.أما فرق عيساوة التي تجذب كذلك عدد كبير من الفضوليين لتمتع بمشاهدة الأفاعي والعقارب وخاصة الأطفال والرقية من لسعات الحيات والعقارب بمبلغ مالي بين **200** دينار و250 دينار، نتيجة كثرة هذه الزواحف في منطقة .

أما فرق مغني الغناء البدوي المعروفين **بالشيوخ** الذين يؤدون أغاني بدوية كذلك لديها محبيها، حيث لا تجد حلقة بدون جمهور، كل فرقة تجمع مجموعة من الناس.كما لاحظت نفس مروجي الأدوية شعبية الذين كانوا موجدين في وعدة سيدي خليفة بنفس طريقة الكلام ونفس الأسلوب بتجريب الدواء على المباشر أمام الناس ولهم زبائنهم خاصة كبار السن والنساء، كل هذه الحلقات تجدها خاصة في المساء من يومي الأربعاء والخميس بعد انخفاض درجة الحرارة في مساحة الكبيرة أمام ضريح والي سيد الشيخ.

كما لا ننسى الملعب الكبير على مساحة كبيرة بطول أكثر من كلم لألعاب الخيل أكثر من **50** فرقة خيالة مزينة بالزي التقليدي كل فرقة بزها الخاص، الملعب مكتظ بالجمهور خاصة الرجال دون النساء على مكان مخصص للمشاهدة أو على طول مسافة الملعب في جهتين، تقديم جيد بعد أن تم رش الملعب بالماء لتخفيف من شدة رياح رملية وهذه الألعاب ترمز إلى الأصالة والتقاليد العربية كما أنها رمز في ذهنية أولاد سيد الشيخ لأن لهم تاريخ طويل مع الخيل إبان ثورات أجدادهم طول عقد من الزمن.

III. دراسة مقارنة بين الأضرحة و الزاوية:

لا شك بأن استعادة الأنماط العملية في هذه الطقوس، وبصورة منهجية، لمقارنتها فيما بعد مع "نظرية التطبيق" (بورديو 1972Bourdieu) النظرية الدينية في هذه الحال، حيث تتطلب منا تحليل مقارن يتناول الشكل الهندسي للبناء الأضرحة فيما بينهما وزاوية وممارسة الطقسية بينهما من خلال الملاحظات المباشرة و المشاركة الحية لكل الفعاليات الطقسية وسوف نأخذ كلاً من هذه الطقوس على حدة ولنقم بعملية المقارنة.

III. 1.الشكل الهندسي للأضرحة

تشترك جميع الأضرحة في الشكل واللون الأبيض الأخضر ومن اتخاذها من قمم الجبال و الهضبات مكان لها، أمكنتها لا تخطئها العين لكل ضريح حكاية وأسطورة وارتباطهم بكرامات أصحابها التي تُنسج حولها أساطير و راويات.كما لا تشكل رؤية ضريح ولي أو مزاراً غير عادي، فأينما ولّى المرء وجهه إلا ويصادف قبة ضريح أو مزار، حيث يقبل الناس على زيارة أضرحة هؤلاء الأولياء وعلى قدر أهمية صاحب الضريح يكون البناء وشكله من حيث السعة والكبر وفنون الزينة، بحيث نجد أن الشكل الهندسي لأضرحة وإن تتخذ شكل واحد الذي تعارف عليه الناس غير أنها تختلف من منطقة لأخرى لكن كلهم لهم **القدسية** سواء فضاء الضريح أو أمكنة المجاورة وهذا ما لاحظته في مشاركتي لفعاليات الممارسة الطقسية .

حيث أن جميع الأضرحة الموجودة بالولايات الوطن ومنها الضريح سيدي خليفة بالخيثر تشترك من حيث الهندسة المعمارية خاصة في شكل القبة دائرية من أعلى، إلا أنه يوجد اختلاف في التصميم الداخلي سبق شرحه في سابق ، لكن الأضرحة الموجودة في الجنوب الغربي "في إقليم ولاية البيض" تختلف تماماً في الشكل الهندسي حيث تتخذ القبة السماوية شكل بناء مربع طويل يمتد إلى: من ستة إلى ثمانية أمتار في السماء وهذا الشكل أخذ من الهندسة المعمارية للمنطقة خاصة هندسة بناء القصور المعروفة بها المنطقة أما ضريح "الحاج محمد"وإبنه "الحاج مختار في زاوية بعين السخونة، يتخذ نفس الشكل الموجود لدى الأضرحة الموجودة في سعيدة مثل وضريح سيدي خليفة، رغم أن أهل الزاوية ينتمون لمنطقة لأبيض سيد الشيخ غير أم الشكل الهندسي للقبة لم يتخذ نفس الشكل الموجود لقبة ضريح سيد الشيخ.

III. 1.1.السعة و الشكل الداخلي :

هناك اختلاف كبير ما بين الأضرحة من حيث السعة والزخرفة والزينة من الداخل.إذا كان الشكل الهندسي والمعماري يختلف لطبيعة كل منطقة فإن الاختلاف الموجود في الزينة هو حسب قدر وأهمية كل ضريح، وكان ضريح سيد الشيخ هو أوسع وأجمل من الداخل، حيث وجوده في وسط مدينة الأبيض سيد الشيخ يتربع على مساحة كبيرة وحوله بستان من النخيل اتخذت شكل هندسي طبيعي أروع حيث يعتبر مركز سياحي في المنطقة رغم قدسيته.أما من الداخل فقد تم نحته بأشكال من الزخرفة على الإسمنت الأبيض وباللون الأخضر والأحمر والوردي ومزين بالبلاط الصحي من النوع الرفيع، على ارتفاع **1.60م** على الأرض، كما أن الأرضية كلها بالبلاط ذو الجودة العالية، وما زاد مكان رونقة وجمال نظافته وسعته من داخل حيث ضريح يتوسط المكان وحوله مساحة كبيرة على شكل دائري، وعليه بناء من الخشب على شكل بيت مزخرفة بنوع **أرابيسك** ونوعية القماش الغالية التي تزين الضريح والثرية التي تقع فوق الضريح حيث تتوسطه وهي جميلة الشكل. أما الأضرحة الأخرى رغم الهندسة المعمارية المتشابهة غير أنها تختلف هي كذلك حيث نجد ضريح سيد خليفة واسع وله بابين، مع وجود كهرباء في الداخل ومعلقة عليه ثرية عادية. أما الضريح الموجود في الزاوية الحاج محمد بعين السخونة، رغم أنه من الخارج تظهر عليه علامات القدم وعدم طلائه لكن من الداخل فهو أحسن حيث الأرضية كلها مبلطة ببلاط جيد والجدران عليها بلاط صحي من النوع الجيد وطلاء جديد وسعة المكان وتزيننه ببعض الصور وشهادات سبق شرح في سابق".

III. 2.1.من حيث الممارسة الطقسية:

إذا كان الاعتقاد في الأولياء لا يختلف عليه أحد وفعالية الكرامات مازالت فاعلة وحاضرة حتى بعد الممات فإن الممارسة الطقسية لا تختلف كثيرا بل لهم **نفس القدسية** سواء الأضرحة الصاليح أو الزاوية. حيث نجد الممارسة الطقسية في الزاوية تقتصر على زيارة ضريح مؤسس الزاوية الحاج محمد وأبنه "الحاج المختار بقراءة بعض السور القرآنية والترحم عليه في زيارات العادية، أما في زيارات الخاصة بالنية أخرى

كعلاج من **الصرع** و**العقم** أو طلب رجاء خاص قد تتخذ طقوس أخرى، منها المكوث والإقامة في **الخلوة** لمريض ويقدم له الشيخ بعض الرقيّ وهي عبارة عن كتابة ومزجها مع عشبة الشيح المشهورة في منطقة البيض، ويقرأ عليه بعض التعويذات أحياناً.

أما الزيارات الأخرى تأخذ طابع أخر من زيارة الخلوة للتبرك بالضريح ثم المكوث مع الشيخ وطلب منه الدعاء ولا يرجع أي زائر دون إذن من الشيخ هذا شئ **مقدس** يجب أن يستأذن للذهاب بقول لـ : الشيخ **أيا طلبنا ربي رانا مسهلين** أي نطلب الإذن منك للعودة هذا ما لاحظته وعشته .

أما حضور الزوار ففي كل وقت وفي كل ساعة ليلاً نهاراً ، فالزاوية مفتوحة للجميع والإقامة فيها بدون حدود مع وجود الطلبة المسافرين الذين يتعلمون القرآن ، ولا توجد أيام محددة للزيارة إلا أنها تُكثر أيام الاثنين والجمعة، الاثنين يوم وفاة الشيخ والجمعة يقال أن الزيارة مقبولة أي النية التي جاء بها الزائر تقبل في هذا اليوم حسب تمثُل الزوار. ولهم وعدة في الربيع وأخرى في الشتاء وزيارة الدائمة لزوايا تدل على حاجة الإنسان إلى المقدس رغم أن الزوايا تبعد حالي **90** كلم عن مقر ولاية سعيدة.

أما الممارسة الطقسية في فضاء الصاليح وأمام أضرحتهم فيها لا تختلف كثيرا بل لهم نفس قيمة القداسة غير أن شهرة وزخرفة الفضاء يعطى أكثر قدسية للفضاء وليس للوالي فهم كلهم مثل بعض. لا تختلف بينهما من زيارة مكان وتقبيل الضريح ومسح على القماش وأخذ التراب و دعاء و طواف داخل القبة أو خارجها أما الوالي سيدي خليفة والوالي سيد الشيخ رغم أنهما يشهدان عدد كبير من الزوار أثناء الاحتفال بالوعدة تعد بالآلاف، إلا أن الزيارة تبقى قليلة في الأيام الأخرى ومحصورة على ساكني المنطقة أو بعض الزوار الذين يأتون من بعيد حسب نية كل واحد والأيام الأكثر زيارة هي الجمعة صباحاً،حيث تفتح أبواب الأضرحة للزوار.أما طريقة الممارسة لا تختلف كثيراً من طواف حول القبة وحول الضريح وتقبيل الضريح و القماش الذي يغطيه وأخذ التراب، وتقديم الزيارة ضريبة الزيارة التي يأخذها **مُقدم** أو **خديم** كما يقال له ، ويطلب منه أن يطلب لهم الدعاء بالشفاء أو قضاء حوائجهم.

أما أثناء الاحتفال بالوعدة فإن الإقبال على ضريح سيد الشيخ يكون كبير جداً ويكاد لا ينقطع طيلة الأسبوع ليلاً ونهاراً، غير أن ضريح سيدي خليفة زيارته مقسمة بين النساء والرجال، أما ضريح سيد الشيخ فإن الزيارة مختلطة.

III. 3.1.من حيث درجة التقديس

تبقى درجة القداسة قائمة لكل الصاليح سواء فضائه أو اسمه وذكر كراماته، لقد لفت انتباهي أحد الزوار واقتربت منه للتعرف عليه، تأكد أنه موظف ذو مستوى ثقافي عالي عندما رأيته يصلي أمام ضريح **سيد الشيخ**، كان في أزمة نفسية، لم يرغب في الإفصاح عنها ، لكنه أكد لي أنه سيخرج من هنا في أحسن حال قائلاً بإذن الله لن يخيب رجائي وأنا أصلي وأدعو في الركن المبارك من خلال هذا الكلام

نتعرف ماذا يُمثل المكان الضريح قيمة القدسية و كيف ترسخت هذه الأفكار وأصبحت جزء من الدين عند مريدي أضرحة الصالحين.هنا تتّكثف القداسة وتتحول إلى ممارسة طقسية خاصة، غير أنها لا تختلف درجة القداسة من ضريح لأخر ومن أضرحة إلى الشخصية الدينية الرمزية للشيخ الزاوية باعتباره يمثل قطب ديني في محيط الزاوية.

III. 2.اختلاف درجة التقديس بين الأضرحة نفسها :

هذا ما عشته ولاحظته أثناء مشاركتي في الاحتفالات الموسمية للأضرحة وزيارتي المتعددة للزاوية حيث رغم أن كل الأضرحة تشترك في صفة القداسة، لكن تختلف درجتها حسب موقع الضريح وشكل القبة وسعتها وزينتها. بحيث أثناء الاحتفال لاحظتها في حضرة ضريح **سيدي خليفة وركب سيدي الشيخ** ومن كثرة الزوار والتزاحم أمام باب الضريح والخشوع والرهبة في حضرته إضافة للوجود الكبير للمنظمين قد لا تجدها عند أضرحة أخرى عبر التراب الوطني

هذا يجعل تمثُّل الزوار يختلف من ضريح ولي لأخر حيث تلعب المظاهر الخارجية من سعة مكان وزخرفة والزينة، وحضور سلطات الدولة في وعدة وكثرة المنظمين وحضور الأمن والدرك وكل الوسائل البشرية التابعة للدولة، زيادة إلى الحضور الكثير للزوار والمشاركين دور الذي يلعبه المقدس في تمثلات الزوار وممثلي السلطات.كما أنه لا يوجد اختلاف في الاعتقاد بين الأضرحة حيث نجده في تمثلات بعض زوار من اعتقادهم بأن الضريح هذا يشفي الأمراض والطلب عنده مستجاب كلهم كما يقولون صالحين عند الله.أما في حضرة الزاوية نجد أن تلك الكثافة القدسية تكون حاضرة في زيارة الضريح "الحاج محمد" مؤسس الزاوية، وأثناء زيارة "الخلوة للتبرك" لكنها تأخذ بعد **البركة** وهو بعد رمزي جداً لكن ذو أهمية تقديسية لتلك الأمكنة، مع اختلاف التصرف الزوار في حضور شيخ الزاوية، لأنه يمثل **المانع والمانح للبركة** في نفس الوقت وهو رمز ودرجة قدسية في تصورات والذهنية الزوار.

III. 3.أثنوغرافية الوعدات

الوعدات

تضم مصطلحات كل من"الوعدة، الزردة، النشرة في المفهوم العام المعروف أو كما يسميه **د.نور الدين طوالبي** الطقوس البدعية، والتي يقصد بها تلك الطقوس التي تستدعي احتفالاً جماعياً وتتطلب مشاركة عدد كبيراً من الأشخاص،كما يرى د. **نور الدين طوالبي** ،كمبدأ عام أنه كلما ازدادت المشاركة الجماعية في الحدث كلما اكتسبت تعبيراً اجتماعياً"

1 . **الوعدة** :تشتق كلمة وعدة في فقه اللغة العربية من كلمة "وعد" التي تعني " تعهد" بشئ ما ،أخذ على عاتقه شئ ما"، وقد تعبر عن موعد محدد لا يخضع لأي تبديل أو تغيير يرتبط بمناسبة ما "فلاحية أو دينية أو اجتماعية"

2 . **الزردة:** عبارة "بربرية" تستعمل في شرق البلاد وجنوبها، للدلالة على نوعية الفعل في العيد أو احتفال الذي يلي حدثاً سعيداً " ولادة ، نجاح مهني، أو دراسي، شفاء بعد طول علة، عودة من الحج ... يتم أحياناً استبدال عبارة " **زردة**"بعبارة وعدة" للدلالة على ذات الشئ ... لكن هناك فروق على المستوى الثقافي. يرى د.**نور الدين طوالبي** أن مصطلح " **الزردة**" الذي يتضمن بُعداً احتفالياً وبُعداً قدسياً حيث أنها ممارسة اجتماعية تتوفر فيها كل خصائص الحفل المختلفة، كالمشاركة الجماعية وتحرر الإنسان من اليومي العادي،"إنها الأشكال الأولية للحياة الدينية **دوركهايم** كما أنها خرق للقواعد التي تنظم الحياة الاجتماعية وهي عبارة عن ثنائيات: **الديني والدنيوي** ، **الجسدي والروحي** ، **العجيب والعادي**.

من **ناحية المفهوم الأنثروبولوجي**: هي ممارسة شعائرية تندرج ضمن نظام طقسي متعدد المظاهر، لذلك فهي في المخيّل الشعبي والحس العام ترتبط " **بالوعدة و الزيارة**" طقسان محليان يؤديان في فناء الصلحاء أو الأولياء الصالحين إنه حدث محلي يشد الجماعة لرمز مؤسس أو مرجع موحد. وهذه الممارسات الطقسية تهم الوسطين : **الريفي** وسكان المدن **والحواضر**، وتندمج الجماعة في ممارسة جماعية ذات خصوصية محلية تتجاوز المعايير الطبقية والتعليمية والسياسية.

- و ممارستها جماعية رقابية تهدف إلى التحكم في الجماعة عن طريق
- الشخصية الروحية الدموية للمؤسس وخصاله كالتضحية، والورع ، وحب الناس والتقوى ونجدة المظلوم.
- **المكان المقدس لممارسة الحفل** : ويحمل في التصور الشعبي رؤيا ثنائية ، مكان مقدس ومكان دنيوي

3 .**النشرة** : يشتق أصل الكلمة في العربية من فعل "نشر" أي أشاع و أذاع ، تكثر ممارستها في قسنطينة وتشكل بدورها مع "الوعدة" عدة نقاط مشتركة.

4. **مفهوم المعروف**: فهو نسق من الرموز يحوي مصطلحات مجردة ، ويعتبر خطاباً حول طبيعة المجتمع لكن تأويل المعروف لا يقلص إلى نسق من المصطلحات أو من المعارف التي تحويها الرموز.

المعروف و المجتمع :

وظيفة المعروف الاجتماعية هي :تأكيد انسجام المجموعة التي تحييه، فالوحدة القبلية من خلال الاستهلاك الجماعي لنفس الغذاء، تسمح بتركيز أعضاء المجموعة، فهي ترمز إلى الابتعاد عن المشاعر الفردية والخاصة التي تهيمن على النشاطات اليومية ومشاعر التبعية بين العائلات .. ومن هنا فإن المعروف يندمج في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنسج بين مختلف المجموعات .

الوعدة كتوطئة للتعريف بكرامات الولي:

إن المراحل التي قامت حولها الوعدات، كانت أساساً إكراماً لولي " **صاحب الضريح** " وتقديراً لكراماته وقدراته الاستشفائية على الأمراض المستعصية، والاعتقاد بأن كراماته مازالت حاضرة ، وفعالة حتى

بعد مماته. هذه الممارسات الطقسية، جلبت انتباهي في تلك الحفاوة والقيمة الكبيرة التي يكنها زوار لأضرحة انه المقدس وحتى في وجود شيخ الزاوية، حيث يصبح كل شئ في الضريح وما حوله من عتباته وجدرانه و**حتى مائه مقدساً** ، وتتحول هذه القداسّة إلى طقوس يجب على كل زائر القيام بها ، من إحضار الهدايا للشيخ مثلاً والقيام بإشعال الشموع التي يشتريها خصيصاً للضريح ، والأذكار التي يرددونها ممزوجة بضرب البنادير وهي وظيفة أولية تتمثل في محاولة استرجاع جماعية، لأصول أسطورة هؤلاء الصلاح وكراماتهم، مما أدى إلى تشكيل عدة قصص وحكايات أسطورية عنهم .الشئ الذي لمسته من خلال مقابلة أجريتها منذ زمن بعيد ، قص عليا قصة سبب إحياء هذه الوعدة"، والشئ نفسه أكده لي بعض الزوار في مقابلة جماعية بحضور الشيخ "الحاج حمو الطيب التي هي مسجلة في الفيلم" حسب قوله :

– كرامات الأولياء ثابتة بالكتاب والسنة ، وهي كثيرة أعظمها توفيقه للطاعة وملازمة الاستقامة والخير " يقول حسبه أن بعض العارفين قالوا" **لا تطلب بعملك الكرامة بل أطلب الاستقامة"** كما يضيف أن " المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء".

ومن بين الكرامات التي تروى عن الشيخ الحاج محمد مؤسس الزاوية :

قتله للثعبان الذي كان يتواجد بمكان الزاوية الحالي، والذي كان الناس يتحاشون المرور بالقرب منه ، فلما نزل الشيخ وأقام في المنطقة **محل الزاوية** كان الثعبان يأوي إلى المغارات التي أتخذها الشيخ مسكناً له وعائلته ، وحسب الرواية أن الولي تقدم إلى الثعبان و **حاوره** وطلب منه أن لا يجده بالمكان الذي يتوضأ فيه، ولا مكان صلاته، فوجده مرتين في الأمكنة التي نهاه عنها، فأخذ السيف وقتله ، وكان أحفاد الشيخ يجدون الأفاعي بالقرب من مكان جثة الثعبان ، ويُعتقد أنها من الجن استأذنت الشيخ من أجل التعزية "لمقتل الثعبان"، الذي يُعتبر عظيماً من عظماء الجن حسب تمثلات أهل المنطقة ، فأمهلهم الشيخ ثلاثة أيام، ثم انقطعت الأفاعي عن المنطقة بعد تلك المدة ، وعند قتله قال الشيخ **السلطان لا يقتله إلا سلطان"** .

– و قصة أخرى عنه أن رجلاً تاهت وتفرقت أغنامه في الثلوج، فاستغاث بالشيخ ونذر له أن يذبح كبشاً منها إذا عادت إليه ، فإذا به يرى رجلاً من بعيد بالباسه الأبيض وقد أشار بيده نحو الغنم ، فعادت كلها حتى دخلت الحظيرة. كما يروي عنه أنه كان له صديق، عازماً على أداء فريضة الحج فأوصاه الولي أن يمر به ليُحمّله صدقة ، ونسى الصديق المرور بالشيخ. وبينما الرجل في السفينة قاصداً الحج وإذا بالشيخ يدخل عليه وأخذ يُلومه على التفريط في الوصية ، فأعتذر الرجل فأعطاه الشيخ مبلغاً من المال ، وأمره أن يتصدق به في الحج. كما يروي عنه أنه ضاعت منه سبحته يوماً ، وكان الشيخ الحاج مختار رحمه الله معه ، فقال له إذا **شممت رائحة طيبة أخبرني** فلما أحس بالرائحة أخبره ، فإذا به يجد السبحة التي ضاعت منه أمامه". " الروايات كلها عن شيخ الزاوية"

أما الحكايات التي تروى عن الصلاح

أما الحكايات عن **الولي سيدي خليفة فهي كذلك كثيرة منها :**

إن **سيدي خليفة** كان يقطن مع بعض الأعراش من قومه وكانوا، الذين كانوا يستعدون للذهاب في ركب نحو مقام سيد الشيخ في منطقة الأبيض سيد الشيخ ، ومعهم قطيع من الغنم ، وفي طريقهم صادفوا "سيدي خليفة" وأخاه محمد ، فسألهم أين وجهتهم ؟ فاجبوه أنهم متجهون لزيارة مقام سيد الشيخ .فطلب منهم أن يسمحوا له بمرافقتهم، فوافقوا شريطة أن يسوق القطيع كراعي فقبل. وعند وصولهم دخلوا إلى مقام سيد الشيخ يلتمسون بركته ورضاه ، فقال لهم:لحقوا عقابكم" أي "أتوا بمؤخرتكم"، فقالوا: "ليس هناك إلا راعي حقير" حسب الراوي ولم يدركوا الأمر، فدخل سيدي خليفة وألقى بنفسه في أحضان سيدي الشيخ ، فبدا على وجه القوم الغيض والحسد، وقال بعضهم:كيف نأتي بمالنا، وجاهنا ، وزعمائنا ويأتي راعي حقير لا ندري حتى من أين أتى ليأخذ كل هذه القيمة والمكانة عند سيدنا ويستولي في برهة من زمن على بركته و اهتمامه؟ . بعد مرور ثلاثة أيام على انتهاء الحفل الديني قرر القوم الرحيل، لكن سيد الشيخ طلب بقاء "سيدي خليفة" بعض الوقت معه ، فذهب القوم و بعد مرور أيام قال سيد الشيخ ""يا أحمد جعلتك خليفتي في مذهبي"ثم قال يا خليفة هل ترى قد وصل القوم إلى مشارف عشيرتهم "قال "ربما هم على وشك الوصول" فقال له " أغمض عينك يا خليفة " فأغمض عينيه فوجد نفسه أمام الخيام مع قطيع الغنم. حسب تصريح شيخ زاوية عين السخونة "الحاج حمو الطيب" أن الركب يقام بعد وفاته إكراماً له وفي حياته لم يُقام له أي احتفال، وله عدة قصص منها أن البعض أراد قتله أثناء شروعه في الصلاة بهم، فمسخوا إلى أحجار راكعة ويعتقد البعض أنها موجودة بجانب بالركن الأيمن من الضريح. "الرواية عن مقدم الولي بسيدي خليفة .

أما حكايات و كرامات سيد الشيخ فهي كثيرة منها :

أول كرامة لسيدي الشيخ من كتاب سيرة البوبكرية (الصفحة " **86**) "ذات يوم ذهبت زوجة سيدي محمد " والدة سيدي الشيخ لزيارة أهلها في منطقة الغاسول تابعة لولاية البيض، وبقي زوجها في المخيم وكانت مرفوقة بابنها سيدي إبراهيم، وفي الطريق ، أعترضهم أسد ضخم ، فشعروا بالخوف والفزع ، حينئذ سُمع صوت سيدي الشيخ الذي كان جنيناً في بطن أمه ينادي: إبراهيم دافع عن أمنا أو سأفعل، أقترب سيدي إبراهيم من الأسد فمسكه من الأذن وجره حتى الغاسول" عند أخواله."

ومن كراماته أيضاً: من كتاب " تقوية إيمان المحبين" للإمام سيدي أحمد السكوني رحمه الله

يقول: وقد أخبرني بعض الثقاة أن بعض أولاد الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد رضي الله عنه : سيدي محمد الصديق وسيدي أبي حفص رحمهما الله حين قدما من الحجاز ودخلا مصر وذهبا لزيارة الولي الشهير سيدي زين العابدين بن محمد بن علي البكري رضي الله عنه فأذن لهما بالدخول إليه فوجدا بين يديه أبياتا فقال لهما " هذه أبيات لأبيكما سيدي عبد القادر بن محمد بن أبي سماحة ونصها: "

يقولون في الصحرا صـلاة تركتها ولم يعلموا أني أصلي بمكـــــة
أصلي صلاة الخمس في البيت دائما وهم يحسبون في البراري الفقيرة

وقال لهما الإمام زين العابدين أتحسبان أن أباكما لا يراه إلا أنتما، وقد جاز علينا يوما بدرقته، وسألناه عن ذلك، فقال لنا أريد أن أغيث أولادي في برقة موضع بليبيا من الطائفة الباغية. وهناك قصة أخرى عن كراماته من خارج الإقليم من تونس وهي مقتبسة من كتاب تقوية إيمان المحبين للإمام أحمد السكوني رحمه الله " هي رسالة كاملة " وفيها ما يلي:رسالة "المجاهد الحاج سالم بن علي الشنطيط" له في أمر الجهاد من تونس ومن مناقبه أن الحاج سالم كتب إليه ، يعني إلى سيدي عبد القادر بن محمد بما نصه "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله إلى الشامل الكامل الزاهد الورع الناصح ، قطب زماننا ، وشمس مغربنا ، مولانا سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، أعاد الله علينا من بركاته سلام الله عليك ورحمة الله تعالى وبركاته من عبيدكم السائل عنكم وعن كافة أحوالكم ، الواقف ببابكم ، المحافظ على عهدكم وطريقتكم المجاهد في سبيل الله الحاج سالم بن الولي الصالح علي الشنطيط .

وبعد الذي نعرفكم به من أمورنا وأحوالنا لا تخفى عليكم يا من لا لبحره ساحل، عبدكم واقف بين أيديكم، ليس له حكم ولا اختيار يا سلطان الأولياء، إني ابتليت بأربع ، الدنيا والهوى والنفس والشيطان، هم أربعة وأنا واحد ، منهم الملوك ، والملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، كما قال تعالى في الآية ، والذي نعلمك به يا سيدي ، أني حين قدمت من عندكم وشاورتكم على الجهاد فأمرتني به فامتثلت أمرك فغزونا مرة ونحن ثلاثون رجلا ، ثم التقينا مع خمسمائة كافر مقابلة مدينة " تمرون، تونس فندهنا بك وقلنا لك نحاسبك بين يدي الله تعالى إن لم تغثنا وتنجينا من هؤلاء الكفار، ثم لقيناهم وصففنا لهم فخرجت علينا وبيدك سيف محلى بالفضة، ثم تقاتلنا معهم وحضر نصر الله معنا، فأسرنا منهم عشرين رقبة فحمدنا الله على ذلك ثم عطشنا فاشتكونا لك فأتيتنا بماء فشربنا حتى روينا ، ففضلت منه فضلة فقلنا لك هات أغسل يديك، ولم ترض بذلك، والآن يا سيدي ترانا قد أعطيناك ثلث الغنيمة، وكل ما أخذناه من الكفار فثلثه لك ولا وجدنا من يأتيك به، ثم قلنا لسيدي أبي الغيث الغشاش ، أحبسه عندك حتى تبعث إليه وكيلك، فأمتنع، وقال لنا أطرحوه حتى يصرف إليه، أو أبنوا به مسجدا للشيخ وكتب عام ثمانية وألف **1008**ه الحاج سالم بن الولي الصالح علي الشنطيط لطف الله به آمين أنظر يا أخي إلى الصدق أوصل أهله إلى السلامة والغنيمة على بعد المسافة ، وهؤلاء في تونس وصدقوا في الشيخ، فنالوا بصدقهم فيه ما سمعت من السلامة والعافية والغنيمة" ، وكما قيل :

وكم من بعيد الدار نال مراده * * وكم من قريب الدار أصبح خائبا

ومن القصص التي تروي عنه و هي مشهورة و ذكرها حتى الشيح حمو الطيب شيخ زاوية عين السخونة هي :" أن الجراد "هدف" أي حلّ في بلدة "الفجيجية" نواحي بشار في رمضان في زمان الصيف، وبقي الناس

يطردونه عن حوائطهم، فأبى الارتحال ، وشرع يفسد الثمار، وقد بلغهم من ذلك النصب والجهد الشديد ثم أن سيدي محمد بن عبد الرحمن السكوني والد المؤلف"بعث شخص من أهله قصره إلى "الشيخ العباد "أي يقصد سيد الشيخ" وقال له قل للشيخ : " محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السكوني، يقرئك السلام ويقول لك أدع الله لنا أن يصرف عنا هذا الجراد" ، فذهب الرسول إلى الشيخ وأعلمه ، فنظر إلى السماء فقال "الله" ، ثم إن ذلك الرجل رجع لقصره ، ولم يصله حتى وجد الجراد قد ارتحل كلياتاً.و يقال أن أحد بلديات ولاية سعيدة ، وهي بلدية أولاد خالد لا يحل الجراد بها ، ولا يقيم حتى قيل أنه لا يمر عليها أبداً وذلك بدعوى من سيد الشيخ .القصة مقتبسة من كتاب " تقوية إيمان المحبين" للإمام أحمد السكوني رحمه الله ومن خلال هذه القصص التي تُعبر عن كرامات الأولياء ، فتشكل لدى التمثُلات الجماعية لمريده ، أنها قصص واقعية لا يمكن النقاش أي أنها مقدسّة ، حيث يكسب ذلك شكل التقاطب وإذا شك أحد فيها فإنه سوف يصاب بأذى أي خطر المدنس.

ومن تلك الكرامات والقصص التي تأخذ أبعاد الأسطورية تترسخ في التمثلات الذهنية الجماعية والفردية وتصل إلى درجة القداسة وإضفاء صفة القداسة على أمكنة المادية وعلى أشياء روحية تتجلى ذلك من خلال الممارسات الطقسية في مقام الصاليح أو بعيد عنه لكن بإسمه أي حضوره ، لذا الكُل يزور لغاية أو كما يقال "**لنية خالصة**"، حل مشاكل اجتماعية أي توسط عند الله عز وجل لأجل تلبية مطالب أي أن الولي همزة وصل بينهم وبين الله عز وجل، لذا نجد الكثير من مريدي الأضرحة ينادي ويقول "حشمتك بولي كذا وكذا" ويذكر العديد من الأولياء، إذن أصبح للمقدّس دور كبير يتجلى في حل المشاكل الاجتماعية و النفسية وبالتالي يحضى برعاية سوسيولوجية كبيرة.إذن كلنا بحاجة للمقدس.

وبعد استعراضنا لمجمل القصص والروايات التي تروى عن الصلاح، يتضح الإشكال الآتي والمتمثل في تحديد وظائف إحياء وحاجة الإنسان إلى المقدس الثقافية في التمثلات الجماعية وأثرها في توجيه الناس في الاستغاثة والممارسة الطقسية في فضاء الصاليح لكن قبل ذلك يجب أن نبين آثار الكرامات على السلوكات الجماعية لمريدي أضرحة الصلاح حتى تتبين ما هي العوامل سواء الخفية ، أو الظاهرة لهذا الجنوح الطقسي؟. وضرورة حاجة إلى إحضار المقدس. إضافة إلى وجوب توضيح الدوافع التي تتضمنها السلوكات الطقسية الجماعية للناس المتأثرة بكرامات المقدس ومكانته، حتى ندرك الأسباب البعيدة والقريبة لبقاء مظاهر التمسح بالضريح، والاستغاثة به في طلب الشفاء ، بجانب التطور العلمي للطب الحديث .

الأبعاد و المقاربات التنظيمية للوعدة في السلوك والتمثلات الجماعية

إن الوعدة ومفهوم الكرامات لدى التمثلات الجماعية مبني على اعتبارين هامين :

أولهما : ديني موقوف على شرعية الكرامات وذلك مبين في الكتاب والسنة.

ثانيها :اجتماعي مبني على تعهدهم بالعهد، الذي ألزموا أنفسهم به، أو توارثوه جيل بعد جيل وتعاونوا بينهم، فهذه الخاصيات التي توحي لهم بمكنون المقدس والاعتزاز به ساهمت إلى حد كبير في تنظيم السلوكات الجماعية ، وتحديد معالم حياتهم اليومية على الشكل التالي :

- وجود نوع من التعاقد ، في تحديد مستقبل الناشئة ، وقيمتها المرتبطة بموروثها الثقافي.
- تدخل التقاليد الاجتماعية المتمثلة في الوعادي في إقامة حج طقسي ، ومشاركة صوفية عاطفية، مرة في السنة أمام الأضرحة ، وذلك للتجديد ، وبصورة منتظمة مع وجود البركة التي يعتمد كل أعضاء الجماعة مريدي المقدس بحاجة إليها ، وأنهم متمسكون بها بواسطة هذا الطقس الاحتفالي.
- وفي هذه الوضعية تقع التكاليف المطلوبة إزاء تحضير الوعدة على عاتق "المريد" وعلى عاتق كل معتمد وهنا يظهر التضامن الذي هو سمة الجماعات المحلية في مثل هذه التظاهرات، التي تعتبر دينية في التمثلات الجماعية ، وتأخذ بعين الاعتبار القيم التالية

1 – أنه خاص بالوالي الضريح سواء ضريح زاوية، أو أضرحة الصلاح وُ ل من يأتي عاقد النية في الوالي و ما جاوره من قرى مثل "بلدية خيثر أين يوجد ضريح سيدي خليفة ، وبلدية سيد الشيخ أين يوجد ضريح سيد الشيخ

2 – يحدد معالم حدودها الجغرافية ومن ثمة استقرارهم في المنطقة التي توجد فيها قبة الضريح

3 – ومن خلال ارتباطها بهذه التقاليد ومقدساتها ، فإنه عادة ما يفوض شيخ زاوية مثلاً في قضايا المنازعات، أو عقد الزواج أو جنائز ، ويفوض أكبر سناً من أبناء أحد الصلاح ، أو من عرشه بنفس المهمة التي تُعتبر رتبة والي في التمثُلات الجماعية.

4 – كما تأخذ الوعدة بُعد تفاخري بين الممارسين ، وقد تطرق إليها " **د.نور الدين طوالبي" في دراسته حول "الدين والطقوس والتغيرات"**، بحيث يتفاخر الممارسون كُل حسب قبيلته وعرشه بهذه المناسبات بعدد الزوار وفرق الخيل وإعداد الطعام .....

5 – كما تأخذ الوعدة بُعد "**شعور بالذنب**" وللتخلص منه يجب ممارسة بعض الطقوس منها إعداد الوعدة ، وإطعام الطعام.

6 – أما من ناحية النسق العلاجي، فإن تأثير الكرامات والأساطير والممارسة الطقسية ومنها أداء "الوعدة " على تمثلات الزوار، بلورت الفلسفة التي تُشكل مفهوم الصحة ومكونات المرض ويمكن الحصول على هذه المفاهيم من خلال إجابات المستجوبين ومن خلال الملاحظة والمشاركة للجماعة حول ماهو المرض ؟ وأسبابه ؟

وكيف يكون العلاج أو الوقاية منه؟

وتشكل الإجابات التي يُحصل عليها من الجماعة المؤثرة الضاغطة ثقافياً واجتماعياً ما يعرف **بنظرية علاج الجماعة**" عند ويفر Weaver [10] بكيفيات متنوعة سواء مشاورات أقاويل قصص، أحداث، وبعض الأحيان تجاذب أطراف الحديث بين الجماعات أثناء الزيارات للأضرحة أو أثناء الزيارات بين العائلات فيما بينهم.و في كل صورة من صور النزوع، أو السلوك الثقافي لدى الزوار ومريدي أضرحة الصلاح نجد دافعاً مثلاً:

مرض ←يوجه إلى أداء فعل "زيارته للضريح" ، و يقضي ←الفعل←في النهاية إلى حالة من الطمأنينة ، أو الرضى لدى الزوار و بعض الأحيان لدى المريض نفسه.

المبحث الثالث: التمثُلات الرمزية في فضاء الصاليح

1.تمثلات الرمزية في حقل الصاليح :

تختلف بنية تمثلات الثقافية والرمزية لدى الأفراد والجماعة بين ضريح كمرجعية الدينية على أساس فكرة الصاليح وما يتصوره المجتمع عنه من خلال الكرامات وحكايات والأساطير التي تروى عنه وقدرات هؤلاء الأولياء الخارقة غير عادية كانوا يأتون بها في حياتهم ، حيث تأخذ بُعد وقيمة دينية ، وبين شخصية الشيخ زاوية كتمثُل اجتماعي موضوعي مجسد في وجود الشيخ الزوايا الذي يعبر عن ورث ديني رمزي تم ورثه أب عن جد وذلك ما يقدمه من خلال المرجعية الصوفية كرمز ديني.

التمثُل هو الطريقة أو الكيفية التي يُعيد بها الفرد تشكيل حقائق الأشياء وتنظيم الفهم الذاتي والاجتماعي للواقع، من خلال الإدراكات الاجتماعية ودلالة تلك الحقائق التي تجسد في الفكر أو الذهن على مستوى الحقائق التجريد، فالفرد الذي يتمثل بعض الحقائق أو حقائق الأشياء وصورها، لا يكون هذا التمثُل فجائيا وعبثيا وغير مبني بل يعود في جوهره إلى مرجعية تستند في أصولها ومبادئها إلى الواقع الاجتماعي الذي يعد بمثابة منظومة أخلاقية ثقافية اجتماعية تساعد الفرد أثناء إدراك الأشياء أو استحضار ما هو غائب إلى الذهن، على القيام بعملية التمثل.

2.تمثلات "الشيخ" الزاوية لدى الزوار:

يُعبر الشيخ عن مرجعية الدينية الرمزية في تمثُلات الأفراد والجماعة من خلال ما توارثه من علم والفقه وبركة من الأصيل وهو **المقدس** جده مؤسس الزاوية على أن الحكمة تعطى من الشيخ لحفيد، أنها نسخة أو الرمز الذي لا يعني أنه نتيجة عمل من خلاله يلم الفكر وينظم ما يراه، ومقام المقدس قيمة كبيرة لارتباطها بالأصل وهو تاريخ أجداده ومن خلال شجرة العائلية التي هي مغروسة في الذاكرة الشعبية لمريديه و هذا ما يؤكده (ميشال جيلي" Michal Julie) الذي يربط التمثُل بالتفاعل على أساس أنه إنتاج جماعي من طرف الأفراد يتحول إلى شكل للتعبير، وهكذا يكون التمثُل اجتماعيا عندما تتقاسمه مجموعة

10 . د. خليل أحمد خليل" ***نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية***" **دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1979 ،**

من الأفراد.حيث يعتبر **الحاج محمد مؤسس الزاوية** ذلك التقي الصالح المتصوف القطب الرباني في ذهنية الجماعية، فكُل يثق بما قام به أثناء الاحتلال الفرنسي وجهاده ودوره في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بالحفاظ على الهوية والأصالة العربية الإسلامية، ومازالت آثاره باقية من خلال حكايات عن كراماته و**خلوته** التي كان يتعبد فيها حيث أصبحت مزار و **ركن و فضاء مقدس ومبارك**.

ومن خلال هذه المقابلات فإن تمثُلات الزوار للزاوية هي **مقام مبارك** وكانت أجوبة المبحوثين أن الزاوية **مكان طاهر** أي طاهرة كما لاحظنا في سابق هي **المقدس** كما أن المبحوثين لا يرون فرق كبير بين مقام الزاوية وأضرحة الصلاح أجمع أغلبهم على أهم كُلهم أولياء الله الصالحين وكُلهم " **خدموا ربي** " حسب تعبيرهم أي كلهم تقاة.

إذ **18** مستوج ب يرون أن الزاوية زاوية فيها البركة وللتعليم القرآن، دار المساكين والفقراء وطلبة للحفظ القرآن، مكان الطاهر وللتعليم القرآن"... كلها عبارات تُعبر عن التمثُلات تتقاسمها ذهنية الجماعية لأفراد.

تمثُلات الزوار حول الزاوية		
أجوبة المقابلة مباشرة	**اجمعوا على أن فضاء الزوايا ماهو إلا البركة ومكان طاهر مخصص للتعليم القرآن دار للفقراء وطُلبة للحفظ القرآن ،**	
	18 مستجوب	**08 (مقابلة جماعية) + و 10 من المقابلات الفردية**

أما باقي من العينة من**30** زائر فضاءات الصلاح ومريدي "الوعدة" يؤكدون أنهم سبق لهم وان زاروا زوايا عبر قطر الولائي ويعترفون بأنهم من الصلاح ومعلمي القرآن الكريم وأمكنة مباركة. وهذا من خلال حديثي معهم في عدة مناسبات سواء أثناء زيارة أو أثناء العشاء.

وهذا ما عبر عنه موسكوفيسي ، Moscovici بأن التمثلات تبدو من خلال الآخر والذات بكيفية لا تخالف القواعد الاجتماعية، وفي هذا النوع من الاستلاب إن صح الكلام حتى تلبى رغبات الجماعة. كما أجّمعتْ إجابتهم حول الفرق بين مقام الزاوية وأضرحة الصلاح، على أنها أمكنة **طاهرة و مباركة** خاصة **بأولياء الله** لا فرق بينهم إلا في شكل وإسم حيث تمّ فهم السؤال من طرف المبحوثين على أساس أيهما ترى نفسك راحة، رغم أن سؤالي كان واضح وكنت أفسره على أساس فضاء المقدس وأمكنة مع ووجود الشيخ في الزاوية، ووجود الضريح في الأضرحة الصاليح كانت إجابتهم متباينة ومتشابهة، بين أنهما مثل بعض "**لا فرق إلا في بناء لكن كُلهم أولياء الله ..**" ، وأجوبتهم ينتابها الخوف وينطقون مباشرة دون تفكير **إنه المقدس . . حاضر في الذات،** لأن المريد لهذه الأمكنة وفضاءات الصاليح لا تسمح له

بحُكم على أحدهما لأنه يرهما **لأثنين أماكن مباركة وبالتالي مقدسة** ، هذه الرمزية في ذهنية لا يمكن مناقشتها.

وإن كانت الزاوية مكان للثقافة والتعليم التقليدي خاصة بحفظ والتعليم القرآن الكريم، فإن الضريح يُعبر عن مكانة للرجل هذه الثقافة التقليدية الذي حمل يوماً لوائها خاصة مؤسسي الزاوية والطرقية.

أما تمثُلاتهم لشخصية الشيخ فلا تختلف عليه أراهم كُلهم أجمعوا على أن الشيخ **بركة كبيرة** أي شئ فوق شخصية العادية لإنسان الطبيعي، في تمثلات الجماعية للزوار لشخصية الشيخ.

تمثلات الزوار للشيخ الزاوية	
اجمعوا على أن الشيخ الزوايا ماهو إلا البركة ورمز و كرامة وعالم وفقيه وإمام له بركة كبيرة في استجابة للدعاء	
18 مستجوب	**10 (مقابلة جماعية) + و 08 من المقابلات الفردية**

إذ أجمّع 18 مستجوبين تمثُلاتهم حول شخصية الشيخ الزاوية بين: **بركة** و**الشيخ أحد أولياء الله،دعائه مستجاب،بركة الكبيرة، لا تتخيل زاوية بلا الشيخ "رمز الزاوية""فقيه وعالم الكبير بالدين، الشيخ وشريف وبركة ، "بركة ودعوة الخير" بركة ونور في وجهه"** أغلب الإجابات أجّمعت على "**كلمة بركة**" **18** مرة، ما معنى هذه الكلمة ؟ وكيف تتمثُل في أذهانهم ؟ **إنها تمثُل القدسية الشيخ الزوايا**

أما باقي من العينة من**30** زائر فضاءات الصلاح ومريدي "الوعدة"

يؤكدون بأن الشيوخ الزوايا هم من يشرفون على إحياء الوعدة وهم بركة ودعوتهم مقبولة عند الله وكان مناقشة غير مباشرة مع العديد منهم سواء أثناء زيارة أو أثناء العشاء.

البركة: يقول الشيخ الزاوية حمو الطيب أمام جّمع من الزوار أن البركة هي في قوله تعالى " وذلك **البيت الذي بركنه حوله** .." ، والبركة هي ميزة خاصة ويهبوها الله لمن يشاء من **عباده الصالحين** ....، و منها قبول الدعوة، ومكانة عند الله تعالى وهذا ما يتحقق بكرامات الأولياء .. ما **حوله يقصد الفضاء المكاني و الروحي للصاليح أينما حل و أينما أقام**

أما في " **معجم لسان العرب لابن منظور**" يعرف **البركة بـ : مُحرَّكةً** النَّماءُ والزيادةُ ، والسَّعادَةُ ، والتَّبْريكُ الدُّعاءُ بها ، وبَريكٌ مُبارَكٌ فيه. وبارَكَ اللّهُ لَكَ، وفيكَ، وعليكَ، وبارَكَكَ، وبارِكْ على محمدٍ، وعلى آلِ محمدٍ أدِمْ له **ما أعْطَيْته من التَّشْريفِ والكَرامَةِ**. وتَبَارَكَ **اللّهُ تَقَدَّسَ وتَنَزَّهَ**، صفَةٌ خاصَّةٌ باللهِ تعالى، و بالشيءِ تَفاءَلَ به.

القدس: البركة.

وحكى ابن الأعرابي: **لا قدسه الله: أي لا بارك عليه.**

قال: **و المقدس: المبارك**

إذن البركة هي المقدس، وإذا كان دوركايم ، **Emil Durkheim**" نفسه ركز على التمثُلات الاجتماعية التي تنبني على أسس الجماعة وترتبط بالوعي العام أو الجمعي الذي يسود المجتمع ، وتظل هذه التمثلات الجماعية في منأى عن التغيير، نظرا لارتباطها بالوعي الجمعي الذي يستمد صلابته ومتانته من صلابة المجتمع ورصانته. كما أكد "**د. خالد محمد**" على أن" **المقدس محوره الإنسان**، و**مصدره الدين** ، **مما** نتج عنه ارتباط المقدس بالظاهرة العمرانية بدوية كانت أم ريفية حضرية عبر التأسيس أو إعادة التأسيس **أو المباركة لضمان الحماية و الاستمرارية**" (خالد محمد ص81 ،1997)

فإن البُعد الرمزي يبقى هو الأكثر حضورا ودلالة من داخل هذا الاختيار، لما قد يشكله الرمز من أبعاد جوهرية تؤسس لوجود الإنسان، ولعلاقاته بذاته، بالآخرين وبالكون ومن هذا المنظور إذن، تشكل الرمزية العامة (**symbolique générale**) قاعدة تستند عليها المجتمعات في ضبط وتنظيم علاقاتها مع الطبيعة، الكوسموس والإلهي.

يبدو إذن بأن رمزية المكان، أو الأمكنة وفضاءات الصالحين التي يقصدها المتصوفة لممارسة خلوتهم، قد تكثف بشكل أو بآخر سلسلة من المقاربات التي ربما قد تكون مقصودة لرمزيتها الدالة لعل هذا ما يؤكده "**ميرسيا الياد**" Murcia Iliade من خلال النص التالي **إن الأساطير والطقوس الاستمرارية التي تتعلق بالانكفاء إلى الرحم تبرز الحقيقة التالية** العودة إلى **الأصل تهيئ للولادة الجديدة** ، لكن هذه الولادة لا تكرر الأولى، أي الولادة الفيزيائية، هناك بالتخصيص **ولادة صوفية جديدة** ، من صعيد روحي بعبارة أخرى ، الوصول إلى نمط جديد من الوجود. "

أما الشيخ الحالي يمثُل امتداد رمزي لأصل، حيث أن الحكمة تأخذ من أصل لفرع ، وذلك ما نتبينه من خلال مديح رثاء "لجده الشيخ بوعمامة"حيث يقول في مقطع منه خذ الحكمة صغير في حالة الشبان" ... "سبحان لي أعطى حكمة للقمان ... أصل الحكمة تورث من أجدادي .. ، و في مُخيلة المجتمع أن الحكمة يأخذها الشيخ من سلفه وهي حكمة بالغة أهمية وسرية وتعتبر طريقة أولياء في تّعبد، ومن أرادة الحكمة فعليه إتباع نفس الطريقة.

كما يعتبر اللباس الشيخ وهيئته ، وتلك الهيبة الرفيعة ومكانته كبيرة في المجتمع المحلي وعلمه بالدين وتمسكه بالتُرات أجداده ، ووجود الحفريات داخل الزاوية ، وشهرته الكبيرة والندوات الإعلامية في أجهزة المرئية والمسموعة، سواء القنوات المحلية والوطنية خاصة التلفزيون، أحد العوامل التي تعطي أهمية كبيرة للحاجة إلى المقدس الذي هو موجود في ذهنية الجماعية.

حيث تصبح هذه العوامل مرجعية تستمد قوتها من حضورها الفاعل ضمن مجالات عديدة في المجتمع بمعنى أن الرموز التي يستند إليها الفرد هي تشكيل صورة ذهنية عن موضوع أو عن حدث غائب يستحضره العقل حاليا هي في واقع الأمر رموز محددة تاريخيا، ثقافيا، واجتماعيا.

وهذا ما أكدته " **ماري جوزي Marie Josée**" بقولها أن التمثُل " **كطريقة للاستحضار على مستوى الذاكرة**" يستحضر موضوعا غائبا لا واقعيا أو غير ممكن للإدراك بشكل أو بطريقة مباشرة، إلا أن الوعي بهذا الموضوع يتم بكيفية عقلانية.

وهذا يؤكد أن **المعايير** تُمثل أهم مكونات التمثُل الاجتماعي، لدى الجماعات المحلية للمنطقة ومريديه و كل الزوار ، وهذه التمثُلات تتخذ بُعدًا عمليًا، حيث أنها تسهل التواصل والتفاهم وكذلك التحكم في المجال الاجتماعي و المادي وكذلك الفكري.

وفي سياق آخر فإن التمثُلات الاجتماعية حول المرض والصحة، هي عبارة عن عملية بناء وتشكيل الواقع حيث يتم تحويل هذه المكونات إلى رموز تتجسد في القيم والعادات وحوادث والقصص التي تروى عن وقائع التي تمثُل كرامات التي يتلقها الزائر تلقائياً في ذهنية الجماعية من علاج الأمراض المستعصية وتحقيق أمنيات مثل أن شخص زار كانت نيتُه خالصة فتحقق له مراده . كُل هذه المعايير لها معناها وصدها في تمثلات الجماعية.والتمثلات الاجتماعية تُعبر عن تنظيم الفرد للحقيقة جماعية ، ويتم ذلك وفق أطر المرجعية التي تستمد قوتها من حضورها الفاعل ضمن مجالات عديدة في المجتمع، وتتحدد بعاملين أساسين :**هما العامل الخارجي** الذي هو المحدد المركزي الذي يشير إلى مجموع الشروط الاجتماعية والتاريخية التي تُشكل التمثُل ، **أما العامل الداخلي** هو السيكولوجية الفرد والتي تُعتبر عامل الثانوي للتمثُل. وهذا ما أشارت إليه دراسة **رودينكو Roderny Rico (1970)** حول لمفهوم المرض وأبعاده على أنه حالة مكتملة الجوانب سواء الجسمية أم العقلية أم الاجتماعية والثقافية للفرد وما تحمله تمثُلات الأفراد اتجاه الذات نظرته في مؤلفه **علم الاجتماع الطبي** . **كما لاحظت** انتشار اسم الشيخ الزاوية وكُل أسماء أجداده، بين الجماعات المحلية في المنطقة عين السخونة ، وفي المنطقة البيض، والأبيض سيد الشيخ ، وهذا يمثُل رقية أو وقاية من العين الأنس والجن وهذا ما يسمونه **النقير**، وقولهم إننا نسمي **أبنائنا لأعدائنا** مع انتشار الواسع لأسماء الصالحين القصد منه التفاؤل وصيانة من خطف الجن وهذا يُعبر عن تمثُلاتهم من خلال ثقافتهم المحلية .

كما أن للشيخ الزاوية "**الحاج حمو الطيب**"دار للقرآن في بلدية الأبيض سيد الشيخ غير بعيدة من ضريح **سيد الشيخ**، وفيها عدد الكبير من الطلبة هدفها تعليم العلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم ، و ما قال لإذاعة المحلية لولاية البيض أن دار القرآن تّم تأسيسها سنة 1995، وتّعلم عديد الشيخ حمو الطيب من الطلبة حالياً تحتوي 18 إلى 30 طالب منهم الطلبة المسافرين، وطلبة المنطقة كما قال أن دار القرآن هي دالا للتعليم القرآن على طريقة الكلاسيكية .وحيث يتم التنافس على من يطعم أكثر لكثرة الزوايا ، ومن أجل إثبات الوجود و كسب اعتراف جديد ومُردين جدد ، وثبات على إحياء إرث أجداد.

كما أن الزائر للدار القرآن يلاحظ للوهلة الأولى في رواق طوله ستة متر تلك الشهادات التشجيعية، وشهادات الاعتراف، مع تعليق صورة كبيرة تُظهر الشيخ الزاوية مع رئيس الجمهورية ، حيث تم تعليقها في وجه الأمامي لرواق كُل من يدخل يشاهدها، إنه البحث دائم على الاعتراف جديد رغم وجود المقدس، لأنه يمثُل دعم المعنوي من أجل الاستمرارية و الديمومة المقدس في المخيلة الجماعية للمجتمع.

تمثلات الزوار في أسطورة و الكرامات "الصلاح" :

تحتل الأسطورة حيزاً مهماً في تمثُلات الجماعية عن حياة الصلاح، والأسطورة قصة تفسر مأثورات الناس حول العالم وما وراء الطبيعة الآلهة والأبطال من أشباه أو أنصاف الآلهة. كما تتناول الأسطورة المعتقدات الدينية وتعليلاتها ولابد من وجود الأساس الديني وراء الأسطورة بالنسبة للشخصية الرئيسية فيها أو يكون الممثلون آلهة، ونحن نعرف أننا ندرس التراث الشعب مثل الشعب الجزائري، والذي يؤمن بإله واحد، ولذلك فلا يوجد في الأساطير التي بتداولها هذا الشعب آلهة متعددة.

هناك أخبار تدور حول الأنبياء الذين أحبهم الله، كلمهم الله أو اختصهم بعنايته، وقد تدور هذه الأساطير حول أولياء الله الصالحين الذين تنسب لهم الكرامات وتحققت على أيديهم المعجزات وهذا ما هو موجود في الذهنية الجماعية، وفي هذا الصدد يقول الشيخ الزاوية الحاج حمو الطيب **لا النبي إلا بالمعجزات و لا والي إلا بالكرامات** "

ويمتزج الإرث الأسطوري امتزاجاً كبيراً بالحكايات الدينية، ومن الصعب بمكان أن نميز بين الحكاية الدينية المثبتة في القرآن وبين الأسطورة، وفي هذا يؤكد الشيخ الزاوية على حادثة سيدنا موسى الذي كّلم الله تكليماً وهو النبي كان بحاجة إلى أحد الصالحين هو " **خضر**" في تعليم بقول **سيدنا موسى للخضر**" **هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلمت رُشدا**" **آية 66 سورة الكهف** .ذلك لأن هناك بعض الحكايات الواردة في القرآن اتخذت شكلاً ما في عالم الأساطير الشعبية، والمعروف أن الوسط الشعبي يروي بعض الحكايات الدينية وقد أكسبها هالة أسطورية وهو يهدف من ذلك تأكيد مقولة دينية والترغيب، ولا شك أن نقلة الأحاديث ورواة الحكايات ذات المضمون الديني على مر العصور قد ساهموا في تكوين ذلك الإرث الديني الأسطوري الذي تناهى إلى الشعب فأعطاه لوناً معيناً وطبعه بطابعه. كانت الأسطورة هي الوسيلة المبكرة التي عكست توقع الإنسان إلى المعرفة وتفسير العلم من حوله، ولقد وجه " **أرسطو**" هجوما عنيفا للأساطير باعتبارها " **قصصا وهمية لا تقدم أي حقيقة لا عن الإنسان ولا عن العالم** وقدرة "**الصلاح**" الخارقة وفعالية كراماتهم هي المقدس نفسه، يحكون عن بركاتهم وبتعدد ألقابهم من **القطب** إلى **الغوث**، إلى **وزير الدفاع** إلى **سيد الأولياء** إلى **والي الصالح** ... تتعدد أسمائهم لكن قدسيتهم واحدة .

تتكثف حولهم القداسة إن قدسية أولياء الصالحين وفضائهم وتوسل بهم عند الله عز وجل يُشكل التمثُل الحقيقي في الثقافة المجتمعية ، ويتمثل الفكر الجماعي إلى أن هؤلاء الصلاح بما تميزوا بالعلم

والتقوى والصلاح ومنهم من تميز بشرف انتسابه الديني من الشرفاء اصل الشريف، أو أحد الصحابة ومنهم **الخليفة أبوبكر الصديق رضي الله** عنه ومنهم من سهر و عُرف بتقديم النفع و الخير للناس ... لكن تبقى تلك الكرامات وقصص أسطورية التي تحكى عنهم أكثر تأثير في مخيلة الناس .

حيث تعتبر أسطورة صلة مباشرة بالمسائل اللغة لأنها مادة الاتصال الإنساني، كما أنها وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية والثُرات وتأخذ أبعاد الطبيعية والإنسانية و راسخة في ذهنية البشر وحسب علاقاتهم الاجتماعية المثقلة بتراكمات الثرات الإنساني، ومن أجلها تمارس العملية الطقسية لإشباع رغبات نفسية وأنساق علاجية كلها متعلقة بتلك أساطير وكرامات التي لا تقبل المناقشة.وهذا ما ذهب إليه روبرتسن سميث، Robertson Smith "في مؤلفه " **محاضرات في ديانة الساميين سنة 1997**" إلى أن الأسطورة ما هي إلا تفسير للعرف الديني ، **وما كان هذا التفسير لينشأ إلا حين يوشك المعني الأصلي للعرف في دائرة النسيان** ".

و يمُثل الضريح لدى فئات كبيرة من المجتمع ومن الزوار بمعنى أن توسط بالأولياء لدى الله هو جزء من الإسلام كما يدركه عامة الزوار وهذا ما لاحظته من خلال مشاركة وملاحظة أثناء الاحتفالات بأولياء ومن خلال المقابلات التي قمت بها بحيث يعتقد الزوار أن استغاثة بأولياء هو فقط استجارة حيث يروا أن هؤلاء الصلاح وصلوا قمة التصوف ومن الفضيلة والعلم الفقهي أيضاً لذا يستجيرون بهم لكي يوصلوا دعواهم ورجائهم إلى الذات الإلهية.حيث يقول الشيخ الزاوية عين السخونة " **حاج حمو الطيب** " في استغاثة بقول "سيد الشيخ "

ومن يستغيثُ بنـــــــا إضطراراً له بنا يُغاثُ ولو بقاع البحر بظلمته

ومّنْ أستنجدّ بإسمي للكشف بمنه سأدركه ولـــــو بُعد مســـــــافة

ولا ننسى كذلك حالات المتعددة من تسمية أبنائهم وبناتهم على أسماء الصلاح وزوجاته وهذا ما نجده كثيراً لدى مريده ومن زوار من تحقق له دعاء أو مطلب كإنجاب، فيسمى المولود على ولي إذا كان ذكر أو على زوجته إذا كانت أنثى وهذا ما أكده الشيخ الزاوية " **الحاج حمو الطيب** " أمام حضور لصحفية إذاعة المحلية لولاية البيض في إجابة على كرامات سيد الشيخ إذ من بينها "يقول الشيخ أن العموم يعرفون أن كثير من رأى رؤية أو منام أن سيد الشيخ يبشره بالولد ، فيرزق به و يسمى عليه ".

لهذا تكثر أسماء في المناطق المجاورة لأضرحة، وأكثرهم يسمي تبرك بولي و خوف من العين الأنس و الجن، والتفاؤل أن يكون الولد صالح في المستقبل هذا يُمثل بركة كبيرة في تقاليد الثقافية لدى الجماعات المحلية ولدى معتقدين في المقدس. وهذا تطرق إليه " **تيليارد Tyard**" حول الأسطورة على أنها " موهبة أي جماعة بشرية كبيرة كانت أم صغيرة وقدرتها علي أن تحكي قصصا معينة عن أحداث أو أماكن أو أشخاص معينين خياليين كانوا أم حقيقيين، وتكون حكاية هذه القصص بشكل واع غالبا، ويكون لها مغزى رائع" (د. كارم محمود عزيز ، ص 81 ، 2002)

أما من خلال النتائج المقابلات والملاحظة والمشاركة في الممارسات الطقسية فقد أجمع كُل المريدي هذه الفضاءات قدسية الصلاح بما تُمثله تلك الكرامات والقصص التي تُحكى عنهم وما يُمثله مقامه في تمثلات الجميع .

تمثُلات حول الكرامات فضاءات الصاليح	
اجمعوا على أن الصاليح و فضائه مقدس وله كرامات ، و هي موجودة في حياتهم وبعد مماتهم أولياء الله لهم كرامات و معجزات	
18 مستجوب	**10 (مقابلة جماعية) + و 08 من المقابلات الفردية**

حيث أجمع جُلهم على وجود هذه الكرامات، لم ألاحظ أي اختلاف على شخصية الولي أو شك في قدسيته ويعتبر المقدس شئ بديهي في شخصية الشيخ الزوايا وولي صاليح و فضائه المكاني، كما أجمع كُل على البركة المكان وإمكانية استجابة للدعوى بشرط حسن النية ،كما يعتقد البعض إلتقام الضريح مِن مَن يهزئون للقيمة المكان سواء سراً أو علنية لهذا تلعب النية دور كبير في تمثلات الجماعية أثناء الممارسات الطقسية.

أما باقي من العينة من30 زائر فضاءات الصلاح ومريدي "الوعدة يجمعون على أن أمكنة وفضاء الصاليح وكراماتهم ومعجزاتهم قائمة . ولا احد ينكر ذلك هذا ما يعبر عنه جميع من خلال أحاديث مع بعضهم البعض أو أثناء مناقشة مفتوحة معهم في عدة مناسبات سواء أثناء زيارة أو أثناء العشاء.

تنحصر الدراسات التي قام بها " **فرويد**" في مجال الأسطورة في محاولته **الفصل بين التاريخ الثقافي للمجتمع والمفاهيم القائمة فيه** . وكانت الدراسات التي سبقت فرويد تفترض تحليلاً تاريخياً لفهم مراحل تطور الوعي الإنساني، أما **فرويد** فقد سعى إلى إثبات استقلال **النفس الإنسانية** عن التاريخ واعتمادها على المفهوم الحيوي (البيولوجي)، ولا يبدل في الأمر شيئاً كونه استفاد من وجهات نظر أنتروبولوجية في هذا الصدد (**كزعمه مثلاً أن تقديم الأضاحي مرتبط بأول عملية قتل كان الإنسان ضحيتها)** ، وكان يرى أن التعبير الرمزي عن الشعور بالذنب أو عن قضاء الرغبات لايتحدد بزمن تاريخي؛ ولكنه يحدث في الأساطير كما يحدث في الأحلام. وقد استند **فرويد** في رؤيته هذه وبه اقتدى **كارل يونغ** ، إلى نظرية **لوسيان ليفي برول** الذي ربط الأسطورة بالذكاء الفطري السابق للمنطق. ويرى **فرويد** أن الأسطورة نمط من التفكير كان شائعاً عند الإنسان القديم ومازال موجوداً لدى الشعوب البدائية التي تزعم وجود شراكة **روحية** مع الأشياء ولا تفصل بين الذات والشيء، ولكنه تعرض للنقد بسبب تفسيره الأساطير من وجهة نظر **عقدة أوديب** والكبت الجنسي والشعور بالذنب. أما **كارل يونغ** فيعتقد أن الصور الأسطورية ظاهرة

إيجابية مبدعة مناقضاً تقويم **فرويد السلبي** لهذه الظاهرة، فالصور الأصلية الأولى عنده صور مميزة تنبع من الوعي الجماعي ومن أساس النفس الإنسانية، ولكنها تضع الأساطير خارج نطاق التاريخ. ويتردد ناقدو **يونغ** في تقبل رأيه حول كون الوعي الجماعي مصدراً أبدياً لفهم الأسطورة.للأسطورة صلة مباشرة بالمسائل المتعلقة باللغة لأنها مادة الاتصال الإنساني، كما أنها وثيقة الصلة بالحياة الاجتماعية والتراث. ومع ذلك لايوجد اتفاق بين الباحثين عامة حول طبيعة هذه الصلات، وليس من الصعب معرفة أسباب عدم الاتفاق هذا، وخاصة أن تصنيف اللغات وتفرعاتها والمجتمعات التي تقوم على أساس اللغة يبقى مسألة خلاف، ويتطلب دراسات أكثر تعمقاً مع أن طرائق البحث العلمي الحديث تسمح بإجراء مسح شامل لهذه المسألة. تحتل الأسطورة حيزاً مهماً.

3. اختلاف التقديس بين أضرحة الصلاح و الشيخ الزاوية :

يرى " **دوركايم**" **أن ليس للإنسان أو الطبيعة السمة المقدسة بل إن السمة الاجتماعية والنشاط الجماعي والشعيرة هي التي تمنح السمة المقدسة ، فالمجتمع هو الذي ينشئ المقدس** .. و **الحفل هو القناة التي تنشئ منها مجتمعات المقدس** ، يعيش الناس بالنوم على **البداهة والمقدس** لأنهما **يوفران عليهم مشقة التساؤل** ، وهما مريحان لأنهما يقدمان إجابات جاهزة ومطمئنة إجابات ممتلئة وكلية ولذا فهما أداتان للأمن السيكولوجي وخلاص من الحيرة.

يُسقط الزوار حول فضاء الأضرحة الصلاح وحقل الزاوية **صفة القدسية** ، ويعتقد أنه نقطة الوصل مع السماء، و **تتّكثف تلك القداسّة بممارسة الطقسية المستمرة** .و تصبح زيارة هذه الأمكنة وفضاءات الصلاح واجبة ومحببة، زيادة على تلك الحكايات والأساطير التي تروى عن هذه الأمكنة من القدرة على الشفاء الأمراض المستعصية والإنجاب وتحقيق الأماني ... ، وتشترك هذه الأماكن في التقديس، ولا تختلف درجة تقديس بين الأضرحة وحقل الزاوية، وهذا ما لاحظته من خلال الملاحظة والمشاركة حيث يرى أغلب من قابلتهم أن الزاوية هي مدرسة القرآنية ومكان لتكفل بالفقراء والمساكين، زيادة على طاهرة المكان،حتى أخذ معنى كلمة الزوايا بإطعام حيث يتردد لدى الناس جملة " **داري ماهيش زاويا** " أي نتيجة كثرة إطعام حسب تمثُل المجتمع ، وفي هذا الصدد يقول **الحاج حمو الطيب الشيخ الزاوية عين السخونة** " أن الزوايا معروفة في المغرب العربي بهذا الاسم، وتسمى كذلك بالمتكآت وتسمى أيضاً بمراكز الوعاظ، غير أنها مخصصة للتعليم بطريقة التقليدية .. " ، ومنهم من يرى أن زوايا اقترنت بحفظ القرآن والأذكار خاصة وأمكنتها البعيدة إذ أغلبها خارج المدينة لكن اقترنت زوايا دوماً بوجود الشيخ لا زوايا

بدون الشيخ إنه الرمز الزوايا" يقول أحد المبحوثين ، حيث ينظر إليه كوالي من أولياء الله عند البعض وتسقط عليه نوع من البركة وبه يُقبل الدعاء حيث يصبح **مقدس في تمثلات الجماعية** ، وأنه إبن الصالحين وقد ورث البركة وطريقة عن طريق أجداده وبالتالي يأخذ قدسية خاصة.ولا يمكن زيارة زاويا وعودة دون رؤيته وأخذ إذن منه **أي طلب تسهيل** كما يقال عند مغادرة الزوار له وهي من السنة ، وحتى في أمكنة "الصلاح" يُطلب من الخديم الأضرحة الصالح إذن بالمغادرة بعد الزيارة إذن لا تختلف القدسية من الضريح لأخر وهي نفسها في التمثُلات الزوار من خلال المرجعية الدينية و قصص و الأساطير التي تحكى عنه تأخذ القُدسيّة.

ويذهب الفكر الماركسي للقول أن بنشأة الأسطورة إلى ضعف قوي الإنتاج في المبتدأ الجمعي، لم يساعد الإنسان على اكتشاف الأسباب الحقيقية لما يقع أمامه من ظواهر وهنا تقدمت الأسطورة لتقوم بهذه المهمة الأولي للتفسير ، وهو ذات الدور الذي قام به الدين في سدله الأستار علي التفسير الموضوعي للواقع "(**د. سيد محمود القمني ، ص 102، 1997**)

كما أن المظهر الخارجي له دور كبير في تشكيل رؤية مختلفة للتقديس وهذا ما لاحظته من خلال مشاركتي حيث أن الأضرحة التي تتخذ أشكال البناء الواسعة والكُبر وفنون والزينة والتنظيم ونظافة وشكل الضريح من داخل "مثل ضريح سيد الشيخ".حيث بمجرد أن يدخل الزائر حتى تسقط عليه تلك الرهبة والخوف، حيث لاحظت أن الزوار ينزعون أحذيتهم دون وعي ،.كما أن الأحداث التي تحدث مثل الشفاء وقبول الدعاوي، وتحقيق الرجاء يزيد من القُدسيّة فضاءت الصالح، وإن كانت القدسية هذه الأمكنة لا تختلف في ذهنية الجماعية ، وهذا ما توصلت إليه من خلال إجابات المبحوثين حيث لا يرون فارق بينهما التقديس فُكل الأضرحة هم أولياء الله في تمثلات المبحوثين وكُلهم "خدموا ربي" أي كانوا أتقياء ولهذا استحقوا كُل هذا التقديس.

تمثلات الزوار حول فضاء المقدس بين أضرحة الصلاح و حقل الزاوية	
كان السؤال: أين تُشعر بالراحة أكثر في أثناء زيارة أضرحة الصالحين أم عند زيارتك لزوايا؟ و السؤال الأخر: أترى فرق بين مكان الصاليح" الولي" و بين الزوايا ؟	
اجمعوا على كلهم أولياء الله لا فرق بينهم ، فرق فقط في أسماء و أماكن كلهم أولياء الله و خدمو ربي أي كانوا أتقياء	
18 مستجوب	**10 (مقابلة جماعية) + و 08 من المقابلات الفردية**

أما باقي من العينة من**30** زائر فضاءات الصلاح ومريدي "الوعدة

الجميع يؤكد على قدسية ولي الله ولا فرق بين زاويا وأضرحة الصالحين كلها مباركة .

لكن ما لاحظته من خلال الممارسة الطقسية للزوار، أن درجة تقديس تختلف بين أضرحة نفسها، وبين الأضرحة ومقام الشيخ ومكان الزاوية ، من خلال حضوري لاحظت أن الزوار يُعبرون بنوع من الخشّية وإظهار الرهبة في وجود الشيخ أكثر من زيارتهم لأضرحة الصلاح ، حيث لاحظت أن بعض الأضرحة لا تزار أبداً، لكن من تُقام له "وعدة" يُزار وتقدم له الزيارة" القيمة مالية بنوع من الخشوع والنية الخالصة والخوف حتى تُقبل زيارته وإيمان بأحفاده وقائمين على الضريح من المقدم أو أحد من عشيرة الولي بما يسمون بشرفاء، ويعتقد الكثير في دعاواهم، وعدم مخاصمتهم أو معداتهم لأن معداتهم هي معاداة الولي وبتالي معاداة الله.يبقى المقدس حاضر في ذهنية الجماعية ويتم إحضاره بنوع من العملية الطقسية سواء سنوية في العادة أو عند الحاجة. وكذلك الخوف من أن يُقام من أجل الناكر أو معادي له فاتحة، تكون نقمة عليه وعلى أفراد عائلته، ويسمى في المنطقة سواء بـ "بالقراءة الفاتحة ودعوة للفلان سواء خير أو بالشر أو "الشامخة"[11]، ولها اعتقاد كبير لدى الجماعات المحلية وكُل مريدي أضرحة الصلاح.

II. دور التمثلات في استمرار الممارسة الطقسية:

البشرية تدرك في كل الأحوال بواسطة بنيتها الوجودية أن القيمة الحقيقية تنصرف للأعمال والأفعال وليس للفكر الخالي المجرّد، وهي تعلم أن ما يجذب القلوب ويأسرها هي آثار تلك الأفعال والأعمال وخواص الأفعال أكثر من الأقوال المجردة، وخير دليل على هذه الدعوى أو الفرضية هو تعلق البشرية وارتباطها عملياً بآثار الأفعال أكثر وإن كانت تلك الصور التخيلية الوهمية لها دور في مخيلة الجماعية.

لذلك كان من المظاهر التي تجذب المجتمعات البشرية التي يتشكّل وجودها على أساس العلاقات الدينية أو غير الدينية، هم أولئك الرجال الذين يجسّد سلوكهم القدوة الحسنة وتختزل حياتهم المثل العليا التي يؤمن بها المجتمع سواء أكان المنهج السائد دينياً أم غير ديني، فأمثال هؤلاء الرجال هم الملاذ الذي يلجأ إليه الشعوب والحارس الذي تتجلى حيوية المنهج فيه فيلتفّ من حوله الناس، من هنا وجدنا تاريخ البشرية يسجّل لنا في جميع أشواطه حرصاً شديداً على الاحتفاء بالأسلاف وإبقاء أواصر الصلة نابضة معهم وكان من صور هذا الحرص تشييد القبور وإقامة الأضرحة والمزارات على قبور الموتى لترمز لقدستهم، ولتبقي ذكراهم حية رغم غياب أجسادهم، وهذه الحالة تعبّر دون شك عن واحدة من **أجدر أواصر الصلة الروحية في حاضرها ومستقبلها وبين أسلافها في الماضي** ، ومثل هذه السنن هي في طليعة العناصر التي لها أثر مهم في الحفاظ على نبض الحياة قائماً في الاتجاهات الدينية المختلفة وفي الآداب والمراسم

11 . **الشامخة**، هي دعوة للشخص سواء بخير أو بالشر ، من قِبل الأشخاص شرفاء لهم مكانة في تمثلات الناس و بحضورهم حيث تقوم حلقة و يدعي أكبر السن أو الشريف ، ثم يُطلب من الجميع ضرب الأيادي على شكل التصفيق ، أي المصادقة على الدعوة

الوطنية المتوارثة، وبذلك نجد أكثر من ألف ضريح صاليح وأكثر من 275 زاويا و 150 طريقة نتيجة هذه التمثُلات الجماعية وأهمية المقدس في الحياة الفرد و الجماعة..يقول " **الشريف التيجاني الزبير**" مقدم الزاوية التيجانية : أن الفرق بين المسجد والزوايا أن المسجد هو محل عام يدخله كل المسلمين ولا يمكن للمسلم أن يقوم بالأذكار بصفة جهرية كي لا يزعج باقي المسلمين، فلهذا أُسست الزوايا، الزوايا أُسست للقيام بالأذكار الخاصة بأصحاب الطرق، أما زيارة الأضرحة فإن غاية منها تشمل قراءة القرآن الكريم وذكر بعض الأدعية ومن ثم الطلب من الله ومتوسلين بالرسول الكريم وبصاحب هذا القبر لقضاء حاجتهم والممارسات الطقسية فهي استثمار لجني ثمرات الدعاء وتحقيق الأماني.ولا يمكن فصل الممارسات الطقسية عن اعتقادات الراسخة حول الكرامات ومعجزات الصلاح في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل.

1.أثر التمثلات حول "المقدس" في استمرار الممارسة الطقسية :

إن علاقة هذه الممارسات بالتمثُلات والتفكير الشعبي لها أهمية قصوى في ديمومة هذه الطقوس بل تشكل في العمق نظرة أنطولوجية انثروبولوجية **للكون والدين والمقدس** وهي في هذا السياق **تمثلات لا تقطع مع الدين** ،بل توظفه وتعيد تشكيله من جديد فعدد كبير من الأوساط يعتبر أن الممارسات الاحتفالية وتلك الطقوس في حضرة المقدس هي جزء من الدين، بل أن التصديق بها والتعاطي لها من صميم المقدس من ذلك التعاطي لأنواع مختلفة من طقوس وهذه الطقوس لها تفسير في القرآن ، وخاصة قصة النبي يوسف، وعدد من السور والآيات بخصوص البركات والمعجزات قد مهد السبل لما يسمى انثربولوجياً بالإسلام الشعبي ، لذلك فالتعاطي لهذه الممارسات هي من صميم الواقع فهذه الممارسات ومن قبل هذه التمثلات الأنطو- انثروبولوجية هي ما يؤسس التفكير والحياة الشعبية ، ولا يقتصر إحياء المقدس على أهالي المناطق الريفية والتجمعات القريبة من المدينة بل حتى داخل المدينة وكل الفئات المجتمع بالمختلف طبقاته ودرجاته وهذا ما تأكد منه من خلال الملاحظة والمشاركة و ذلك من خلال وما توصلت إليه انطلاقا من مشاركتي ومن خلال الملاحظة المستمرة حيث نجد أكثر حضور لهذه الأماكن من أهالي الصاليح أي من عرشه **الشرفة** فهذه الممارسات والطقوس جزء من حياته ورثه عن أبيه وجده إذن هو جزء من البنيات الرمزية للمتخيل الشعبي، وبالتالي اعتبار الفرد يستعين بالمقدس للتحقيق الراحة النفسية فهي كذلك حسب خصائصها السوسيو ثقافية والاقتصادية، وإن تعاطي لهذه الممارسات كتجلي للمتخيل الشعبي واللاشعور الجمعي الذي لم يتبلور منذ الآن، بل هو وليد عصور ومراحل تاريخية وثقافات ما قبل إسلام .في الواقع أن المخيلة الجماعية لإحياء **المقدس** تكتسي طابع **الديني الخارق** عن منطق سوسيولوجي ناظم وموجه، وهذا المنطق بالطبع، هو الذي يمكن أن نفهم على أساسه مختلف الأصناف والأفكار التي ينظر من خلالها الأفراد إلى العالم، وتشكل رؤيتهم وعلى هذا الأساس إذن، فإن أية محاولة لفهم، أو بالأحرى إعطاء مضمون سوسيولوجي تاريخي لمفهوم الصلاح ، تبقى مرتهن بعملية **حفر**

أركيولوجي في بنية التمثُلات الثقافية والرمزية لشخصية وفضاء الصاليح، سواء كتمثل ذاتي **داخلي**، وهذا ما يقدمه الصالح عن نفسه هو من خلال المرجعية الصوفية، أو **كتمثل اجتماعي موضوعي** كما تجسده نظرة المجتمع إليه وتصوره له، والتمثُل بالطبع لا يتم إلا عبر عدد من الرموز والدلالات والمرجعيات، التي ليس الديني واللغوي إلا عنصرا من عناصرها، من هذا المنظور إذن، فعملية التمثل تظل مرتبطة اشد الارتباط بعملية التأويل والتأويل في حد ذاته يظل محكوما ومرهونا بالسياق الاجتماعي التاريخي للفاعلين الاجتماعيين، من حيث هو محاولة إنتاج وإعادة إنتاج للمعنى وفي هذا الإطار، فقد أكدت الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية أيضا، بأن إعطاء المعنى يظل دائما محكوما بالحقل الاجتماعي، وبشكل أكثر دقة، برمزيات هذا الحقل كما اعتبر الرمز عنصرا من العالم الإنساني للمعنى وهكذا يجب تركيز حول المجتمع ذاته، فهو المرجع الأساس لتفسير كافة أنماط الفعل الإنساني حتى نتجنب السقوط في مأزق التفسيرات الميتا –اجتماعيةِ (méta – sociales)

إن كل تمثل إذن، ينتظم وفق منطق محدد، وهذا المنطق هو ما نسعى إلى الإمساك به، وضبطه من داخل حركة وفضاء الصلاح (**maraboutisme**) كحركة صوفية بالأساس، وكشكل من أشكال الممارسة والفعل التاريخيين، فإذا كانت الظاهرة قد تبدو إذا ما نحن اكتفينا بالمرجعية مناقبية مكثفة لكل أشكال الخارق والخرافي و **الغير عقلاني** من الأساطير والكرامات فإنه وخلف هذه الأشكال والتكثفات، يمكننا الإمساك بمظاهر عقلانية خاصة، عقلانية تسعى نحو الانفتاح على حقل الممكنات، وراء التكثفات المجمدة التي يفرضها الواقع ، ولئن كانت الممارسات والمعتقدات التي أفرزها الحقل الصوفي عندنا ودون استثناء، قد لا تحيد عن قاعدة الغموض والالتباس مما قد يوحي بغياب تام للمعنى فإن التحليل السوسيولوجي والأنثروبولوجي أيضا قد يثبتان العكس تماما على اعتبار أن أية ممارسة أو فعل، بما فيها الممارسة الصوفية كتجسيد لظاهرة دينية اجتماعية هي ذات معنى ودلالة لدى ممارسيها، وأنه لا يمكن فهمها وضبط منطقها الخاص، إلا من خلال السياق السوسيو– تاريخي الذي تحرك فيه هؤلاء الفاعلون وتفاعلوا معه . وفق هذا التصور يمكن العودة إلى المجتمع ومحاولة فهمه في تاريخيته، على اعتبار أن التصوف قد ندركه كجزء لا يتجزأ من هذه التاريخية ، ولئن كان مفهوم التاريخية **l'historicité** هذا وكما صاغه "ألان توران "Alain tourain قد يعني تلك القدرة التي يمتاز بها كل مجتمع، على إنتاج ذاته باستمرار، وذلك عبر إنتاج وتحديد حقله الاجتماعي والثقافي، ووسطه التاريخي الذي يميزه، فإن ظاهرة الصلحاء باعتبارها شكلا من الأشكال الاجتماعية للممارسة الصوفية، قد توجد وتفهم في صلب هذه التاريخية، إن مقاربة الظاهرة الصوفية في تاريخيتها إذن، قد تعني لدينا البحث من وراء الديني والميتولوجي عن ذلك المضمون التاريخي والسوسيولوجي للظاهرة أمام هذا التعقيد الذي يسم الظاهرة إذن، وأمام تداخل كل أبعادها ومستوياتها، فإن المطلوب هو تضافر جهود كل من التاريخ، السوسيولوجيا الانثروبولوجيا لرصد الظاهرة في مستويات تداخلاتها .

كما أن مسلك الممارسة الصوفية، تعمل على رصد بعض رموز ودلالات من داخل هذه الممارسة والتي نراها تكثف بشكل أو بآخر عناصر سلطة "**رمزية . روحية** وهذا ما استثمرته حركة الصلحاء في إطار ممارستها وأنشطتها المختلفة، وإن كان تنظيم الزوايا فيما بعد، هو الذي أستثمر وبشكل جيد، رموز هذه السلطة ويعطيها أبعادا سياسية زمنية واضحة المعالم.وهذا ما تم تأكد منه من خلال الملاحظة والمشاركة ومن خلال إجابات المستجوبين في أن الشيخ الزاوية يعتبر رمز ديني في أغلب إجابات بتعبير "أنه بركة كبيرة" هذا حسب تمثُلات الجماعية وحسب المرجعية الدينية الذهنية لأفراد .

كما أن أغلب المستجوبين لمكانة الولية لدينهم يرون أن هؤلاء الصلاح هم أولياء الله بتعبيرهم ولهذا يحظوا بمقام كبير وهيبة رفيعة وتقام لهم الطقوس المختلفة ...ليس بغريب إذن أن يحظى الأولياء والصلحاء بكل ذلك التقدير وتلك الهيبة من داخل المجتمع، وقد شكل مفهوم **البركة** في هذا الإطار، منبع سلطة هؤلاء .كسلطة روحية، وفي هذا السياق يمكن فهم الدلالات العميقة لهذا المفهوم، بالإحالة على ذات المرجعية الصوفية التي تجعل من **البركة** وعلى حد تعبير **ادوارد وستر مارك** كعطية إلهية يمنحها **لأوليائه الصالحين، كما تجعل من هؤلاء بمثابة وسائط بين الله والبشر** .

ولعل دلالات هذا الوضع السلطوي، الذي يتسع باتساع مجالات اشتغال الصالح وتدخلاته، يمكن أن نقف عليها بشكل واضح من خلال بنية التمثلات الاجتماعية والثقافية لعدد من الأحداث والوقائع مجاعات، أوبئة، كوارث طبيعية وسياسية أيضا..." فهذه الأخيرة كانت تفهم، طبعا، كعقاب إلهي إثر تأزم أو اختلال على مستوى العلاقة مع الله ولا معياريها ، والتي قد تعني في حدودها القصوى مفارقة معلنة له هنا بالذات تأتي ضرورة تدخل الأولياء والصلحاء، لإعادة التوازنات العامة عن طريق إعادة إحياء المقدس وتنظيم العلاقة مع الغيب عن طريق المصالحة المطلوبة بين الأرض والسماء، أو بتعبير أدق بين الإنسان والله وتبقى كتب المناقب وتراجم الصلحاء تقدم لنا الكثير من الأمثلة في هذا الإطار، وإن كانت الأسطورة الفعلية لهؤلاء الأولياء والصلحاء، وقدراتهم الخارقة لا توجد في الكتابات مناقبية تلك، بل في عقل الجمهور وهنا بالذات تأتي قيمة وأهمية الكرامة الصوفية من حيث هي خطاب مرمز له من القدرة إقناعية ما يؤهله لاكتساح وإثارة المخيال الاجتماعي لذلك الجمهور.

لقد احتل مفهوم الكرامة الصوفية في هذا الإطار مكانة محورية، فهي اللغة التي كان الصالح يخاطب بها جماعته، ويقدم من خلالها نفسه إليهم كولي من أولياء الله وهنا ينبغي التأكيد على ذلك الارتباط الوثيق الذي حاولت الكرامة الصوفية أن تؤسس له وتحافظ عليه كارتباط من جهة بالمحلي وما يكثفه من خصوصيات ومعتقدات شعبية خاصة باعتمادها لغة رمزية تقوم أساسا على إثارة المخيال الاجتماعي، وغزوه للواقع. ذلك المخيال الذي يقدم نفسه كرجفة حقيقية للفرد من اجل القفز خارج

الذات، والإفلات من كل الفوريات Les hic et nunc ، التي تحاصره وفي هذا الإطار، شكلت اللغة الرمزية من داخل الكرامة وضعا أشبه ما يكون بإجراءات هروب، وثبات أو إقلاعات تطلب من المستحيل أن يجعل انتصارا على الواقع أمرا ممكنا، أما على مستوى آخر ومن جهة ثانية فقد حاولت الكرامة الصوفية أن تحافظ على ارتباطها بما هو أشمل، بالدين الذي حاولت أن تحذر من داخله، وفي إطاره مشروعية لغتها وخطابها المرمز هذا، علاوة على ذلك فالدين بنصوصه ووظيفته النفسية– الاجتماعية يهيئ الذهن لتقبلها بناءا على ما تقدم، يمكننا الخروج باستنتاج هام، فسواء تعلق الأمر بارتباط الكرامة الصوفية **وتجذرها الدينيين –كقاعدة للمشروعية، أو بارتكازها "كخطاب إيديولوجي** على الخارق والمدهش، الذي قد يجد طريقه إلى القبول والالتفاف المحليين، فإن الهدف واحد: ألا وهو تكثيف رموز السلطة من داخل فضاء الممارسة الصلحاوية –**Maraboutique** كسلطة روحية/ رمزية بالأساس.

لكن ينبغي التنبيه هنا إلى انه ليس بالإمكان فهم طبيعة تلك السلطة الرمزية/الروحية وكيفية اشتغالها إلا من خلال **رصد الحضور التاريخي والمضمون السوسيولوجي لحركة الصلحاء** ، وهذا ما يمثل إحياء المقدس الذي هو الدين، وذلك من خلال الوقوف على نماذج حية من تاريخ الحركة بالجزائر في العصر الوسيط ثم الانتقال أيضا إلى مساءلة بنية السلطة من داخل تنظيم الزوايا كأرقى ما شهده تطور الحقل الصوفي، خاصة وأن الزوايا قد استثمرت بشكل جيد رموز الصلاح، كرموز سلطة بالأساس.

2. أسباب و دوافع القيام بالطقوس :

تعتبر التمثُلات الدينية أكثر دافع للقيام بالممارسة الطقسية مع أن عوامل النفسية والاجتماعية والثقافية كذلك لها دور الأوسع دلالة **من داخل وخارج فضاء المقدس** كالتقاء وتقاطع مع فضاءات وحقول أخرى من الممارسة الاجتماعية،السياسية، وإذا كانت فرضية العودة إلى الأصول كعودة محكومة برغبة في تحديد الولادة لها ما يؤكدها من داخل مسلك التصوف، فإنه ينبغي التذكير أيضا، بأن هذه الفرضية لا يمكن فهمها إلا على ضوء فرضية أخرى، وهي **فرضيةِ الذنب المؤسس للوجود البشري على الأرض** بحيث سيحظر هذا الهاجس **الذنب** بشكل لافت من داخل الممارسة الطقسية بل أكثر من ذلك سوف يشكل القوة الدافعة، التي تفسر منطق تلك **لحرب المرتدة** التي **يخوضها المُريد ضد نفسه** في إطار تجربة روحية عسيرة ، فماذا عن هذه التجربة إذن ؟ وماذا عن المنطق الذي يحكمها ؟

من منظور ديني، قد يبدو العالم الدنيوي منقسما على نفسه، تتنازعه قوتان متصارعتان، وهذا ما تجسده فكرتا **الخير** و**الشر** فعلى الرغم من بعض الاختلافات فيما يتعلق بالتصورات الخاصة للخير والشر فإن معنى هذا التعارض الجوهري ومداه كونيان >، وقد وقف الباحث **ميرسيا إلياد** مليا على هذه الفكرة في إطار دراساته حول عدد من ممارسات الطقسية والأساطير، وفي حضارات مختلفة، بحيث أن وجود الإنسان في هذا العالم **الدنيوي** الفاني كان نتيجة لضعف أمام قوى الشر، أو خطأ ارتكب من طرف أب

وهذا ما أضاع على الإنسان نعمة الخلود، و **حميمية العالم العلوي** كعالم للحقيقة والخير المطلقين، لعل هذا ما يذكرنا أيضا بقصة سيدنا **آدم عليه السلام** مع **إبليس** كما جاء في القرآن الكريم . من هذا المنظور إذن فإن هناك ذنبا مؤسسا للوجود البشري على الأرض، وجود يمكن اعتباره كضريبة عن خطأ ما، خطأ سيرسم البدايات الأزلية لتراجيديا الإله المفارق، كما أن هذا الوجود، هو وجود محكوم بتنازع مستمر بين هاتين القوتين الأزليتين: **الخير والشر** وإذا كانت مقولة الشر في الديانة الإسلامية قد تأتي مرادفة لـ "الشيطان"فإن التصوف الإسلامي قد أعطى مضمونا فلسفيا وعمليا لذلك الصراع الذي يخترق النفس الإنسانية، وحدد بذلك السبل مسلك لقهر ذلك الشر **الشيطان** ليس بغريب إذن، أن يرتبط التصوف في الإسلام بالإلحاح على موضوع **النفس** وضرورة تطويعها ومراقبتها ويبقى هذا النص **للإمام الغزالي** جد ناطق في هذا الإطار: " **اعلم أن أعدى عدوك، نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء، ميالة إلى الشر، فرارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها، ومنعها عن شهواتها وفطامها عن ذاتها** (...) **وفي حديث نبوي أيضا، فإن " الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم"**.

إن تلك حرب ارتدادية نحو الذات تؤكده، فرضية الإحساس بالذنب من داخل الممارسة الطقسية كممارسة تنشد التخلي نهائيا عن كل وسائط الارتباط والانشغال بالدنيوي، ومحاولة السمو نحو الأعلى كما أن تمثل العامة لجسد الولي الصالح كجسد لا يتفسخ بعد الموت لأنه أصلا لا جسد له لقد حسم معه أثناء حياته، مارس في حقه القتل والمحو، كما أن جسد الولي الصالح وفق ذات التمثُّل اشمل وابعد من أن يختزل في عضويته في هذا الإطار إذن وفي نطاق إحالتها على الروحي، فإن حقيقة الإنسان هي حقيقة مقدسة وهذا **التقديس بالذات، هو ما كان ينشده المريد بل هو الرأسمال الرمزي"** الذي سيكسبه عبر رحلته معراجية، والذي يفسر **سر** هيبته ونفوذه الروحي، ويعبر عنه بالممارسات الفعلية داخل حقل المقدس لأن تلك الخرافات الشعبية لها سطوة الحقائق العلمية وهذا سبب رسوخها في المجتمع، أما من خلال الملاحظة المشاركة ومن خلال المقابلات فإن أغلب إجابات حول الدافع الرئيسي لهذه الممارسات الطقسية اعتبارها **واجب وأمانة**، ولها **علاقة وطيدة بالدين** وهذا حول ممارسة الوعدة أما المشاركين في زيارة يرون أن دافع للزيارة هو **بركة الولية** ومكان الولي فيه **بركة كبيرة**" هو **وعد** ورثه عن أباه وأجداده حسب تعبير العديد من زوار، ويره البعض أن الطقس هو ماهو إلا رمز **للقيمة الولي**، لأن كما قلت سابقاً أن إحياء المقدس هو تكفير عن ذنوب وخطايا والخوف من آثار المقدس في المستقبل وأن كثرة الزوار ما هو إلا تثبيت للتمثُّلات الذهنية الجماعية من مختلف الأصناف، لأن الولي يعتبر حلقة وصل بين الزائر والله سبحانه وتعالى حسب تصورات الجميع، **الولي** في القاموس الصوفي هو **الواصل** الذي وصل إلى مقام المشاهدة باعتباره **أعلى مقامات القرب** ، وقد يتطابق المعطى المعجمي أيضا مع التحديد الصوفي، من

حيث التركيز على معنى القرب هذا وإذا كان **الشيخ الجزولي** قد اعتبر **المشاهدة كمقام للمنتهين** فعند حدود هذه **النهاية** إذن، يحدث ذلك الانبثاق أو الولادة الجديدة ويصبح **الولي** كموضوع لهذه الولادة، هو ذلك الشخص الذي حقق توحده مع الله، وبلغ **مقام الفردية أو الواحد** الذي هو موضع نظر الله في كل زمان عليه تدور أحوال الخلق، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد وأن كل كراماته لا تزال حاضرة وقائمة وفعالة حتى بعد الممات، ويبقى الدافع الديني والنفسي في تمثلات الممارسين هو الهدف أكبر لهم ، ففهم الناس للدين واستيعابهم لأوامره ونواهيه وقيامهم بتنفيذها، كل ذلك يتأثر بالمستوى الفكري والاجتماعي والاقتصادي للناس ... ويطلق علماء الاجتماع على شكل الاستجابة الشعبية للدين اسم التدين الشعبي أي الدين كما يفهمه البشر ويستوعبونه وليس الدين كرسالة سماوية.

III .الممارسة الطقسية في فضاء الصاليح وإحياء حضرة المقدس :

تبقى الممارسة الطقسية في المرحلة النهائية عملية إزالة الشعور بالذنب، فالناس يصرفون فيها انفعالاتهم لأنهم يتقربون فيها من المقدس الذي يكتسب منه المؤمن التفكير عن خطاياه، بالإضافة إلى ذلك يتضمن الإيمان بالمجمع الإلهي الذي يفرض العودة إلى الطقس في فترات منتظمة يتضمن التعهد بالانجاز نرجسية الأنا بمنأى عن كل ماهو موزون، حيث أن المقدس يدرك البؤس في كل متغيراته ويؤمن مساراً وجودياً محباً للخير كما يرى ج. **انيكان** (**Z. Annequim(1973** الذي يؤكد في اعتباره أن كل طقس وكل تعزيم يعبران أولاً عن إرادة القوة، وإذا كان صحيحاً أن السحر هو قبل كل شئ سلوك، بحث وتأكيد لتقنية امتلاك العالم إذاً وعلى هذا الأساس يتضاعف دوره المطمئن "إزالة الشعور بالذنب وطرد الأذى" .

1.أسباب استمرار الممارسة الطقسية في حقل الزوايا

تُشكل رؤية ضريح **الحاج محمد** مؤسس زاويا عين السخونة على قدر من أهمية حيث يمثل أحد أولياء الله في التمثلُات الجماعية مما له من قصص وكرامات ومع دوره الكبير أثناء الثورة التحريرية ومكانته العلمية والفقهية وطول زهده حيث اختار مجال خاص لممارسة خلوته الصوفية بداخل قبة تحت الأرض تسمى إلى الآن **خلوة** وهي في حد ذاتها تعتبر مكان مقدس، حيث يمكث فيها طيلة فصل الشتاء يخرج مع بداية الربيع، لهذا كانت تقام له **ركب من مريده** أي من أتباعه أغلبهم من مناطق الجنوبية البيض وضواحيها،حيث قبل اعتكافه في الشتاء تقام له **وعدة تسمى الشتوية** بمناسبة دخوله للاعتكاف حيث كان يقوم الليل لطوله ويصوم نهاره، وعند خروجه مع حلول فصل الربيع تقام له **وعدة تسمى الربيعية** أو **بالربيع الصالحين** بمناسبة خروجه، هذه الطقوس الممارسة للحد اليوم في محيط زوايا، أما الممارسات الأخرى أثناء الزيارة فهي لا تختلف كثيراً عما أسردته في وصف، من زيارة الضريح الولي وقراءة القرآن الكريم

وتقبيل القطعة القماش التي هي فوق الضريح ثم توجه إلى خلوة أحياناً وإن كانت مخصصة أكثر للنساء وللمرضى.

أ) **شكل الممارسة الطقسية "للوعدة"**

تُشكل الوعدتين" **الشتوية"والربيعية** حدث هام لدى مريدي الزاوية وكل أتباع الطريقة الشيخية وتعتبر الوعدة **وعد للإكرام** للمؤسس الزاوية الحاج محمد وبه يتم إحياء المقدس في فضاء الصاليح لجني ثمار في المستقبل سواء ايجابيا بالاستجابة للدعاء وفضل المحصول الزراعي، ونجاح التجارة والأولاد والصحة .... وتجنب المصائب بتلك الممارسات الطقسية، كما يشكل طريقة بيع **حق الشيخ** مثل المزاد العلني لقدسيته ومن يشتريه يبرر على شدة حبه للشيخ، وإن كان ذلك الحق يقسم على أشراف وأحياناً يهدى للشيخ الحالي، تشتق كلمة **الوعدة** في اللغة العربية من فعل وعد التي تعني **تعهد بشئ ما** أخذ على عاتقه شيئاً ما.تعتبر لدى الجماعات المحلية معتقدة في كرامات المقدس، نوع من الممارسة الطقسية تستدعي احتفالاً جماعياً يكتسي فيه قيمة سوسيولوجية وتُقام في حقل الزاوية مرتين في السنة وتعرف **الشتوية والربيعية**.

لم تقام هذه الوعدة لمدة **02** سنتين بسبب جائحة كورونا لكن أُقيمت حضرة [12]، لكن من خلال مقابلة مع عدة مريدين ومع الشيخ الزاوية الحالي الشيخ حمو الطيب تمكنت من أعرف كُل المراحل تشكل الوعدة داخل فضاء الزوايا والتي تستقدم للتبرك منها عدد كبير من الأشخاص سواء من المنطقة أو من مناطق عديدة أغلبها من الجنوب الغربي، حيث تعتبر هذه الوعدات مثل قضاء الدين على عاتق أحد ولإيجاد حلول لمشاكلهم، كما يقول "**باستيد**"(**1972**) يلتمس الناس مساعدة هؤلاء الأولياء ... سوف يؤدي بهذا الإيمان بقدراتهم و سلطتهم إلى استخدامهم كوسيط حينما يتوجهون إلى الله، كما لو أن احتمالات استجابة الرغبة الملتمسة من الله باسم الولي هي أكبر منها باسم الشخص الذي يلتمسها" [13] ويتم تنظيمها على شكل من تبادل الأدوار داخل الجماعة، وتشترك فيها عائلات عديدة ميسورة الحال، وباصطحابها مواد غذائية خاصة من الدقيق، الحلوى، التمر من نوع "**الحميرة**" [14] وأضحية ويوجد البعض العائلات تقدم مساعدة المالية مباشرة للشيخ. حيث يقوم أهالي الزوايا في غالب بالمهمة تحضير الطعام، حيث يعطى تمثل أخر وهو "بركة أهل الزوايا" تضيف قدرة روحية على الكُل "حيث يتردد القول طعام شرفا" أي تقديم له نوع من القدسية حتى أنه قِيلٌ لي" **أنه لا ترجع حبة واحدة من الكسكس** منح **قدسية** و **البركة** على **الكسكس** لأنه خاص ، حيث تحضر الوعدة أسبوعاً قبل انطلاقها ، وتستمر يومين من ليلة الاثنين حتى ظهر الأربعاء أو من ليلة الخميس حتى ظهر الجمعة، ويشتمل اليوم الأول على توطئة، في غالب تأخذ على

---

12 . **حضرة** : نوع من الطقوس تتردد عدة أذكار على طريقة الشيخية

13 . د. نورالدين طوالبي "الدين و الطقوس و التغيرات" د.و.م.ج الجزائر 1982 ص 143

14 . **الحميرة** : نوع من تمر يستهلك كثيراً في مناطق الجنوبية و هو يمتاز بطول صلاحيته طول سنة لهذا يُخزن دون أن يتعفن

الشكل **الحضرة** ويعطى لها شأن ديني وتتمثل في قراءة لأذكار وأوراد على طريقة الشيخية سبق شرحها في المبحث السابق.وفي فجر اليوم الموالي ، تبدأ مراسيم الاحتفال الطقسي بحضور عدد كبير من الزوار ويتم نحر عدد كبير من المواشي، وفق تجليات الحاضرين، وأحياناً يتم نحر هذه المواشي مسبقاً مع وصول الوفود إلى الاحتفال **بالوعدة** ، وتستمر عملية ذبح حسب عدد القادمين.حيث في هذه الأيام لا ينقطع الذكر والمدائح، والترتيلات، والأشعار الشعبية يسمى في المنطقة بالقوال، وبعض الدروس أغلبها حول كرامات الأولياء ومعجزاتهم ، على أن يقدم الطعام هو نوع من الكسكس فوقه اللحم ، في شكل جماعات توحي بوحدة القدسية المكان واحتفال والطعام ككُل، وتغدو مشاركة في الوعدة نوع من إحياء دور المقدس في الولاء والطاعة وهذا ما لمسته فعلاً من خلال المقابلة ومن خلال ملاحظة المشاركة داخل فضاء الزوايا وفي أخير يمكن القول أن الممارسة الطقسية وضرورة إحياء المقدس **ضرورية، لماذا ؟** إن تمثُلات الجماعية للوعدة كما يقول حفيد الشيخ: هدف من وعدة الشتوية هو دخول الشتاء والمعروف منه طول الليل وقصر نهاره والصالحون يستعدون فيه للقيام الليل وصوم نهاره ، أما الربيعية تعرف بالربيع الصالحين وتُعبر عن نهاية فصل الشتاء وبالتالي خروج الصالحين واستعدادهم كذلك للصيام والقيام، وكان المؤسس الزاوية "الحاج محمد" يقوم بذلك في خلوته الموجودة حتى الآن وبالتالي فإن التمثلات الجماعية تتجلى في هذه الخصائص التي تعتبر كرامات مقدسة حتى نكرم صلاح يجب القيام بهذه الوعدات كما أكده أحد المبحوثين، كما أن وجود الخلوة إلى اليوم تعتبر من حفريات المقدسة كمرجعية أثرية دينية، بها تستلهم الزوايا ذهنية والشوق المردين وبها تثبت للجميع حقيقة الكرامات الولي ومرجعية تاريخية لهذه الوعدات وعليه تستمر هذه الممارسة، مع استمرار زيارات اليومية لهذه الأمكنة التي تتكثف حولها القداسة من الجميع من أجل الراحة النفسية.

ب) **طرق العلاج في حقل الزوايا:**

بعد الملاحظات التي استقيتها من الواقع الصحي لعدد كبير من الزائرين و أماكن التي يسكنون فيها حيث أغلبهم من المناطق الريفية ، يمكنني تقسيم الممارسات الاستشفائية إلى الوقائية والعلاجية

أولاً : الجانب الوقائي

يؤخذ إحياء المقدس في فضاءات الصاليح شكل وقائي مثل اخذ حفنة من التراب الضريح من حول فضاء القبة من قبل أي شخص سليم، قصد التبرك والوقاية من مرض متوقع وللوقاية من الأفاعي، وأحيانا يؤخذ قطعة من القماش الموجودة فوق الضريح يحملها الشخص معه تحميه من العين والمرض.كما يستعمل لقب الضريح للوقاية، وهذا ما لاحظته انتشار اسم **الولي** كثيراً في المنطقة وبعض الذين أستوجبهم يسمون أولادهم على المؤسس الزوايا، وذلك يُمثل لديهم أن اسم يحفظ أولادهم من أعين الأنس والجن وهذا ما يسمى **النقي** ويقول العديد منهم إننا نسمي أبنائنا لأعدائنا والتسمية القصد منها أخذ البركة من الولي المقدس والحفظ والخير،ولهذا يتم إحضار المقدس في التمثلات الجماعية عن طريق هذه الطقوس.

ثانياً : الجانب العلاجي

من الممارسات الطقسية العلاجية هي طريقة **النشرة** وهي تختلف عن التي هي معروفة في الشرق خاصة في قسنطينة، حيث تعتبر النشرة في هذه الأماكن نوع من عملية طقسية من عملية سحرية مثل ذبح طير اسود بخور، هي عملية مقيدة بغرض خاص من نزع عقدة سحر، العقم، العجز الجنسي بما يسمى مربوط خاصة ليلة الزفاف (...) حيث تختص هذه العملية بداخل الضريح بنوع من طواف خاصة للمريض أو المصروع مس من الجن ثم يفرش له بداخل الخلوة وينام فيها ليلة واحدة حسب ما هو شائع أن الكثير من هذه الحالات بعد قيامه ليلة داخل الخلوة يصبح معافى وهناك طريقة أخرى للعلاج تتمثل في إعداد رقية تسمى **بتسبيبة** وهي وصفة حسب كل مرض أو علة أو مشكلة نفسية أو عقدة أو أي شئ حيث يقوم في غالب الشيخ بقراءة علة نبتة الشيح وهي نبتة موجودة كثيراً في صحراء توضع في قهوة، ولها لذة جميلة ثم يضع الشيح بعد القراءة عليه في الماء قد يمسح به المريض على مكان الألم ويشرب منه، كما يوجد طريقة علاجية أخرى وهي حرز حيث يوضع شئ من تراب الضريح أو تراب الخلوة في قطعة القماش الموجودة بداخل الضريح و يحمله معه الشخص سواء سليم أو مريض أو يعلق في المنزل، و هؤلاء المرضى والزائرين في غالب يقدمون للزاوية في غير مواسم الوعدات، كما أن الشيخ الزوايا أحياناً يقوم بكتابة حرز على ورق للمريض سواء يعلقه معه أو يمسحه في الماء يشرب منه أو يوضعه على مكان الوجع ، وتقدم للشيخ مبلغ من المال كرامة له ، وهذا المبلغ يعتبر في تمثلات الجماعية ضروري حيث قد لا تنفع تلك **تسبيبة** أي كتابة إذا لم يقدم مقابل لها.

كما لاحظت وجود ممارسات العلاجية في حقل الولي تخضع لمقاييس معينة، منها الممارسات العلاجية التقليدية، خاصة بالأطفال في مقابل الطب الحديث، وأخرى للكبار سواء ذكور أو إناث. وتأخذ هذه الممارسات العلاجية الخاصة بالأطفال وأمراضهم سواء الجسدية أو النفسية، وتنقسم هي كذلك إلى **الجانب الوقائي**:حيث يوضع على طفل ما يسمى بـ **الودعة** وهي تميمة تعلق في ثياب أو في خيط وتوضع على جسم من فوق مباشرة يجب أن تظهر للعيان وهي وقاية من العين، **أما الجانب العلاجي** خاصة تعالج الأعراض التي لها تفسير سحري تقليدي مثل ما يسمى بـ : **أخت الصغار** وهي مرض يشبه إلى حد ما الصرع الطفلي، حيث يتم الشفاء بزيارة الضريح، كما يوجد مرض أخر يفسر بطريقة الشعبية بمرض **الليل** وهو إسهال الحاد حيث يأخذ البعد الرمزي في زيارة وتراب الأولياء دور كبير في تمثلات الزوار.

2.أسباب استمرار الممارسة الطقسية في حقل الصلاح

حاولت أن أبحث عن أصل هذه الممارسات، وكيف رسخت لدى العامة على أنها جزء من العقيدة، حيث يشير الباحث **صامويل شليكة** [15]عما هو معتقد من صفات يمكن إدراجها ما يطلق عليه التدين الشعبي، ويشير الباحث إلى ارتباط هذا التدين بمستوى اقتصادي وعلمي معين، وأن من يمتلك رأس مال أكثر أقل اعتقاداً بمثل هذه الممارسات وأن الوسط الاجتماعي النموذجي لهذه المعتقدات هو وسط لقرية أو المدينة القديمة أو التجمعات السكنية العشوائية، كما يؤكد على أن هذه الممارسات تنتشر بكثرة بين النساء لأسباب كثيرة لعل في مقدمتها تفشي الأمية والجهل وسعي الكثير من النساء في طلب الزواج والخصوبة .... غير أن الواقع يثبت عكس ذلك إذ أصبح أكثر إحياء للمقدس من الفئات الغنية وذو الجاه و المال و حتى أصحاب المراتب السياسية العليا في الدولة.

كما أن لكل شعب عاداته ، المرتبطة بممارسات عاداته التي نشأ فيها من خلال ظروف تاريخية معينة متأثرة بالبيئة والمناخ ، وللمجتمع الجزائري طبيعته الخاصة ، فهو يميل إلى الفرح والاحتفال بأي مناسبة على طريقته ، ويقدس أولياءه ويقيم لهم **الزردات** أو **وعدة** ولهذا نجد هذه احتفالات منتشرة بكثرة في مجتمعنا دون الجزيرة العربية ذات البيئة القاحلة حتى قيل أن الأنبياء في المشرق و الأولياء في المشرق.

المعروف أن هذه الطقوس أصلها متوارث عن شعوب قديمة نقلتها المواكب الرحالة والأجيال المتعاقبة من مكان إلى آخر، ومن حقبة زمنية لأخرى وأعطتها صبغة الدين يقوم عدد كبير من أفراد المجتمع بزيارة الأضرحة والتبرك بأولياء الصالحين أملا في أن يكون ذلك خيراً ينالون به **بركة** هذا الشيخ الزوايا أو ضريح الولي الصاليح، وهذه طبائع موجودة لدى عدة الشعوب ومنتشرة بين جميع الأوساط العلمية والاجتماعية ، لأن الخرافات و الأساطير و الكرامات لها سطوة على الحقائق العلمية في تمثلات الجماعية وهذا هو سبب رسوخها في المجتمع التي تنشأ فيه، وتبقى تلك القصص والكرامات أكثر تأثير على مخيلة الجماعية في استمرار الممارسة الطقسية في فضاء المقدس،حيث تبقى تلك القدرات الخارقة لمقدس وكراماته الغير عادية التي كانوا يأتون بها في حياتهم راسخة في تصورات الجماعية على أنها حاضرة وفاعلة حتى بعد الممات ولهذا يُقبل الناس على زيارة أضرحة ويقدون لها أضاحي احياءا للتظاهرة الطقسية الدينية جادة.

أ) شكل الممارسة الطقسية "للوعدة"

تُشكل الوعدة حدث هام لدى ممارسيها، وفي مخيلة الزوار لكن تبقى حسب قدر وأهمية كل العشيرة كل ضريح يكون البناء وشكله من حيث السعة والكبر والزينة وكذلك من عدد الذين يقومون بالتحضير **الوعدة** ، إذا كانت أغلب وعدات الصلاح يغلب عليها الطابع العصبية، حيث كل عشيرة تريد أن يكون احتفالاها بمناسبة الوعدة أحسن لأنها تمثل حدث عائلي أي أن صاحب الضريح يعتبر **جد** حيث العديد من قابلتهم وسألتهم عن سبب إعداده للوعدة يرد دون تردد إ **نها وعدة جدي** ومن الزوار

15 . **صامويل شليكة** " **ما الشعبي في المعتقدات**" ترجمة إبراهيم فتحي ، مجلة فصول عدد الصيف خريف ديسمبر 2001

كذلك يتبنى هذا القول، كما يلعب التفاخر أهمية كبرى في استمرار هذه الظاهرة حيث كُل شخص يريد أن يفتخر بإعداده وحضوره للوعدة ينتسب إليها كما أن عقدة الذنب لا زالت قائمة على هذا الأساس يتضاعف الشعور بالراحة والاطمئنان بعد أداء هذه الوعدة وكأنه تخلص من **عقدة نفسية وطرد الأذى** . ومن خلال الملاحظة والمشاركة في هذه الطقوس عبر **وعدات** ، فهي لا تختلف كثيراً حيث تأكدت من أن القائمين بهذه الوعدة كُلهم لهم علاقة بضريح سواء من عصبته وهم غالب، وبعض القليل من مريدي أي خادمي الضريح أخذوا العهد عن أجدادهم لأداء هذا الواجب المقدس في تمثُلاتهم وهذا نجده كثيراً في **ركب سيد الشيخ** حيث حسب القصة أن كُل من كان حاضراً في ركب من وهران مكان استشهاد الشيخ إلى **ستيتن** بالبيض إلى مكان دفنه أخذوا العهد على أن يقام له ركب، أي يُرحل القوم من تلك المناطق التي مر عليها موكب الشيخ إلى مدفنه حيث تقام له **وعدة**، وتوارثه الأبناء عن الأجداد هذا الإرث الذي يعتبر إحياء **للمقدس** لا يمكن تنازل عنه، أما الوعدات أخرى اغلب أنها موروثة حيث أن كُل من كان يحي هذه الوعدة هم في عداد الموتى وبقى أولادهم ونسائهم يحيون هذه الوعدة وتعتبر إحياء للذاكرة ماضية أغلبها حلوة.أما ذبح الأضحية يكون عند قدوم مباشرة، بعد نصب الخيام حتى تتلذذ العائلة بشواء في البرية وحيث تبقى تلك نزوة الترفيه عن النفس موجودة عند كل النساء نتيجة عدم خروجهم كثيراً ولعدم وجود أماكن مخصصة لهم ومع الروتين الذي يعانون منه، أما الزيارة الولي فتكون بعد أن تنتهي من تهيئة كل اللوازم الضرورية ، وإن كانت إشارة إليه بمجرد دخول في حقل الولي بالنية كما قيل أمامي "سلام ، سلام ..." وكل شخص يقول ما يريد لكن لا يختلف الخطاب وفي غالب يكون السر، أما الزوار يتوافدون على الضريح ويقدمون زيارة للمقدم ويُطلب منه الدعاء، ويطوف حول الضريح وتمسح الوجوه على تلك القطعة القماش الخضراء وحمل كمية من التراب لبركة وأخذ قطعة قماش خضراء من المقدم للتبرك أما تقديم الطعام للزوار والضيوف ولا تنقطع الزيارة أبداً لهذه الأماكن طيلة السنة وإن كانت تعرف توافد عديد كبير من الزوار بمناسبة "هذه الوعدة" .

ب) **طرق العلاج في حقل الصلاح:**

لا تختلف طرق العلاج في حقل الصلاح عن طرق العلاج في حقل الزاوية لأنهم يمثلون نفس التصور لدى المخيلة الجماعية للمردي الأضرحة وللزوار، وكثير من الزوار من يزور الأضرحة الصلاح والزاوية في الآن واحد و أغلب الذين استجوبتهم لا يرون فرق كبير بين زيارة أضرحة الصلاح والزاوية بغية الشفاء إذ تعتبر النية الجادة الحسنة هي أهم شئ في قبول الزيارة وبالتالي الشفاء أو تقبل الدعاء أو تحقيق رجاء حسب التمثلات الزوار.

أولاً : الجانب الوقائي

يأخذ الجانب الوقائي نفس الدور الذي يأخذه في حقل الزاوية، خاصة بمناسبة "إحياء الوعدة" حيث يأخذ حفنة من التراب من الضريح وتوضع في قطعة القماش الخضراء خاصة من قبل الأشخاص أصحاء للوقاية من المرض أو العين و للتبرك ووقاية من الحسد، كما تأخذ قدسية اسم الضريح أهمية كبرى حيث ينتشر اسم الضريح بين أغلب ممارسي الوعدة وأغلب الزوار سواء اسم والي واسم زوجته، حيث يُمثل وقاية من العين وحماية من خطف الجن والتبرك باسم ليكون الولد مبروك مثل صاحب اسم ولهذا نجد الكثير يردد **لكان غير جي كلي حامل سماه** أي مثل صاحب اسم في حفظ القرآن ومعرفة بالعلوم الشرعية وهذه التمثلات نجدها كثيراً في أوساط الريفية.

ثانياً : الجانب العلاجي

يأخذ الجانب العلاجي طرق عديدة أمام أضرحة الصلاح خاصة في حالات المرض حيث يأخذ المريض إلى ضريح ويفرش له بجانبه وتُقام له **نشرة** أي يذبح له طير ويتم تحضير الكسكس ويأكل كُل من جاء للزيارة في ذلك يوماً وتقدم زيارة للمقدم ويأخذ كمية من التراب الضريح وتوضع الشموع داخل الضريح التي تُمثل في ذهنية الجماعية أنها سوف تنور لهم طريقهم ومن يعتقد فيها أن إن كان شئ من السحر أو عقدة سوف يحترق ومن يعتقد أنها عادة لإنارة مكان فقط، وإن كان للشموع تاريخ منذ وجود الاستعماري واتخاذ نصارى الشموع لكنائسهم، فتأثر كثير بهم وأصبح يأخذ الشموع لزيارة لأن أغلب زيارات تكون في وضح النهار. وتؤدى نفس الطقوس التي تم ذكرها في سابق في حقل الزاوية، حيث تلمس الأضرحة وتمسح الوجوه بقطعة القماش، وتعظم الشعائر في فضاء المقدس وتكون النية خالصة وقوية بالتعبير و الخشوع مع تقديم الزيارة لمقدم وللمتسولين الحاضرين وإذا تحقق ما جاء من اجله فسوف تذبح شاة لولي كل سنة خاصة في حالة **إنجاب** ،وما لاحظته في وحقل **سيدي خليفة** وجود بركة من الماء بجانب الضريح يتم تعظيمها **مرض جلدي** ثم يلبسه لبركة فيشفى حسب رويات كما أن الكثير من يسبح فيه لتنقية من السحر أو مرض، كما يأخذ كمية منه في قارورة لوضعه فوق **حبة** أي جرح أو برص أو علة، لم يفعل لها الطب الحديث شئ.وإن كانت نفس التصورات والممارسات العلاجية التي ذكرتها في سابق، إلا أن اختلاف يكمن في وجود حفريات بين الأضرحة ووجود أماكن تم تقدسها من طرف الزوار مثل البركة الماء وأحياناً يعتقد الناس في ضريح دون أخر نتيجة اختلافات في أساطير و كرامات المختلفة بينهما حتى أصبح كل ضريح متخصص في مرض ما مثل أن تسأل شخص عن عدم شفاء من مرض ما يوجهك إلى والي فلاني ويذكر لك قصة أن فلان كان ... و زار ... و هو الآن بخير، هذه القصص و الروايات تُمثل سطوة حقيقية في أذهان الجماعية لا يمكن تكذيبها لأن تكذيبها هو افتراء على المقدس صاحب الكرامة **الولي** وبالتالي تكون سبب في استمرار بممارسة الطقسية. ففهم الناس واستيعابهم لهذه الكرامات وأساطير تأخذ بُعد فعلي وتنفيذي ، وكل ذلك يتأثر بالمستوى الفكري والاجتماعي والاقتصادي

والثقافي للناس... ويطلق عليه علماء الاجتماع على شكل استجابة الشعبية **لتدين الشعبي** كما يفهمه الناس ويدخل في العادات والتقاليد وإن كان يأخذ بُعد ديني في التمثلات الجماعية .

3. الأدوار الطقسية في الممارسة العلاجية:

لقد عرفنا أن الطقس هذه كلمة المشتقة من اللغة اليونانية **Ritus** التي تعني بدورها مجمل ما أعتاد عليه الفرد أو المجتمع ، وكل أنواع الاحتفالات التي تُعبر عن معتقدات تكون في الخارج اطر التجربة، أو إعادة لصنع ماضٍ غامض غالباً ما يأخذ شكل الأسطورة، فهو بعبارة أخرى سلوك فردي أو اجتماعي يتكرر كل مرة حتى يضمن لنفسه البقاء، فهي إذن تجربة مقدسة ، يسعى أصحابها دائماً إحيائها.

4. الإطار العلاجي في حضرة المقدس :

تقوم عملية الطقسية في فضاء المقدس في شكل من الممارسة منتظمة بداخلها، الكُل المعقد المشتمل على معتقد لمريد أو الزائر أو المريض واتجاهاتهم وممارستهم للأدوار المصاحبة لمفهومات خاصة حول المقدس من فعاليته وقدرته على تحقيق عديد من الأمنيات وشفاء الأمراض المستعصية وإحياء القدسية للصاليح **المقدس** وتوسطه عند الباري عز وجل، ويتم ربط هذا التمثُل بالدين علامة على تعظيم **المقدس** من منطلق قول **سجموند فرويد** أن التحليل النفسي مستمد من الطريقة الصوفية، يمكننا أن نضع ملاحظة مقارنة وصفية للإطار العلاجي الذي يقام فيها استشفاء المرضى، خاصة ذوي العاهات العقلية ، في زاويا الحاج محمد بعين السخونة والخاصة العمليات التي تحدث بداخل **الخلوة** ، و بمثيلتها في الطب الحديث.

المقارنة	العلاج الحديث	العلاج التقليدي
الإطار العلاجي	العيادة، السرير	مكان مقدس، القيمة فضاء في مخيلة المريض
الضوء	الخافت	الخافت
وسيلة العلاج	التنويم المغناطيسي أو الإحياء الحر	التعزيمات مع قراءة القرآن
وضعية	العلاج التحليلي	العلاج التقليدي، مع إحياء المقدس و كراماته
العقد	التحليلي أو علاقة محلل – مريض	العقد المبرم بين مريض و الشيخ أو مُقدم أو فضاء مكاني أو الروحي

ما نستنتجه أن الإطار العلاجي الذي يختص بالأمراض النفسية لا يختلف كثيراً عن مثيله في الطب التقليدي **زيارة المقدس** إلا أن السؤال المطروح هو: كيف يحتاج الإنسان إلى إحياء المقدس والعملية فعلية طقسية من اجل الشفاء ، في مقابل الطب النفساني؟ أهو تلك الكرامات والأساطير التي تُروى عن هؤلاء

"الصلاح" أم راجع للتمثُلات الجماعية أو عوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية.إن ما لمسته ولاحظته يؤكد أن سلوكات الممارسين لهذه الطقوس وخاصة العلاجية وموقفهم تجاه الطب الحديث يؤهل تدخل الموروث الثقافي والطب الجماعة بشكل عميق في توجيهه وإرسائه على نطاق يشمل تقريباً كل المعتقدين في قدرات الخارقة **للمقدس** بشكل عام وفضائه ككل خارجي وداخلي ، وبرغم من ملاحظتي أن هؤلاء الزوار يترددون كثيراً على العيادات الطبية الحديثة وتلقيح أطفالهم لكن هذا لا يمنعهم من توجيه نقدهم وبعنف له سواء لسوء استقبالهم بالعيادات ومستشفيات أو نوعية الإرشادات التي تقدم لديهم وخاصة انتشار المحسوبية أو مع تأكيد أحياناً من طرف الأطباء بترك تلك الازدواجية في المعالجة التقليدية والحديثة أو ما يعرف بالطب الشعبي **دوا العرب** وحثهم على إتباع أوامر الطبيب.

وهذه المعاملات كفيلة بأن تزيغ كثير من لديهم ميل وتمثل في اعتقاد كثيراً في أضرحة الصلاح وخاصة بعد أن يفشل الطب في تفسير عديد من الأمراض أو يطول مدة المرض مع أن الدواء أحياناً يأخذ وقت طويل من مداومة وإتباع وتحاليل تجعل الشخص ييأس ويرجع إلى ميوله النفسية وبالتالي يحي تقاليد كانت ميتة إلى وجود وهذا ما تأكد منه من خلال مقابلتي عديد من أشخاص داخل زوايا أن الطب أحياناً يفشل في علاج كثير من أمراض خاصة **الصرع** وأمراض العقلية وإنجاب في حين يستشهد الشيخ الزاوية بفعالية زيارة لدى الصلاح حسب النية الشخص واستعداده في اعتقاد جدية الفضاء المقدس في الشفاء، والثقة الكبيرة فيه وهذا ما يؤكده **فرويد** بقوله: **موضع الثقة** ؟ وخاصة عندما يحاول الأطباء أو أشخاص في تشكيك في إمكانية الشفاء بعد الزيارات، حيث يعتبرونها ممارسات طوطمية، خرافية .

هذه الثقة ولدت لدى العامة فضل فعالية المقدس نوع من المقاومة وروح عالية من النقد والتشكيك في الطب الحديث لا لشئ إلا لبقاء فضل المقدس وسمعته قدراته الخارقة وكراماته واسعة وفعالة حتى بعد مماته

كما أنه جزء من كيانهم إنه جدنا كما يقول البعض بقولهم هذا تأكيد، ويؤكد البعض أن أمراض مثل الخطف والاستحواذ والعين الشريرة وجنون، والصرع، والعقم يتم شفاءه بزيارة فضاء المقدس وبتعزيمات خاصة وبالنية الخالصة للولي الذي هو المقدس وأنها تتطلب في تمثُلاتهم رجل صالح، وهو أحد أولياء الله وأنهم واسطة بين الله وبين مستغيث بهم مما له من قدرات وكرامات وأصبح قطب وتعدى براهين الطب الحديث ، وبالتالي فإن الطبيب النفساني لا يقارن مع بركة الولي، لأنه مستمدة من الله أما الطب فقد يشفى أو لا وثير من مرضى لم يشفوا خاصة **أمراض العقلية** ، فالفضل **المقدس** وفضاء الضريح الولي والشيخ زوايا لهم قدرات فائقة وبركة إلهية لهذا بفضل كراماتهم لهم فضل في معرفة مصدر المرض وبفضل فضلهم وكراماتهم يشفى المريض وتتحقق كثير من أمنيات المستغيثين بالمقدس وتلبى لهم كثير من الدعوات.

و في الأخير يمكن القول بأن الممارسات الطقسية في فضاء المقدس وإن كانت تتخذ عدة أشكال لكنها لا تختلف في تمثُلاتها الجماعية بين الأفراد، حيث لا يستطيع أحد مقاومة تأثير المقدس في اجتياز المعجزات كما يشاع عادة، المقدس هنا جزء من عتبة كل ضريح وفضائه المكاني الروحي والمادي هو جزء

من كل مكان وضعة **المقدس** رجليه عليه حيث يصبح كل ما هو حول **الضريح مقدس** وتتكثف حوله عظمة ، ويعتقد الناس بقدسيتها ويمارسون عدة أشكال من الممارسة أهمها ذبح أضحية و إقامة احتفال سنوي حتى وإن أتخذ شكل إحياء عادة **أجداد** كما يقال فإن في إحيائها هو خوف من المستقبل ومحاربة ذلك التردد في النفس نتيجة الشعور بالذنب، وبالتالي فإن إعادة إحياء مثل هذه الممارسات الطقسية تجذب الراحة النفسية لأصحابها.

ومن وظائف الطقس، كثيراً ما يتغلب الواقع على الفرد فيحدث له نوع من الاضطراب، فيفقد بذلك توازنه الداخلي، فيفكر الفرد أول ما يفكر في الطقس الذي اعتاد على إقامته معتقداً إيمان إعتقاد عليه كاف لإعادة اطمئنانه وتوازنه الداخلي فيسارع بالتالي إلى إحيائه وبذلك هو إحياء للمقدس إلى جانب وجود الدين كعامل أساسي في صنع الطقوس يوجد تمت لاوعي، يعني للطقس طبيعته الخاصة فالطقوس تعبر عن أرضية خصبة من اللاشعور الاجتماعي الذي يصعب على المرء فهمه.

خلاصة الفصل

يقول "**ميشال جيلي**" الذي يربط التمثُل بالتفاعل على أساس أنه إنتاج جماعي من طرف الأفراد يتحول إلى شكل للتعبير، وهكذا يكون التمثُل اجتماعيا عندما تتقاسمه مجموعة من الأفراد، عندما يتم إنتاجه وخلقه بشكل جماعي .بمعنى أنه ينتج من تفاعل جماعي يكون التمثُل تعبيرا عنه، إن هذا التعريف لا يختلف كثيرا عن تعريف أحد الباحثين العرب الذي يعرف التمثُل على **أنه مجموعة من المفاهيم والرموز التي تنتج عن التفاعل الاجتماعي والتي تكتسي معنا مشتركا بين أعضاء الجماعة وتؤدي إلى ردود فعل متشابهة** وبهذا تشكل التمثُلات صورا والبيانات معرفية واطر إدراكية ذات مصادر ومظاهر وأبعاد اجتماعية بحيث تشكل نوعا من المعرفة الاجتماعية المتداولة بين الأفراد، كأطر مرجعية للتصور والإدراك والتفكير.. وما تلاعبه تلك الأساطير وحكايات عن حياة الصلاح وقدراتهم الخارقة وكراماتهم الغير العادية التي تفوق طاقة البشر العاديين وأنها مازالت فعالة وقائمة حتى بعد مماتهم ولهذا يُقبل الناس على زيارة أضرحة هؤلاء الصلاح وتزداد درجة الاعتقاد وتتكثف حولهم القداسة وتتخذ عدة أشكال من الممارسة

الطقسية التي توفر راحة نفسية وأمن السيكولوجي وخلاص من عقدة الذنب وإحياء المقدس كلما كانت الضرورة النفسية أو المادية أو الاجتماعية، ولا تختلف القداسة بين الأضرحة نفسها وبين الأضرحة وحقل الزوايا في تصورات أغلب من قابلتهم، إذ يعتبر المقدس مجرد رمز له علاقة وطيدة بالدين وهو حاضر دائماً سواء في الماضي أو الحاضر وسيبقى في المستقبل أيضاً ، ولهذا نستطيع **القول أننا لا نعايش المقدس إلا رمزياً** ، فإنه **يتحول في ذاته إلى قوة فعالة ويصاحب العلاقات الطقسية أثناء الممارسات الدائمة.**

إن التمثلات والتطبيقات الشعبية لكل هذه العمليات لها جذور أنثروبو-تاريخية واجتماعية ثقافية تتعدى المحدد الجغرافي، والزمني بمفهومه سطاتيتكي، لذلك فالمقاربة البنيوية لا يمكنها أن تعطي الكثير لذلك فبالرجوع إلى الانثربولوجية الرمزية التي تركز على دور الأنثروبولوجي في عملية التأمل والتأويل الثقافي في سياق العمل أثنولوجي، إن إحياء وأهمية المقدس في حياة العامة نجده من خلال وتصورات وتمثلات الأهالي بما في ذلك الفقهاء أو الطلبة بالمفهوم الشعبي التداولي للكلمة ، والتي أثبت البحث على أنها أهمية المقدس لا تقتصر على الأوساط الشعبية مغلقة بمعنى أن تعيش في إطار التفكير الشعبي بل حتى داخل الوسط المجتمعات المنفتحة أكثر لما عايشه من براهين المقدس في الشفاء وتلبية احتياجاتهم الروحية والمادية واجتماعية، وهي أوساط من بين مميزاتها ومحدداتها السوسيو اقتصادية كونها تعرف مستوى عالي في الثقافة والمعيشة، وانطلاقا من تحليل هذه الظاهرة بإرجاعها إلى مكوناتها الرمزية وربطها بالكتابات والنصوص التراثية والممارسات السابقة وأحيانا بثقافات أخرى متزامنة، تكتشف أن هذه الممارسات موجودة ومتداولة

كما تعبر ترقي ثقافيا عن طريقة في التفكير والعيش والنظرة إلى الكون والطبيعة والدين ومن هذا المنطلق تصبح هذه الممارسات أحد أهم إفرازات ومكونات هذا التفكير كما تؤكد على أن الطرق المختلفة باختلاف طرق الطقسية من ذكر والتراتيل وشكل القرابين و أضحيات وباقي المكونات الرمزية لهذا المجال من الحياة الشعبية تمثل مدى انتشار هذه الممارسات ومدى تأثير المتخيل الشعبي/ الخرافي في الحياة اليومية نتوصل في نهاية التحليل إلى كون هذه الممارسات والتطبيقات تعتبر بالنتيجة خلاصة تطبيقية للمتخيل الشعبي والتمثلات الاجتماعية بخصوص العالم والأشياء والاجتماع والعمران البشري بعبارة ابن خلدون.

الفصل الثالث
تحليل معطيات بنية الملاحظة المشاركة و المقابلة

[2]تمهيد الفصل

شّكلت الظاهرة **استعانة وإحياء المقدس** من أجل قبول الدعّوات، والشفاء وحلول البرّكة، هذا ما يُمثل تأدية الواجب من تخلص من شعور بالذنب، وذلك عن طريق التجديد وإحياء ممارسات عملية ثقافية واجتماعية طقسية جّادة، يتم جزئياً إحياء التقاليد الجادة تُشكل أحد عوامل النفسية في حاجة الفرد للمقدس وهذا أهم مواضيع الثروة الثقافية للجماعات والأفراد.أدركت من منطق العرف والتقاليد أن حاجة الفرد للمقدس ضرورة نفسية لا يستطيع أي الفرد التعبير عنها واستحالة الابتعاد عنه دائما في حاجة إلى فضاء **الصلاح** إحياء واستعانة **بالمقدس** كلما دعت الحاجة استجابة إلى تمثُلات الجماعية حول المقدس مغروسة في الذهنية الجماعية،بما أن التمثُل الاجتماعي هو الكيفية التي ينظم بها الفرد فهمه للواقع وللحقيقة التي يعكسها، وبتعبير آخر هو تنظيم فردي لحقيقة جماعية.هذا ما يجعل التمثُلات الاجتماعية تتخذ بُعدًا عمليًا حيث أنها تسهل عملية التواصل والتفاهم وكذلك التحكم في المجال الاجتماعي والمادي والفكري. وهذا ما كان ظاهر للعيان بالنسبة لأعضاء العينة، نتيجة توجه الكُل لزيارة المقدس وفضائه من اجل **حلول البركة،** والشفاء، وتحقيق دعوات والرغبات الدنيوية وأخروية، خاصة أثناء المناسبات الطقسية الموسمية وما تُشكله هذه الأضرحة الصلاح أو الزوايا من قدسية.

التمثُل قبل كل شيء عملية تحويل **الواقع الاجتماعي إلى موضوع ذهني** ، الذي تّشكّل من خلال تلك الأمنيات بالشفاء، قبول الدعوات، وحلول البركة...،حيث يتحول الواقع إلى مكونات تخضع للانتقاد حسب المواقف، والأوضاع، والدوافع التي تتشكل من خلال تجارب كل شخص على حدة، وهذا مع تّنقل الأخبار بين الأوساط الاجتماعية مثل بأن **فلان كان مريض زار ضريح فلاني** .... قد شفي وتعفى... حيث تعتبر هذه الأخبار، من الأحداث الصادقة التي تأخذ سطوة حقيقية على الذهنية الجماعية، ولا يمكن لاثنان تكذيبها، نعتبر من الأعراف الجماعة المحلية.

المبحث الأول: نتائج الأولية للملاحظة المشاركة و المقابلة

I. النتائج الأولية من خلال الملاحظة المباشرة و المقابلة

1. ملاحظات أولية

لقد أتبعت في دراستي الاثنوغرافية مواصفات العينة، التي كانت تتميز بدور المتغيرات الاجتماعية حيث تُعتبر التمثُلات والعوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية والتقاليد والعادات أحد الأسباب الأساسية في توجيه سلوكات هذه العينية، حيث كانت الأهداف المرجوة متعلقة بالمواضيع التالية: **المواقف إزاء دور المقدس في الحياة الأفراد بصفة عامة** وتفعيله **بالممارسات الطقسية، ودور التمثُلات الذهنية وكرامات الصالح وفضائه المقدس كلها لها اثر في إعادة إحياء المقدس من جديد** . ومن هذا المنظور بدّا لي من خلال المقابلات أن حاجة الفرد للمقدس كامنة في كيانهم النفسي وإرثهم الثقافي وتقاليدهم ومن خلال أجوبتهم بدّا لي أيضاً أن هذه التمثُلات لها جذور ماضية، و **مرتبطة بالدين.**

يظهر جلياً من خلال الإجابات التي قّدمها المستجوبون، أن التأثير الاجتماعي الموروث والتمثُلات في الذهنية الجماعية تلعب دوراً كبير في تفسير كثير من السلوكات الطقسية أمام إحياء **المقدس،** كما أن تفسير عدة مفاهيم من **بالشعور بالذنب** والمشاكل الاجتماعية ، والمشاكل الصحية، تأخذ بُعد نفسي واجتماعي، أكثر من تفسير منطقي علمي، حيث تعتمد على ممارسات طقسية، أمام قُدسية وفضاء أضرحة تّتمثل خاصة في **الاستغاثة** و**الاستعانة بالمقدس.**

2. تصنيف الإجابات:

في بداية يجب أن أنبه بأن مُجمل الإجابات كانت متقاربة ومتشابهة، وفي قراءة أولية للإجابات المستجوبين، نراها غير خاضعة لترجيحات العوامل التي تركز على أصل وضعها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

أ) **الوضع الديني:**

ب) يظهر**الدين** قبل كل شئ كأحد المواضيع جذباً في إعادة إحياء المقدس إذ يعتبر نفسه هو الدين وبه يتم تفعيل الطقوس، وتكرس الممارسة الدينية كواجب ليس أخلاقيا فقط بل وطنياً، **يجب على كُل واحد أن يفتخر بالثقافة الأصلية الدينية لأجداده مقولة الشيخ الزاوية الحاج حمو الطيب** في اللقاء مع ا**لإذاعة المحلية لولاية البيض** ، يقول أيضاً **قد أقاموا عيد للطماطم في أدرار ، وعيد للشباب عيد للشجرة ، ونحن نقيم عيد للصالحين، ألا يستحق الصالحين العيد ؟** .

تمثُلات الزوار للاحتفال "بالوعدة "	
اجمعوا على كلهم، هي وعد، وبها كانت البركة وعاشوا بها جدودنا، احتفال بولي، إنه ولي من الأولياء الله ، عيد الصالحين، وعدة ، وعد ، كُل يأكلوا بركة كبيرة ، ودعاء مستجاب ، عيد من أعياد الولية ، عادة الجدود	
أجوبة المستجوبين	كانت الإجابات، كلها متقاربة، ومتشابهة، حيث ارتبطت الوعدة بالوعد للوالي بالبركة وعادة جدود وعيد الصالحين، مساكين تأكل، الناس تجتمع خاصة الأهل تصالح بين الأهل.. كانت كلمة عادة جدود والبركة هي أكثر شيوعاً بين أجوبة المبحوثين

إن أكثر الإجابات ترى أن **الوعدة** وزيارة الأضرحة الصلاح وفضائها تأخذ بُعد **الديني، القدسي** وقد **أوصى الله ورسوله بأوليائه ، إنهم أولياء الله في الأرض لهم كرامات ودعواهم مستجابة** إنها أحد الإجابات، ولا يمكن معاداة الصالحين فهو يعادي الدين والله وهو **سلوك كراهية اتجاه الإسلام** إنه المقدس وحاجة الفرد إليه بالتقديس فضاء الصاليح.

والبُعد الديني يأخذ **وظيفة دفاعية قبل كل شئ، وكما وصف لكازنوف Cazeneuve.J** أكد أن الطقوس **ذات اتجاه واحد في كل وظائفه: لا هدف له سوى إعادة التوازن الداخلي للإنسان الذي يمزقه اتصاله مع تقلبات العالم الخارجي** .(**Cazeneuve.J لكازنوف 1971- P 143**). نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 38).

كما تلعُب النيّة الحسنة الصادقة اتجاه الصلاح في تمثُلات الزوار دوراً حاسماً في قبول وتحقيق الأمنيات، والرغبات قدراتهم تُعتبر **أولاً روحية** تُشكل ينبوع الصفاء والراحة الأخلاقية، أو **الثقة** بمستقبل محكوم أحياناً بأنه مجهول **كُل الخير لي يجينا من دعاوي صالحين** إنها مقولة مميزة لأحد المستجوبين ومعاداة الصالحين يعني **معاداة الدين** ، كما أن الميل التقليدي والعزم على المحافظة على الدين إلى حد الدفاع عنها بقوة هو امتداداً على إعادة الاعتبار التّام للتقاليد، أي إرث **الأجداد** هذا، أو هذا الصراط الذي يتميز عن غيره كما يقول بعض **إحياء عادة الأجداد.**

لذا تنزغ **الميول الجماعية** نحو **احترام زائد للتقاليد** ، وإعادة إحياء ماض يراه الفرد على لسان المستجوبين **مقدس،** حيث يقول أحدهم: **أجدادنا كانوا عايشين بدعوة صالحين** ، وهنا يبرز توافق بين التقاليد **الإرث الأجداد** ، وخطاب المعادي لهذه الطقوس وأهمية المقدس في حياة الفرد ما تبره تلك السنوات التي مرت بها بلادنا وتوقف كل الطقوس من وعدات ومعروف والزيارات والقربان ...، يقول أحد المستجوبين: **منذ أن توقف كُل من أداء وعدة الصالحين توالت نكبات من الجفاف الفقر الإرهاب هذا ما يؤكد أن الله يحب الصالحين وهم حراس البلاد** (...) هذه التمثُلات تُشكل بشكل

عام تفسير الوضع الحالي بالتمثُلات الاجتماعية للواقع، وهذا ما معنى التمثُل الاجتماعي **هو فهم للواقع وللحقيقة التي يعكسها، وبتعبير آخر هو تنظيم فردي لحقيقة جماعية** ، حيث بعد الاستغناء عن أداء إحياء المقدس بالطقوس فعلية مثل الوعدة ، توالت النكبات على المجتمع ما يؤكده الواقع على لسان المستجوب (...)

ومن هنا تبرز إذاً الضرورة الملحة إلى **حاجة الإنسان للمقدس** والعودة إلى الينابيع الأولى ودورة النسقية للظاهرة إحياء المقدس ، تكون بعيدة عن كل تناقض في جميع الأوساط الريفية والمدنية ، ومُخيلتهم الاجتماعية، وتصبح تلك الممارسات جزء لا يتجزأ من التقاليد **عادة الجدود** إنه الواقع المعاش اليوم ويؤكده عديد من الزوار والمستجوبين، وأهمية الحفاظ على هذه المكتسبات الثقافية الدينية للمقدس هو الحفاظ على كيان الاقتصادي، والنفسي، والاجتماعي، ويكون إحياء تلك التقاليد جماعياً **إنه ماضي رائع**، ويتوجب على إحياء مثل هذه الطقوس متطابق مع **العقيدة الدينية** و**إعطائه صبغة رمزية دينية**.بمعنى أن هذه **رموز محددة تاريخيا وثقافيا واجتماعيا** أي مرجعية وفعالية مجتمعية .

ولقد تسأل (**إميل دوركايم E.Durkheim**) حول استمرارية الطقوس بقوله **عندما نرى لماذا تمارس الطقوس، قد نتساءل بكل إمعان لماذا الممارسون يؤمنون بالفكرة ولماذا هم مخلصين لها** " و طرح **كلود ليفي شتراوس** Claude Lévi-Strauss و(**ايزامبارت Isambert. F**) نفس الإشكالية ويؤكد أن **الفعالية الرمزية لطقس تستند على التصور، وبالتالي فإن الطقس يعتبر كشرط أساسي لفعالية رمزية.** Maisonneuve. J 1988, P103) نورالدين طوالبي، 1988 ، ص 37).

كما أن الطقوس مدعوة أيضاً إلى تعزيز العلاقات الأسرية، والعلاقات الأخوية داخل المجتمع من الخطر الذي يهددها من الخارج، إذ أحياناً النموذج الغربي الذي يزعزع ثباتها **إن هذا الاحتفال يوحد الأمة إنها المصالحة الحقيقية التي يريدها الجميع لأننا جمعياً نتواجد أمام هذا الصاليح ونشترك في كُل شئ نريد المحبة والسلام** " **قول أحد المستجوبين** بباسطة أكثر يتصور أحد من يؤدي **الوعدة** وهو رب عائلة كبيرة أن الوعدة **واجب ديني وأنا أوصي أولادي باستمرار وثبات على العهد، أنها السمعة والشرف العائلة، و بها ربي يحفظنا جميعاً** ". هذا التصريح ما هو إلا التمثُلات في الذهنية تصدر في فضاء المقدس وأثناء تأدية الطقس ،كما نرى فعلاً تُشكل بمجموعها مبررات لنظام القيم التقليدي ، الذي يبرز كنموذج وحيد للشرعية الثقافية ، ومن الطبيعي أن تّتزود التمثُلات المرافقة لهذه الطقوس للأساطير ومعجزات الصلاح، وكراماتهم، تأخُذ **بُعد ديني قدسي** لا يمكن التنازل عنه أو مناقشته وهذا ما يفسره(ا**لكازنوف – Cazeneuve.J 1971 ص 143**) ، **بقوله أن الممارسات الطقسية تأخذ أبعاد دينية حيث تّجد القصدية الدينية للطقوس حقيقتها، أو بالأحرى سببتها في تحولات الوضع**

البشري، بين هذه التحولات والأكثر إرباكاً إلى حد بعيد هناك الشعور الذي يدركه الإنسان حول المقدس (نورالدين طوالبي،1988، ص 38).

ت) الوضع السيكولوجي:

إن الرغبة شديدة تجاه القيم الجديدة،سيقابلها تعلق كبير بالقيم القديمة **هذه عادة جدودنا رانا محافظين عليها يقول أحد المستجوبين** هنا المقدس من يتكلم هو حاضر في الذات إنه يتكلم من داخل نفسه، إنه الشعور بالذنب يكون ماثلاً في كُل الممارسات الطقسية، حيث يأخذ بُعد سيكولوجي في صراع نفسي دائم ، وبه تُفسر كل حوادث التي تحدث سواء كانت إيجابية، أو سلبية مثالاً في حالة كان الموسم الفلاحي جّيد ، يفسر على قيامه بأداء الواجب، في حالة العكس، قد يفسر **بعدم أدائه للطقس ما سواء وعدة أو مشاركة فيها أو زيارة للضريح أو أداء صدقة عنه أو معروف عنه أي عن الولي ... أو تقصيره فيه أو النيّة لم تُكن حسنة** .هذه الرغبة في إحياء الماضِي تفسر تماماً على الوقائع التي تحدث وتأخذ شكلاً دفاعياً عن **الهوية الجماعية من أجل الحفاظ على قيم الأجداد** إذ تُعبر عن مقاومة سيكولوجية شديدة ضد القيم الجديدة التي لا تقبل القيم القديمة. و تأخذ طابع الديني أثناء الممارسة.

كما أن السلوكات الطقسية تبدو جميعها متعلقة بالتمثُلات من أجل المحافظة على الرمزية الأكثر وضوحاً في الثقافة الأصلية، يقترح (**اريك فروم** E. Fromm 1968) لفهم الطقس جيداً يجب العودة إلى **التحليل النفسي، وكي نبين تبعاً له أن الطقس ليس في نهاية سوى تعبير رمزي عن الأفكار ومشاعر بواسطة الفعل"** (**اريك فروم** E. Fromm **1968**) و**تتمثل أهم الصور الرمزية للطقس** فيما يلي :

أولاً فيما **وراء التماثل التاريخي** ، الذي يتضمنه المخيال الممارس على أن هذه الطقوس لها علاقة بالدين كما تساهم في التقارب بين أفراد المجتمع .

أما ثانياً يُمثل الطقس بالنسبة لممارسه تكامل وذو قيمة نفسية كبيرة كأنه أدى واجب وتخلص من ذنب. (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 41).

وهذه الممارسة الفعلية تتم بتعبير رمزي لأفكار، بواسطة السلوك الجماعي في أغلب الأحيان، لإحياء طقوس تُعبر عن استمرارية الماضِي وتكريس ديمومة الحدث الاجتماعي والأسطوري، الذي يأخذ بُعد وتفسير ديني في واقع وبتأثير بسيكولوجي في ممارسته. (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 38).

تختصر الإجابات بين **تأدية واجب** ، و**إحياء تقاليد** ، إلى **واجب ديني** بين ممارسين للطقوس، و مَنْ يحيي الاحتفال **الوعدة** ، وتتقارب جُل الإجابات ضمن رغبة مفسرة للوقائع تماماً ، التي تعطي أهمية كبرى للتعبيرات والآراء الكبار في **الصلاح وأساطير التي تُروى عنهم** ..**المقدس يحكي من الداخل ويظهر في الممارسة الطقسية في خارج.**

و قد تتّحول الأسطورة إلى ممارسة فعلية عبر عنها (**م. أركون** .**Arkoun**.M 1993 P133) في كتابه **الفكر الإسلام اليوم** "**أن الأسطورة في المجتمع الإسلامي قد انخفضت ونزلت فقدت مؤهلاتها الرمزية، وتحولت إلى ميتولوجيا**". وتتحول هذه الرمزية إلى ممارسة فعليّة في مُخيلة الذهنية لإحياء "**المقدس**" ومعجزاته وكراماته التي يتم إحضارها كل مرة وهي حاضرة وفعالة حتى بعد الممات. والتي تأخذ سطوة الحقائق العلمية الفعلية، وهذا سبب رسوخها في الذهنية الجماعية، حيث يّتم التعبير عليها عن طريق الممارسة الظاهرية في الواقع، وتأخذ بُعد الديني في جميع الممارسات الاحتفالية والطقسية في فضاء "**المقدس**".

تكميم الأجوبة:

أ. علاقة الدين بالممارسة الطقسية لدى المستجوبين :

أغلب المستجوبين يرون أن زيارة **الأضرحة الصاليح وفضائه** ، والممارسات الطقسية حولها واحتفالات "**الوعدة**"هي **من الدين**، وهذه الإجابات تأخُذ بُعد ديني في دلالته الواقعية، إن ارتباط الممارسات الطقسية بالدين، نشأت من خلال **المرجعية الصوفية والصلحاوية والشرفاوية** ومتأثرة بالبيئة التأريخية والمناخ الروحي وفضائي، هذا ما جالت به إجابتهم أن الصاليح وفضائه إنها تمثُلاتهم اتجاه "**المقدس**

مع المستجوبين في زيارة الأضرحة الصلاح و الزوايا

من بين **48** مستوجب **كلهم** سبق لهم زيارة أضرحة الصاليح وزوايا عديدة عبر الوطن ومما يدل على ديمومة في الممارسة الطقسية ، وفعّالية "**المقدس**".

ت. منْ يقوم بإعداد الوعدة بين المستجوبين :

من بين **48** مستوجب **31** منهم ، يقومون سنوياً بإعداد الوليمة أو كما تسمى **الوعدة**" سنويا"، أكد كثير منهم أنهم قاموا بأداء **الوعدة في منازلهم، نتيجة الظروف جائحة كرونا، و بها الله يبعد عنا هذا الوباء انها الصدقات.**

وهذا ما يُمثل إخلاص بتنفيذ **الوعد**، حيث أن كلمة **الوعدة**: تشتق في فقه اللغة العربية من كلمة **وعد** التي تعني **تعهد بشئ ما ، أخذ على عاتقه شئ ما ، وقد تعبر عن موعد محدد لا يخضع لأي تبديل أو تغيير، يرتبط بمناسبة ما "فلاحية أو دينية أو اجتماعية". د. عبد العزيز رأس مال 2003 ، ص 31**

إن إحياء الوعدة هو إحياء للمقدس وكل يتحدث عن الماضي وكيف كانت الوعدة تُقام إنها **النرجسية** وتفكر الوالدين وأجداد ، بإحيائها لهذا الطقس به يحيي ماضي عتيق ذكريات عزيزة ، والتي لا يُمكن نسيانها ، مكان الذي كنا نُقيم به ... ونّبني خيامُنا فيه. الكل يريد العيش في ذلك الماضي الحنين إن **ربط وبناء الخيمة** في **فضاء المقدس** لا يمكن فعل شئ الحرام **فان العقاب يأتي فورا الأيام كانت**

البركّة و النيّة ... راحوا موليها أي أصحابها كان آبائنا مثل **درويش** أي صاحب **النية**، إن كل ما يرّى رؤية، أي منام حول أضرحة أو شخص بإسم أحد الأولياء، إلا كان المقدس يتحدث معه انه الصاليح يجب فعل شئ الصدقة الطقس معين وإن كانت الزوجة حامل أو هي من رأت الرؤية فان المولود يسمى باسمه إن كان ولد وإن كانت انثى تسمى على زوجته.

تُشكل الرؤية أو المنام، أهمية كبيرة في التمثلات الجماعية، حيث يُفسر المنام حسب الاسم **مثلاً** : إذا رأى شخص في منامه يتحدث أو شخص يُكلمه، أو مجرد أن يراه **اسمه عبدالقادر ، أو خلف الله ، أو الشيخ أو هواري**، وهذا الشخص قد يكون من العائلة أو من جيران أو من الأقارب أو شخص غريب المهم يحمل إسم يشبه لأسماء أحد **الولية** فإنه يُفسر على شخصية **المقدس** أي **والي**، وهذه التمثلات تُعبر عن الرؤية الجماعية للظاهرة تفسير المنام على هذا المنوال، ولا يمكن التشكيك في هذا التفسير أبداً، إنه تمثل مغروس في الذهنية الجماعية.

و كُل ممارسي الوعدة يُحثون أحفادهم في الاستمرار بالعهد وأداء الوعد إذا أرادوا **دعوة الخير** و**أرادوا السلامة في الدنيا و الأخيرة** ، يتحدث أحد المستجوبين **أن أبوه أوصاه بهذا، و هو يوصي أبنائه إنها عادتنا** ، وهذه وعدة جّدُنا، يوصينا بأداء الوعد ودعوة الوالدين كاينة أي موجودة، ربي أوصى بالطاعة الوالدين وطاعتهم من طاعة الله وحنا على عادة **بواتنا** ، أي أبائنا . هذا هو المقدس يتحدث من الداخل الذات ولي الجماعة الطاعنة في السن مكانة خاصة لدى الجميع لأنها تملك السلطة الروحية عليهم إنهم **البّركة** هم من يرشدون ويوجهون سلوكيات أحفادهم، أحاديثهم المفعمة بالمشاعر الأسطورية والقدّاسة على كل الأسئلة التي تطرح حول فعالية **المقدس وفضائه** .

ث. المقارنة بين أضرحة الصلاح و مقام الزوايا لدى المستجوبين

أكد **ج5** مستجوبين أنه لا يوجد فرق بين أضرحة **الصلاح** و **الزوايا**، إذ يعتبر كلاهما أماكن **البركة** ولهم قدسية كبيرة غير أن **الزوايا** لها مهمة تعليم وحفظ القرآن الكريم وعلوم الشرعية، وأضرحة الصلاح هم من دعاة القراءة والتعليم الدين، وهذا التصور يعتبر من البداهة التي تعود عليها أفراد الجماعات المحلية تبعاً للثقافات المحلية. كل إجابات تركز على أنها أمكنة وفضاء الصاليح **"البركة"** سبق شرحها في المبحث السابق على أن **البركة** هي : **الطاهرة والطاهرة هي المقدس**.

كما أن الزوايا هي من الأمكنة الطاهرة بتعلمها العلوم الشرعية وحفظ القران الكريم تحمل الكثير من المرجعيات الدينية والاجتماعية والثقافية، بينما مكان الضريح هو مكانة رجل له قيمة دينية ورمزية لدى العامة إنها **المرجعية الصوفية والشرفاوية والصلحاوية** التي تُكون المخيلة الجماعية عن طريق قوة الروحية للتضافر المرجعيات مع بعضهما البعض.

الأسئلة	الأجوبة

هل تزور أضرحة الولية ؟	38 مستجوب سبق لهم زيارة أضرحة و يزورنها إلى اليوم
هل تزور الزاوية ؟	10 مستجوبين فقط ، سبق لهم زيارة الزاوية
ترى فرق بين زيارتك لزاوية و زيارتك لضريح والي ؟	كلهم لا يرون فرق بينهما "كلهم أولياء الله"خدموا ربي نالوا به هذه الدرجة"

II التحليل و التقييم

1. النتائج:

في ضوء المحاولة العلمية الجّادة، لاستخدام المنهج التحليلي الأنثروبولوجي ، يمكنني في نهاية المطاف ذكر أهم العوامل التي تؤدي إلى إحياء المقدس وحاجة إليه في كل مرة ، وما يدور حوله من فعاليات الطقسية سواء لجلب البركة والخير أو الوعد أو تلبية رؤية أو عادة قدسية أو كوسيلة لعلاج، أو ربط العهود أو المواثيق، أو الاستخارة، أو التخلص من سوء الحظ والطالع إضافة إلى السياحة الدينية، وبالتالي تبيان العوامل المسئولة في ضرورة الحاجة إلى الممارسات الطقسية إحياء المقدس.من هذا الإشكال استطعت أن أضع بعض المؤشرات، التي يُمكنها توضيح الظروف والدوافع التي تتحكم في تصرفات والسلوكات الطقسية للزوار في فضاء الصاليح وحاجة إلى البركة المقدس، ولكون هذا الاهتمام بالبرهنة، يتوافق مع المطلب المنهجي الذي يُؤكد على زيادة شروط تحقيق الثوابت الأولى، ارتأيت **ثلاث محاور** لإجابة عن كل التساؤلات التي وّاكبت مسار البحث.

المحور الأول: الوضع السيكولوجي و الوقائي

الممارسة الطقسية تأخذ بُعد الديني من خلال المقابلة فإن **48** مستجوب من المناطق الريفية وباقي من المناطق الحضرية التي كانت في سابق عازفة على هذه الممارسات وهذا ما يدل على أهمية ودرجة وقيمة المقدس في الحياة العامة لأفراد وأدى فكرة ضرورة إحياء المقدس تلبية رغبات والدعوات **واتقاء الشر** ورغم أن المناطق الريفية كانت في الماضي القريب أكثر ممارسة له واعتبارها من الأشياء المقدسة، أصبح اليوم الكل من المجتمع الريفي والمجتمع الحضري المدني يهتم ويُعبر لأمكنة المقدسة وأصبحت من الدين.

- **هكذا أصبح الدين أكثر رهبة بين أفراد المجتمع الريفي والحضري على السواء** هذا ما توصل إليه **د. نورالدين طوالبي** في دراسته " **الدّين والطقوس والتغيُرات" أن الخوف والقلق من المقدس الديني يعتبر معدياً إذ يداخل الريفيين الاعتقاد التام .. وهذا يناقض الحكم الممارسة الدينية عند بعض المدنيين.. وهذا يفسر بما يلي: أن الروح الريفية التي تقدس الديني لدرجة المغالاة أحياناً لا تبدو قادرة على احتمال أي وجود منفصل عن النظام الإلهي**(**د. نورالدين طوالبي ص 257** N. Taoualbi **1988**) .

لاحظت أن السكان الحضر(**الذين يقطنون بالمدينة**) أصبحوا ينافسون سكان الريف في أداء ا**لوعدة**" بل أصبح حضورهم الفعلي لكُل التظاهرات الموسمية أكثر من سكان الريف، بحيث أصبحت هذه الممارسة تأخذ بُعد ديني في الذهنية الجماعية المجتمع الحضري أكثر من الريفي، وهي مصدر اكتفاء معنوي يلهم الشعور بإتمام الواجب مقارنة بماضي، تُشكل الممارسة الطقسية خاصة **الوعدة** قيمة مُقدّسة، وغاية الحياة لـدى الجميع أثناء إحياء الطقوس في **فضاء المقدس** فهو نظام نسقي [1] يتحكم في كل الأشياء كمقاربة النسقية، وبه يتم ربط كل شئ.

وبعبارة أخرى يكون القّدر الإنسان الغامض والخاضع باستمرار لتقلبات الحياة ويكون مهدداً بقوة غيبية كأن يجد نفسه محكوماً بالمصائب الموجعة والتي يُمكن أن تصيب كل العصبة العائلية وخصوصاً الأبناء أو المال من مواشي والتجارة .... هذه هي التمثُلات المزعجة والمقلقة في الذهنية الجماعية هي من **تدفع إلى إحياء المقدس** وإذا طبقنا المقاربة النسقية على هذه الظاهرة، يمكن القول أن كل يدور في ذهنية الأفراد وحاجتهم إلى المقدس، هو النسق داخلي مكون من عدة انساق يخدم بعضها البعض متسلسلة هذا النسق الذي يطلق عليه أحيانا التحليل النسقي هو ذلك مجال متعدد التخصصات يتعلق بدراسة التنظيمات ومدى تعقيدها في محاولة لفهم بيئتها وطريقة تسييرها وآليتها ،ككل متكامل أو مجموع أنساقه، تهدف إلى تحديد هدف التنظيم، يتم استخدام مبادئ المقاربة النسقية في كثير من أحيان دون ذكرها ، وبالتالي فإن المصطلحات **المقاربةالنسقية** أو **التحليل النسقي** تستخدم بشكل أكثر في مجالات التطبيقية منها العلوم الإنسانية ويمكن تفسير **ظهور مفهوم النسق في جزء كبير منه** بتزايد تعقيد الظواهر الاقتصادية والاجتماعية أي التغيرات التي ظهرت على أنماط الحياة الاجتماعية والعولمة، سواء كانت هذه التغيرات والمضعفات والتفاعلات بين الظواهر الاجتماعية تجارية مالية ثقافية معلوماتية...سرعت بالتعقيد الوعي وتسليط الضوء على آثاره على عدة مستويات وكانت هذه المغامرة الفكرية كبيرة في نهاية القرن العشرين هي اكتشاف **المقاربة النسقية**.

ستكون هذه الدراسة بتطبيق هذه المقاربة على الظاهرة إحياء المقدس ومن خلال المنطق النسقي الذي يربط ويجمع وينظر في الروابط بين العناصر فيما بينها وفي علاقتها بطريقة مجملة، فهي تأخذ بعين الاعتبار النسق الذي ينتمي إليه الفرد أو العنصر أو المشكلة في إطار التفاعلات التي يحافظ عليها مع

1. يعود أصل تسمية المقاربة النسقية إلى اللغة اليونانية SYSTEMA والتي تعني الكل المنظم ظهرت في الأربعينات القرن الماضي نتيجة لاجتماع علم الأحياء (البيولوجيا) والإلكترونيك التي ساهمت في ولادة علم السبيرتيقا والتي تعني فن القيادة والتوجيه والتحكم دراسة طريقة تنظيم الكائنات الحية والآلات تسمح هذه المقاربة للباحثين بمواجهة تعقيد المواقف التي لا يمكن للمنهج التحليلي القائم على فصل العناصر بفهمها .وعلى مدى ثلاث قرون الماضية سادت الحتمية الميكانيكية والمنطق الديكارتي على طرق التفكير في فهم البيئة المحيطة فالفرد أو العنصر أو المشكلة التي يتم بحثها يتم تحليلها بمعزل عن البيئة المحيطة إذن يتم فصل المتغيرات لدراسة الآثار الفردية من أجل فهم أفضل.

العناصر الأخرى في نفس النسق وبالتأكيد هذا لا يعني هذا تواجد النسق في حالة طبيعية بل أنها مجرد منهجية للتمثيل العملياتي نشط وجاهز وفي تفاعل مستمر مع البيئة المحيطة به حيوان غابة أسرة فريق رياضي...أسرة فعالة بتجديد العهد مع المقدس، فلا وجود للحقيقة لا الجوهرية ولا الكاملة ولا الموضوعية لكنها منهجية جديدة لرؤية وفهم أفضلين و تموقع جيد.

عوامل استمرار الممارسة الطقسية من إحياء **احتفال في فضاء المقدس** بالزيارة ضريح أو إخراج صدقة بإسمه...كلها ممارسات فعلية يجب أن تكون في الواقع، وهو في حالة عدم إقامة مثل هذه الاحتفالات من **وعدة** خاصة في **فضاء الولي الصاليح**، فإن أي شئ يصيب الفرد يتم إرجاعه إلى **المقدس** بحيث تُفسر الأحداث المأسوية من وفاة الأنعام و فساد المنتوج الفلاحي، والأمراض... ، أي دفع الثمن لعدم القيام بهذه الممارسة.و الثمن قد لا يدفعه المذنب الذي قرر عدم قيام بالوعدة أو المشاركة في **الاحتفال**، بل كذلك ذريته، وأمواله ، وأهله وعشيرته ....) هذه التمثُلات هي التي توجه الحالة السيكولوجية، لأفراد بواسطة أنظمة عقائدية تأخذ دائماً طابع ديني.إذا طبقنا مقاربة النسقية حسب: حسب mark et picard التي هو مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها التي يؤدي أي تعديل في احدهما إلى تعديل جميع العناصر الأخرى شكل رقم 01

يوضح مفهوم النسق ثلاث مفاهيم متغيرات الدخول و الخروج

العلبة السوداء والتغذية الراجعة.

م السياسي المبسط لدافيد أستون

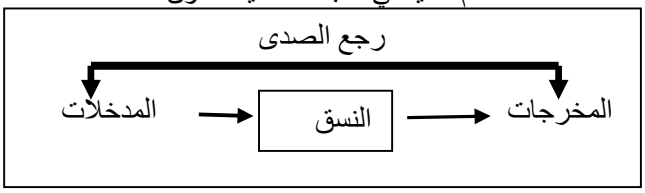

المصدر:.أ . **دافيد أستون** " الموسوعة السياسية – 2022 نموذج النظام السياسي المبسط

((**تم تطبيقه على فئة المدروسة "في إطار تطبيق التحليل النسقي في الدراسة**))

هنا نرى إن **المدخلات** هي تلك التمثُلات سواء بإيجاب أو السلب **النسق** في الوسط هي تلك الأفكار التي تدور في حلقة دائرية متسلسلة ومترابطة قبل **إحياء المقدس المخرجات** هي قيام الطقوس الفعلية في فضاء المقدس أما **رجع الصدى** هو ما سوف يحدث بعد الممارسة أو ما يحدث عند امتناع عن الممارسة الطقسية.إن الخوف و لقلق من المقدس يعتبر مُعدياً إذ جُل الممارسين أن يؤكدون انه من يعادي "**أي حسب أقوالهم من لا يؤمن في الولي** فإنه **سوف يُلحقه أذى ولن يسلم أبداً** وهذا الخوف وقلق يأخذ الروح إلى تقديس **المقدس** لدرجة المغالاة وهذا هو الاتصال الروحي بين الفعل وإحياء أي **التغذية الرجعة.**

❖ تأخذ الوقاية بُعد بسيكولوجي كبير في أوساط **الذهنية الجماعية اتجاه الأضرحة الصلاح** وفضائه وذلك باستعمال **لقب الولي**، وهذا ما لاحظته من انتشار إسم الولي وزوجته بحيث يتكرر إسم أكثر من مرة في عائلة ، فإن تسمية بإسم الولي تحفظ أبناء من العين، والجن، زيادة على **جلب البركة في وسط العائلة**، حيث مجرد مناداة صاحب إسم إلا و ذكر معه **ولي**، وفي كثير ما ينادى بإسم سيدي فلان، وهذا ما يُمثل الحضور دائم والمستمر **للمقدس** في وجدان العائلي وداخلها يوميا ويتم استغاثة به والتبرك بروحه الطاهرة التي هي أصلا **المقدس**، قصد الشفاء، وتحقيق الأمنيات وطلب البركة وتبقى ضمن التقاليد الراسخة في الذهنية الجماعية، وقدرة **المقدس** الخارقة على الشفاء وكراماته غير عادية لهذا يُقبل الناس على زيارتها طلباً للشفاء وتحقيق دعوات، وينظر الكثير من عامة الناس إلى هذه الأضرحة الصلاح وفضائها أنها همزة الوصل بينهم وبين الخالق عز وجل، وأن الأولياء يظلون أحياء حتى بعد مماتهم، بحيث يواصلون التوسط عند الله عز وجل لأجل تلبية مطالب قاصديهم، أو طلب الشفاء ، وإن كان طلب الإنجاب الأكثر شيوعاً في أوساط الزوار.وتطبيق المقاربة النسقية حول البيئة الفضاء القدسي للصاليح يتبين لنا ما يلي من خلال الشكل

الشكل2 يوضح مكونات التحليل النسقي للفضاء القدسي للمقدس " دراسة نسقية"

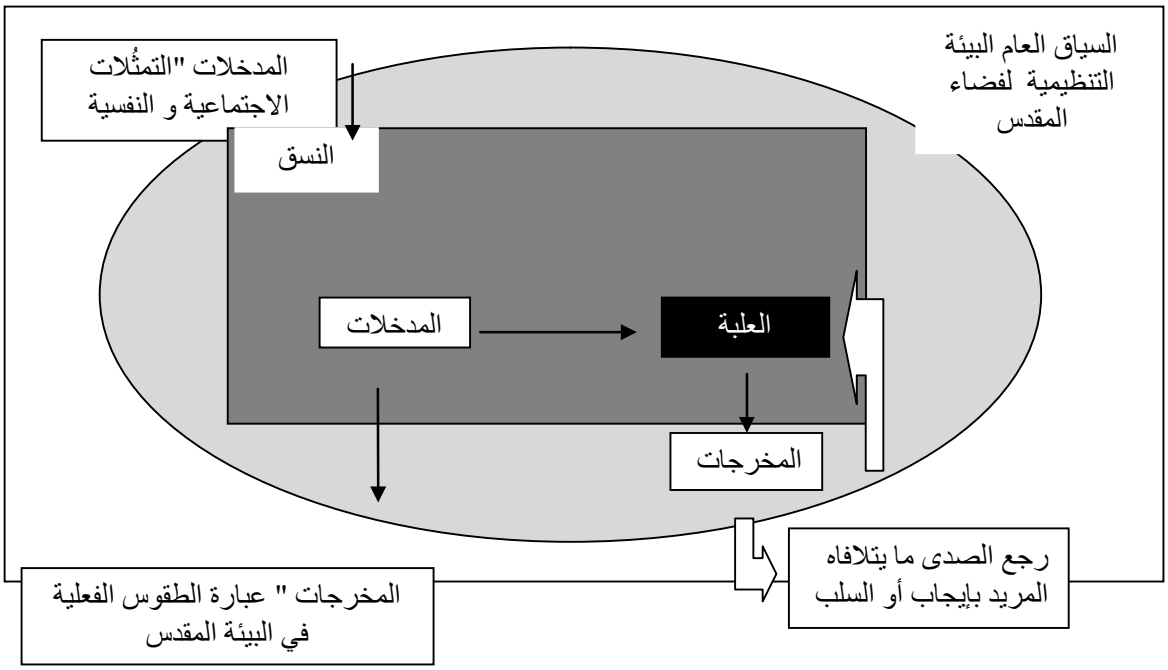

المصدر: أ . دافيد أستون " **الموسوعة السياسية – 2022 " النظام السياسي لدافيد أستون**

التغذية الراجعة وهناك حلقتين من رجع الصدى

- نتائج الايجابية التي تقوم عليها ديناميات التغيير التنظيمي (**في حالة الممارسة الفعلية للطقوس في فضاء المقدس تلبية لما حدث له في حياته من التغيير في المال و الأولاد .....**

- نتائج السلبية وتتميز بالثبات والاستقرار (**في حالة عزوف على إحياء المقدس يتم إرجاع كل ذلك للمقدس وتتميز بالثبات والصبر وإعادة إحياء المقدس من جديد"**

العلبة السوداء: يعتبر النسق بمثابة محول للمدخلات من البيئة الفضاء إلى مخرجات ويتم التحول داخل العلبة السوداء (التي تحمل التمثُلات قبل وبعد إحياء المقدس وبه يتحول ما هو في الذهنية المدخلات) إلى المخرجات) تعبير فعلي بممارسة الطقسية في فضاء الروحي أو المكاني للمقدس

البيئة التنظيمية : تتميز البيئة التنظيمية بين الشبكة التنظيمية الداخلية والفضاء العام للمقدس ومنها عدة فضاءات (البيئة الفضاء الروحي للصاليح سواء كان فضاء المكاني في حضرة الولي الصاليح أو بإحياء المقدس بعيد عن الفضاء مكاني في المنزل أو أي مكان أخر وله عدة

- **الفضاء الاجتماعي يشير إلى الحياة والبيئة الاجتماعية التعليم والممارسات الدينية ..**
- **الفضاء الثقافي** : يقصد به التاريخ والتقاليد والقيم المجتمع والتدين الممارس
- **الفضاء الاقتصادي : مستوى لمعيشي، تاجر،فلاح ، موظف ، رجل أعمال ، رجل سياسة**
- **فضاء اتصالي : المعلومات الاتصال ... وجودة الاتصال بين الأجيال**
- **فضاء المكاني: سواء كان فضاء المكاني في المكان الصاليح والزوايا أو فضاء الروحي بإحيائه بالممارسة الطقسية إحضار المقدس**

يمكن اعتبار أهمية إحياء المقدس بالمقاربة النسقية لها عدة وظائف منها : أن النسق الظاهرة يقوم على جانبين :

الجانب البنائي : وهو مكونات أي التنظيم في الفضاء (لفضاء التنظيم في أي مكان مثل فضاء الصاليح المكاني والروحي

الجانب الوظيفي :السيرورات وهي التنظيم والزمن (العمل بالساعات أوقات إحياء الوعدة أو كلما كانت ضرورة

الجانب التاريخي:مصدر النسق (النسق في الماضي) يأتي بتاريخه إلى حاضر التأريخية" [1]ومن الدوافع التي تؤدي إلى اللجوء للاستغاثة هي :

1 . إحياء المقدس وذكر كراماته الولي صاليح وخاصة مع تقديم الشيخ أو المقدم لأدلة ظاهرة على الشفاء العديد من تقربوا إلى المقدس، بينما لم يشفوا عند الطبيب وكان ظاهر في أجوبة المستجوبين.

---

1 . تاريخية historicist هي تلك القدرة الخاصة التي تميز المجتمعات والأنظم ة الاجتماعية على إعادة إنتاج ذاتها، وعلى امتلاك إمكانية الحركة والفعل التغير؛ وذلك عن طريق مجموعة من التوجهات الاجتماعية والثقافية، فبدل أن نضع مجتمعا في التاريخ، فإن الأمر يتعلق هنا بوضع التاريخية في قلب المجتمع، كمبدأ منظم لحقل العلاقات والممارسات. **ألان توران** .A Tourain ، 1973 ، ص 62

2 . نوعية الاستقبال إذ يكون في مقام الولي أو فضاء الزوايا، ممزوج بثقافتهم المعروفة من الكرم ، وحسن الضيافة والراحة، مقابل الطب الحديث الذي يعتمد على الرسميات من الإذن بالزيارة ، وأخذ موعد للفحص ، والمعاملة السلبية أحيانا خاصة في المصالح الاستشفائية العمومية.

3. اللغة التي يتم التكلم بها سواء في حقل الزوايا أو في حضن أضرحة الصلاح مفهومة ومقنعة ، وتأخذ البُعد التقليدي الديني في تفسير المرض، عكس لغة الطبيب عادة ما تكون مبهمة بمصطلحات علمية غريبة عن المريض.

3. في العلاج التقليدي تكون فيه قناة التواصل، بينما تنعدم في الطب الحديث خاصة لدى الأفراد الريفية. فإن حدث الشفاء بالصدفة، أو بتأثير السيكولوجي، بتعزز لديه أهمية الاستغاثة بما يسمى عندهم "**التسبيب**" وباقي على الله ، وينتشر الخبر بسرعة البرق بين أوساط الجماعية المحلية، وفي أثناء مواعيد احتفالية من "**وعدة**" أو **حضرة** ، مما يساعد أكثر في ديمومة استمرار حاجة إلى **المقدس** .

- ❖ و تبقى استمرارية الممارسة التقليدية بين الجماعة الطاعنة بالسن التي تسيطر على السلطة الروحية داخل العائلة، من بين عوامل اتصال النفسي بين أفراد العائلة وبين أفراد العصبة، أو الجماعة المحلية عامة التي تؤكد دائما على ضرورة التمسك بالمقدس
- ❖ كما أن البيئة وفضاء اتصال (فعالية النسق) له تأثير على حاجة إلى استغاثة **بالأضرحة** الصاليح هذا ما لاحظته من خلال المشاركة والمقابلة ، لأن أغلب الزوار يمثلون البيئة الحضرية بعدما كانت البيئة الصحراوية هي أكثر مشاركة وهذا راجع إلى فعالية المقدس باتصال بعالم الخارجي بعد الممارسات الطقسية داخل المدن نقلها عن طريق أهالي من مناطق لها خصوصية وجود هذه الأضرحة في بيئتها. إلى مناطق أخرى بعد الشفاء أو قبول استغاثة.خاصة الحمل
- ❖ وجود التأثير المباشر من المحيط العائلي الاجتماعي، في توجيه المريض نحوا **لضريح** عوض المستشفيات أو الطبيب، خاصة من قِبل الأولياء كبار السن، باعتبارهم أصحاب تجارب، كما أن تفسيرات المرض تأخذ بُعد ميتافيزيقي أحياناً، من تفسيرات طبية من **ضرب الجن** ، **مصروع** ، **تمشى أو ستخطى جدول أي كتابة الطُلبة أي السحر** ، كلها تفسيرات ليس لها مكان في القاموس الطبي، لهذا يتم الجنوح نحو الأضرحة، والشيوخ والطُلبة للرقية والكتابة ، وكثيرا من قابلتهم يؤكدون على فشل الطب في شفاء مرض **المصروع** أي الذي فيه **مس من الجن** ، والكثير من الناس لهم تردد في الذهاب إلى الطبيب و ذلك لأسباب منها :

1. لفـــــقـرهم
2. طالما خيب آمال البعض منهم خاصة طول مدة العلاج
3. يقابله خوف من الانسلاخ الثقافي عند احتكاكهم بالطب الحديث

4. رفض العديد منهم كشف طبيب **ذكر** على زوجاته وبناته **خاصة أطباء اختصاص أمراض النساء.**
5. أغلب المترددين على هذه الأضرحة يعانون من أزمات نفسية، ويبقى رفض الطب النفسي في المجتمع وربطه بأنه مختص لأمراض العقلية احد معوقات التي تصيب استمرار الطب الحديث في كشف عن عديد من الأمراض.وقد يقال أن العادة هي سبب استمرار هذه الظاهرة كوسيلة علاجية ، لكن النقد الموجه إذا كانت العادة ساعدت في الاستمرارية فإنها توجد و تنشئ المقدس. وتبرهن حاجة إليه.

الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي:

يبقى العامل الاجتماعي أكثر تأثير في حاجة الفرد إلى المقدس أما العامل الثقافي فيتمثل في تلك التمثُلات الذهنية أما العامل الاقتصادي فهو مؤشر على الصحة المالية لعائلة سواء قبل أو بعد إحياء المقدس وما يمثله في حياة الاقتصادية من المال والفلاحة والتجارة وذلك ما يُعبر عنه من خلال الممارسات الطقسية الفعلية في فضاء الولي الصالح وزيارة زوايا والتبرك بها وفعاليتها حتى بعد الممات، وتبقى هذه العوامل أكثر سببا في الجنوح العامة إلى إحياء المقدس وحاجة إليه :

1. **النمط الثقافي والاجتماعي** ، لجميع المستجوبين الموروث من خلال التمثُلات الجماعية حول **الأساطير، والكرامات، والخوارق** التي تُحكى عن ا**لضريح الولي** و**الشيخ الزوايا** ، ومن خلال فكرة "**الصاليح**" و **الشريف**" و **الصوفي**، التي هي مرجعية أساسية لهذه الظواهر والطقوس، والتي لها قيمة اجتماعية ورمزية في الوسط الاجتماعي ويّتم نقل هذه التقاليد، والأفكار وترسيخُها في الذهنية الجماعية لأفراد خاصة الفئة الناشئة بكل مظاهرها **اللغة، الدين، خوارق وكرامات وكُل أساطير عن الولي وقدراته خاصة الاستشفائية والانتقامية** كمّا الحاجة إلى تلبية الدعوات والراحة النفسية والشفاء من الأمراض تلجأ الأسر إلى الممارسة الطقسية في جلب البركة المقدس .
2. التأثير النفسي و **الشعور الذنب**، المعروفة بكلمة **دعوة الشر** و **دعوة الخير** التي تُمثل فكرة التجنب **الشر** بكل أنواعه يتطلب دائما حاجة إلى المقدس وهذا ما يتم فعلا عن طريق الممارسة الطقسية خاصة **الوعدة والزيارة** وهذا ما يتكلم عنه دائما الجماعة الطّاعنة في السن التي تملك السلطة الروحية على الجميع وهي من ترشد والتّحكم في السلوكات أحفادهم، تفسر كُل الأحداث الاجتماعية والاقتصادية التي تّصيب العائلة من بلاء أو عكس هي من تجيب على أغلب الأسئلة، التي تُشكل **مفهوم البركة والصحة والبلاء** ، حيث يّتم تفسير كل هذه الأحداث بـ : **امتناع من أداء الوعدة أو النية الغير خالصة، أو تصفية حساب لعدم وفاء بالعهد، أو يرجع الأمر كُله إلى قوى غير حسية مثل: العين الشريرة، الجن، الأشباح جراء من عدم التمسك بتقاليد خاصة احترام وتأدية الطقوس التي كانت تُقام سابقا**

3. كما أن الحالة السيكولوجية للفرد نفسه واستجابته لرغباته من أجل راحة النفسية تؤدي به إلى تذكر فضل وقدرة المقدّس في ذلك، ومنه تستدعي إلى الرجوع إلى تمثُلاته الروحية في إحيّاء نوعاً من الممارسة الطقسية، الفعليّة عن طريق العمليات التي كانت تمارس في الماضي، على أنها القيم التي تّجلب **الخير و البركة** ، وبها كان أجدادهم سعداء، و هذا ما تكلم عنه " **كاميلي**" **Camilleri "عقود حول الوجود المشترك بين الثقافة الحديثة والثقافة الأصلية،** حيث هذه القيم تتحول إلى ممارسة اجتماعية للطقوس كمتنفس للتوفيق بينهما، وبها يشعر الشخص أنه رجع لثقافته الأصلية الأم، التي تجلب له الراحة النفسية أكثر والبركة وبتالي دائما هو في **حاجة إلى فضل المقدس**.

وهذا ما لمسته من خلال أجوبة المستجوبين بالتعبير عنه بكلمة **عادة الجدود** الذي يُعتبر إرث لا يمكن التفريط فيه أبداً، ومن خلال تحليل خطاب المستجوبين، نستنتج أن تذكر الماضي يوجههم إلى الحاضر أكثر من توجههم إلى المستقبل الذي يبقى غامض إلا في حدود الممارسة الطقسية في فضاء المقدس.

4. إن توجه فئة المسنين إلى الممارسة الطقسية، أمام أضرحة الصلاح وزيـارة الزوايا، باعتبارهم ذوي التجارب، يُمثل نوع رئيسي في فضل المقدس وبركته في جلب الشفاء وبالتالي يحث المحيط العائلي بصفة خاصة والمحلي على ضرورة التمسك بالبركة المقدس والولي الصاليح ، وهذا ما يقوم به عديد من العائلي في شكل الجماعة واحدة بنوع من الحج الطقسي حول **الأضرحة الصلاح** سنويا وهذه الممارسات الطقسية تصل بهم إلى الشعور بالسعادة والراحة وأداء الوعد وأمانة في مقام الفضاء **المقدس** وتبجيله والاستغاثة به وطلب البركة وتحقيق الأمنيات منه، ولهذا يلجأ الكثير إلى إحياء والرجوع إليه بزيارة الأضرحة الصاليح وفضائه من أجل **الشفاء واستجابة الدعوة**.

5. أثناء الممارسة الطقسية في **فضاء المقدس**، لاحظت أن الزائر ينتابه نوع من الخوف والسكينة، داخل الضريح حيث تجري مناجاة صامتة بين الزائر والضريح وهذا الشعور، هو **الخوف من المقدّس**، وفي نفس الوقت فرح بوجوده في فضاء المقدس من أجل تجنب **دعوة الشر** أي من عواقب **جفاف الزرع بلاء فيضانات، فشل الدراسي أمراض، وفاة ،نقوع المواشي وأبقار، مصائب في الدنيا أو وفاة الأبناء و هم صغار**.... ، كلها تمثُلات التي تنتاب في حالة عدم أدائهم لمثل هذه الطقوس كما يقولون "**عقايب واعرين**" أي نهاية العمر تكون صعبة وغير محمودة العواقب.

وهذه التمثُلات لمستها لدى المستجوبين ويؤكدون أنها واقعية وتم معيشتها فعلا وهذا ما يبين فضل والبركة المقدس في الحياة الساكنة.

يرى أغلب المستجوبين أن **مقام الضريح** مكان للبركة، وقيمة رفيعة، بما يُمثله صاحب الضريح في تمثُلاتهم لهذا يقصده الزوار، للطلب البركة، وتحقيق أمنيات والرغبات كل زائر حسب نيته ورغبته، حسب

دراسة **بعنوان ما الشعبي في المعتقدات؟** للباحث (**صامويل شليكة** – Samuel Chalika ") نشرتها مجلة فصول في عدد (صيف– خريف 2002) يشير الباحث أن هذه الممارسات تنتشر بكثرة بين النساء لأسباب كثيرة لعل في مقدمتها تفشي الأمية والجهل والسعي الكثير من النساء في طلب الزواج والخصوبة ...، لكن الواقع شئ أخر، بدليل انتشار الاستغاثة بين جميع أوساط المجتمع وبمختلف طبقاته، وصل حد المسئولين السياسيين.وإن كانت دراسة (**صامويل شليكة** – Samuel Chalika ") ربطت هذه الممارسات الطقسية بمستوى اقتصادي وعلمي معين ، وأن من يمتلك رأس مال أكثر يكون أقل اعتقاداً بمثل هذه الممارسات، وأن الوسط الاجتماعي النموذجي لهذه المعتقدات هو وسط القرية أو المدينة القديمة أو التجمعات السكنية العشوائية، هذه الدراسة جديرة باهتمام إذ نجد أن أغلب ممارسي هذه الاحتفالات من القرى ومن الأرياف وحتى الزوار أغلبهم من هذه المناطق. نرى اليوم عكس ذلك إذ ساكنة الحضرية يقومون بزيارات الأضرحة الصلاح والتبرك وتقديم أضحية واستغاثة أكثر من الساكنة الأوساط الريفية وهذا ما يدل على فضل وأهمية المقدس في الحياة بصفة العامة ويدور حوله في العالم كله. وهذا من خلال تلك التمثلات الجماعية حول **المقدس**، هي تلك الصورة الخيالية الأسطورية لشخصية **الولي** وكراماته وقدراته الخارقة والتي ما زالت فعّالة تعتبر أحد عوامل أساسية في البركة زيارة الأضرحة الصلاح وينالونه من خير وبركة هذا الولي أو الشيخ. وفضائه.

حيث أن هذه الظاهرة البركة المقدس موجودة منذ القدم ، وأصلها متوارث بين أفراد المجتمع ولولا فضله وأهميته على العامة الناس ما تناقلتها أجيال المتعاقبة من مكان إلى آخر، ومنتشرة بين جميع الأوساط العلمية والاجتماعية بجميع طبقاته، لأن الأساطير الشعبية لها قدرة وسطوة على الحقائق العلمية والفعلية ولهذا سبب رسخت في الذهنية الجماعية لأفراد كثيرة من المجتمع وأعطيت لها صبغة دينية أثناء الممارسة.

6. كما أن فهم الناس للدين، واستيعابهم لأوامره ونواهيه وقيامهم بتنفيذها ،كل ذلك يتأثر بالمستوى الفكري، والاجتماعي، والاقتصادي للناس... ويطلق علماء الاجتماع على شكل الاستجابة **الشعبية للدين** و **المقدس هو الدين.**

ويتجلى التدين الأصلي حسب فهم الناس له واستيعاب لقواعده ، وأركانه وأوامره ونواهيه في المعاملات بين البشر وفي العبادات، أي الوعي الشعبي بالدين وهذا ما تردد عند الكثير من المستجوبين **هذا الدين الذي كان عليه جدودنا، هل جدودنا كانوا كفار ؟ رداً على الخطاب فقهي مناوئ لهذه المعتقدات والممارسات المرتبطة بها** ، وحسب أحد المستجوبين وهو موظف **إذ يقول أن الرافضين لهذه الممارسات ليس لهم مكان داخل كل هذه الحشود العريضة** ، أي يشير للحاضرين **الموسم الاحتفالي** كما أن معنى التوسط توسط بالأولياء لدى الله، هو جزء من الإسلام كما يدركه ويفهمه عامة إنه "**التدين الأصلي بوعيه الخاص**".

وحسب التصور الجمعي في الواقع المعاش فإن زيارة الأضرحة الصلاح موجودة لأنها تؤدي أدوار ووظائف وهؤلاء الناس لا يعتقدون في ضريح، بل يقبلون على تعامل معه كوسيط على سبيل استجارة لأنهم وصلوا إلى قمة بالفضيلة، والتعّبد والعلم ولهذا يتم استجارة بهم لكي ويصولوا دعواتهم إلى الذات الإلهية، وهذا ما ترسخ في الوجدان الشعبي الجمعي من حب، ولهفة ، وتقديس تجاه كل ما **يتصل بالمقدس**.

المحور الثالث:تطبيق المنهج النسقي على الظاهرة الفضاء الصاليح

مفهوم المنهج النسقي

المفهوم:من الصعب أن نعطي تعريفا لا اعتراض عليه ومحددا لكلمة **نسق** نسق درراً عقد رتب وعطف بعضه على بعض نسق عبارات.

تعريف النسق في معجم المعاني الجامع نسق اسم، مصدر نسق، النسق ما كان على نظام واحد من كل شئ

النسق الاجتماعي هو أية وحدة اجتماعية ضمن نظام اجتماعي تؤدي وظيفة ضمن شبكة معقدة يهدف أطرافها إلى تحقيق التكافل والاستقرار في المجتمع.

تعريف ليفي النسق للسلوك الاجتماعي يتضمن جمعا من الأفراد المتفاعلين

و**يعرفه راد كليف براون** بأنه مجموعة من الأفعال والتفاعلات بين الأشخاص الذين توجد بينهم صلات متبادلة.وذهب آخرون إلى أن **النسق عبارة عن كيان عام تتداخل عناصره ومكوناته على نحو يجعله يتفاعل ويتبلور في النهاية في صورة أو أخرى، وأي نظرية تحاول أن تتعرف على الكيفية التي تترابط بها هذه المكونات وتتفاعل يطلق عليها نظرية الأنساق.**

بعد هذه لمحة يمكن تعريف النسق على الشكل الآتي:

النسق هو كل مركب من مجموعة من العناصر لها وظائف وبينها علاقات منظمة، يؤدي هذا الكل نشاطا هادفا وله سمات تميزه عن غيره، وأن هذا النسق يقيم علاقات مع البيئة التي تحيط به فالنسق في زمان معين ومكان معين"

إن هذا التعريف يعني ما يلي :

1. **لكل نسق كيان خاص وله حدود معينة تميزه عن البيئة التي يعيش فيها**، وأن كل عناصر و **أجزاء تقع داخل هذه الحدود**، بينما يسمى كل ما هو **خارج هذه الحدود بيئة النسق.**
2. أن **بيئة النسق** هي كل ما يؤثر على هذا النسق ويتأثر به، **فالنسق يأخذ من بيئة الموارد والمدخلات الأساسية ويزودها بالمخرجات .**

3. إن **عناصر النسق مترابطة ومتكاملة وتقوم بوظائفها من خلال هذا الترابط والتكامل** فكل **عنصر من عناصر النسق يؤدي وظيفة ما** ، ولكنه **لا يؤديها بشكل منفصل** عن الأجزاء الأخرى بل إن **قدرة العنصر على أداء وظيفته ترتبط بعلاقاته المنظمة مع العناصر الأخرى.**
4. **يستمد النسق مدخلاته من البيئة** و**المدخلات هي الطاقة والمواد والمعلومات** ، وهذه المدخلات هي أساس عمل النسق واستمرارية وجوده **فلولا هذه المدخلات لأندثر النسق بعد فترة من الزمن.**
5. **للنسق أهداف ووظائف** ، فهو مسؤول عن إنتاج مخرجات محددة يزود بها الأنساق الأخرى الموجودة في البيئة كما قد تكون مخرجات نسق ما مدخلات لنفس هذا النسق.
6. إن **عمل النسق عمل تحويلي فالنسق هو محول يحول المدخلات إلى مخرجات** أو يحول الموارد الأولية إلى مخرجات منظمة حسب معايير معينة.

أنواع النسق

يميز الباحثون بين نوعين من الأنساق هما: **النسق المفتوح** و**النسق المغلق**

النسق المفتوح: النسق المفتوح هو النسق الذي **يتميز بعلاقات تبادلية بينه وبين بيئته** فيستمد موارده الأساسية منها، ويزودها بمخرجاته، **بعكس النسق المغلق الذي لا يتأثر في بيئته أو يؤثر فيها** و**يتميز بالخصائص التالية:**

- ✓ يتبادل النسق المفتوح التأثر والتأثير مع البيئة فيأخذ منها المعلومات و الموارد الأساسية (**المدخلات**) ويزودها **بالمخرجات، فالنسق المفتوح له مدخلات و مخرجات مرتبطة بالبيئة التي تحيط به.**
- ✓ يحافظ النسق المفتوح على **حالة من التوازن والاستقرار** ، فالنسق يحافظ على مكوناته و على النسب بين هذه المكونات بشكل مستمر، فإذا حدث خلل فإنه يعيد تنظيم مكوناته بما يساعده على أن تبقى علاقته مع البيئة ايجابية ومتوازنة دائما ، فهو في حالة تكييف مستمر مع البيئة وهذا ديناميكي لأن النسق لا يتجمد بل يتفاعل بشكل مستمر مع بيئته.
- ✓ إن مدخلات **النسق المفتوح معقدة فهو لا يعتمد على مدخل واحد طريقة واحدة للحصول على المدخلات،** كما أن **مخرجات هذا النسق معقدة** ، و**يزداد انفتاح النسق على البيئة كلما ازداد تعقد مدخلاته ومخرجاته** ، أما **المغلقة فإن مدخلاتها قليلة جدا ومحددة ومخرجاتها بسيطة أيضا.**
- ✓ إن نشاط **النسق المفتوح مستمر فهو يستورد موارده الأساسية من البيئة ويحولها إلى مخرجات تلبي حاجة البيئة** ، وهذه المخرجات تؤثر مرة أخرى على مدخلات النسق من حيث النوع و الكم.
- ✓ **النسق المفتوح أكثر قدرة على البقاء والاستمرار** وذلك لأنه قادر على استيراد الطاقة والموارد الأساسية بشكل مستمر ، **وهذا يساعده على الصمود لعوامل الفناء والتغير.**

- ✓ يتلقى **النسق المفتوح تغذية راجعة منظمة، ويستجيب لهذه التغذية، ويعدل من مدخلاته وعملياته في ضوء ما يتلقاه من تغذية راجعة.**
- ✓ إن **أجزاء النسق المفتوح مترابطة ومتكاملة** .. وتقوم بعض أجزائه بنشاط ما مثل استقبال الموارد من البيئة، بينما أجزاء أخرى بتحويلها إلى صورة أخرى، **وتقوم أجزاء أخرى بالمحافظة على النسق وصيانة وجودة ويكون ناتج النسق هو محصلة نشاط أجزائه.**
- ✓ **تتشابه الأنساق المفتوحة عند نشأتها ولكنها بعد فترة من تفاعلها مع البيئة تتميز عن بعضها وذلك حسب نشاط كل نسق في تفاعل وفي قدرته على استيراد الموارد والطاقات من البيئة.**

النسق المغلق: يسمى النسق **مغلقا إذا كانت علاقته مع البيئة محدودة جدا** فلا يستورد من البيئة موارد هامة ولا يزودها بمخرجات هامة، فهو نسق معزول عن بيئته، ويتجاهل تماما ما يدور في البيئة وغالبا ما تسير هذه الأنساق نحو الضمور التدريجي والاختفاء.

شرح بعض المصطلحات:

- **البيئة:** تشمل كل ما هو خارج النظام البنيوي للمجتمع مثال النظام السياسي فإن بيئته تشمل كل ما هو خارج النظام السياسي ولا يدخل في مكوناته ومنه يؤثر فيه أو يتأثر به ومثل البيئة الفضاء الصالح هو كل ما يدخل في إطار المقدس وتنقسم البيئة إلى نطاق المجتمع إلى :
- **البيئة الداخلية** :وتشمل الأنساق الداخلية مثل صراعات الثقافية والعولمة وقطبية أحادية مع **عادات والتقاليد والأعراف والقيم والدين** أما من جانب السياسي والاجتماعي مثل **الاقتصاد والثقافة والبناء الاجتماعي** .. وما تمثل مصدرا للضغوط والتأثيرات المتعددة التي تعمل على صياغة الشكل.
- **البيئة خارجية** : وهي تشمل ما يقع خارج المجتمع الموجود فيه **النسق الاجتماعي عادات والتقاليد والأعراف والقيم والدين** أو السياسي تتمثل **الأنساق الدولية والسياسية والاقتصادية الثقافية وتشكل النسق الدولي الكلي.**
- **المدخلات:** هو كل يتلقاه **النسق من بيئيته الداخلية وخارجية** وهي مجموع التغيرات التي تحدث أو يحدثها النسق في البيئة المحيطة والتي تؤثر فيه وتعمل على تغييره و تبديله بأي **صورة كانت و يقسمها دافيد أيدسون**

1. **مطالب:** التي تمثل **حاجات الأفراد و المجتمع روحية أو المادية** وتفضيلا تهم المتنوعة تقوم الأبنية الاجتماعية والسياسية وتشكل جماعات الضغط **السلطة للشريف** ، والصاليح والكرامات والأسطورة الصاليح وقدرة المقدس على تلبية احتياجات المستغيث، كبار السن لهم السلطة الروحية الرأي العام مثل الجمعيات الطلابية في الجامعة والجمعيات المحلية والوطنية

2. **التأييد**:النسق من جانب السياسي وسيلة للتأييد موجه للنظام السياسي ويساعد القواعد العامة للعبة السياسية أخرى للحكومة مع وجود تأثير متبادل بين الأصناف بحيث إذا ارتفع أحدهما أنخفض الآخر ..وهناك تأييد صريح و الضمني، و **إذا تم** تطبيقه على الظاهرة حاجة الفرد للمقدس وقدسية الفضاء الصاليح فإن التأييد هي الاعترافات بقدرة المقدس على جلب البركة و الراحة النفسية التأييد متبادل.

المخرجات: وتتمثل في مجموعة الأفعال والقرارات والتصريحات سواء بضغط الاجتماعي وثقافي وعقائدي التي تصدر من المجتمع وأفراده ونخبته وبيئته ، وإن كانت للظروف السياسية فهي ترجع إلى النظام وما يصدره من السياسات العامة والدعاية والقرارات الملزمة وذلك استجابة للمطالب الفعلية أو المتوقعة التي يرد إليه من بيئيته وتمثل المخرجات النقطة الختامية في العمليات المعقدة التي تتحول من المدخلات إلى المخرجات. و **إذا تم توظيف المخرجات على الظاهرة قدسية فضاء الصاليح فإن المخرجات هي تلك الممارسات الطقسية في فضاء المقدس المكاني و الزماني أو في فضاء الروحي بذكر و إحياء اسمه و بركته بعيدا عن فضائه المكاني.**

نموذج أستون المبسط للنظام السياسي الموسوعة السياسية 2022

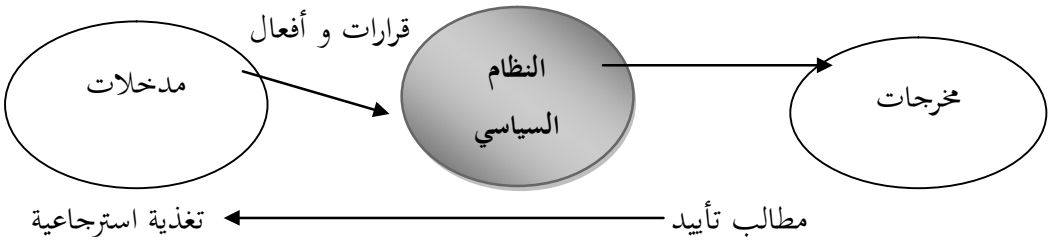

تطبيق النموذج دافيد أستون على الفئة المدروسة و ما يقع داخل المجتمع

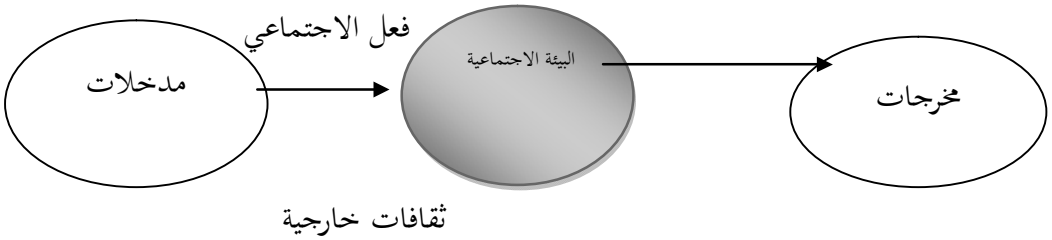

صراع حضارة غربية ← استرجاع مع الذات و عوامل التنشئة الاجتماعية بما فيها الدين والثقافة

المصدر: نحاول توظيف مخطط أستون المبسط للنظام السياسي إلى النظام الطقوسي في فضاء الصاليح

((الموسوعة السياسية .2022))

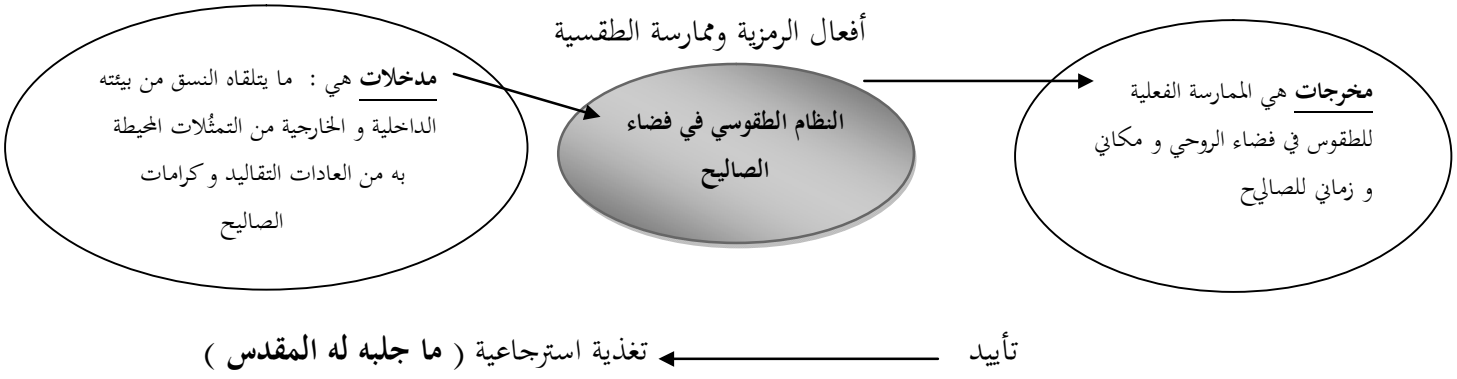

نموذج ما يقع في فضاء الصالح

خصائص و عناصر المنهج النسقي

حدد أغلب الباحثين خصائص المنهج النسقي في خمسة خصائص و هي

1. التجلي Emergence
2. الاتصال Communication
3. المراقبة Contrôle
4. التكيف Adaptation
5. الهرمية**Hiérarchie**

مثال: الكلية كنسق تتكون من أساتذة،طلبة، إدارة، أعوان أمن، بناية، أجهزة .. هذه العناصر كبنيات تؤدي وظائف هذه الوظائف مجتمعة هي التي تؤدي إلى النسق ككل الذي هو الكلية.

مثال: الحكم أو السلطة لا تتحقق بحشد شرطة، الجيش وإدارة ، ومؤسسات أخرى ، بل لابد من نظام متكامل هو الذي يؤدي إلى ظهور الحكم أو السلطة كخاصية تتحقق على مستوى النسق

السياسي، باعتباره كلا منظما بداخله وظائف وبنيات تربطها علاقات معينة ومن كل هذا تخرج خاصية الحكم كخاصية مميزة للنسق السياسي

مثال: كذلك ظاهرة حاجة الإنسان للمقدس الذي هو **الرمز المُقدس** و **الزمان المُقدس** و **المكان المُقدس** وارتباطه بالكينونة والحقيقة حيث أن الدين هو التغذية الضرورية للحياة بعبارة أخرى أن تكون إنسانا يجب إن تكون متدينا والمقدس عنصر أساس في بنية وعي الإنسان. **المقدس هو النسق متكامل متكون من التمثُلات والرموز هي تلك العناصر و كيانات التي تؤدي وظائف هذه الوظائف مجتمعة هي التي تؤدي إلى النسق ككل الذي نسميه المقدس الذي من اجله يتم القيام بالطقوس فعلية وتتميز بالتجلي**

والتجلي Emergence : **يعني أن النسق ليس هو مجموع العناصر المكونة له هو أكثر من ذلك ، هي خصائص متميزة لا تتحقق بجمع العناصر المختلفة للنسق ، بل لا تفهم هذه الخصائص المتجلية إلا عل ضوء النسق ككل.**

و الاتصال: Communication داخل أي نسق يجب أن نجد قنوات للإيصال، أي انتقال المعلومات داخل النسق وعلى أساس انتقال هذه المعلومات والاتصال يكون دائما أثناء القيام بالطقوس الفعلية و تلك القصص و الكرامات الصاليح و بها تتم المراقبة.

المراقبة Contrôle:بناء على المعلومات التي تنتقل داخل النسق تتحقق المراقبة عن طريق ما يُسرد عن ظاهرة التي هي النسق من الشفاء و تلبية الدعوات والراحة النفسية وما يراه و يشاهده المُريد .

III وظيفة المقدس

المقدس له وظيفة كبيرة لدى معتنقيه إذ بعملية واحدة من الطقس، يتخلله الخشوع والرهبة وتقديم الأضحية أو القربان، حتى يشعر الممارس بالراحة و الحماية.لهذا يمكن القول أن جميع الناس، وبالبداهة أنهم يرتاحون للمقدس لأنه يوفر الإجابة عن كل تساؤلاتهم وحيرتهم،ويُقدم لهم إجابات عن كل الأحداث الطبيعية والاجتماعية التي هي في الذهنية الجماعية لأفراد، حيث يشعر الفرد بالراحة والاطمئنان وبالتالي يمكن اختزال القول أن المقدس هو إحدى الأدوات الأمن و الحماية لأفراد.

المقدس أيضاً يتجسد في رضا الإنسان بالذل أمامه، فكل مقدس يتم التعبير أمامه بالنية الخشوع وإظهار الرهبة ، وهذا ما يُشكل وجود المقدس في وجدّانية الناس لمدة طويلة من الزمن ، حيث تنتقل بين الأجيال التي تتنغم باسمه في حياتهم اليومية حتى الآن.

ولذلك من وظائفه أنه رمزي،فهو فعل كلامي مبني على إقرار مشترك بالإيمان بالقيم الأساسية المقنعة بقدر اعتماده على المرجعية الدينية على أساس فكرة الصالح وما يتصوره المجتمع عنه من القيمة الرمزية التي تعبر على أصالة الثقافية".(نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 285).

سبق القول أن التمثُلات تتكون من **المرجعية الصوفية ، والصلحاوية ، والشرفاوية** وبتلاحيهما مع بعض تتّشكل السلطة الروحية للمقدس، التي تعتبر أهم عوامل استمرار ظاهرة الاعتقاد فيه، وبالتالي يُعبر عنها بالممارسة الاحتفالية الاجتماعية.

وهذه طبيعة هذه السلطة الروحية أنها تختزل إلى مجرد رمز، إلى مجرد اسم، إلى مجرد ممارسة طقسية لكن لها معنى ودلالة عند ممارسيها في الحاضر والماضي وسيبقى في المستقبل أيضاً.

و يمتلك المقدس سلطة قوية أكثر من السلطة الزمنية لأنها سلطة الروحية، التي تؤدي الاعتراف به هو الاعتراف بالسلطته التي يُعبر عنها بالمشاركة الاحتفالية وقوة المشاركة في الممارسة الطقسية هي التي تحدد العلاقة بين المقدس وبين ممارسي الخضوع له ، **فيحوز المقدس على قوة إضافية واعترافاً إضافياً وفعالية إضافية وذلك باستمرار الممارسة الطقسية** ويمنح لممارس الراحة النفسية والأمان والحماية ... **زيادة على اعتراف الدولة بأهمية المقدس و هكذا تتواصل الارتباطات داخل حقل المقدس كما هو مبين في الشكل رقم2.**

الشكل :

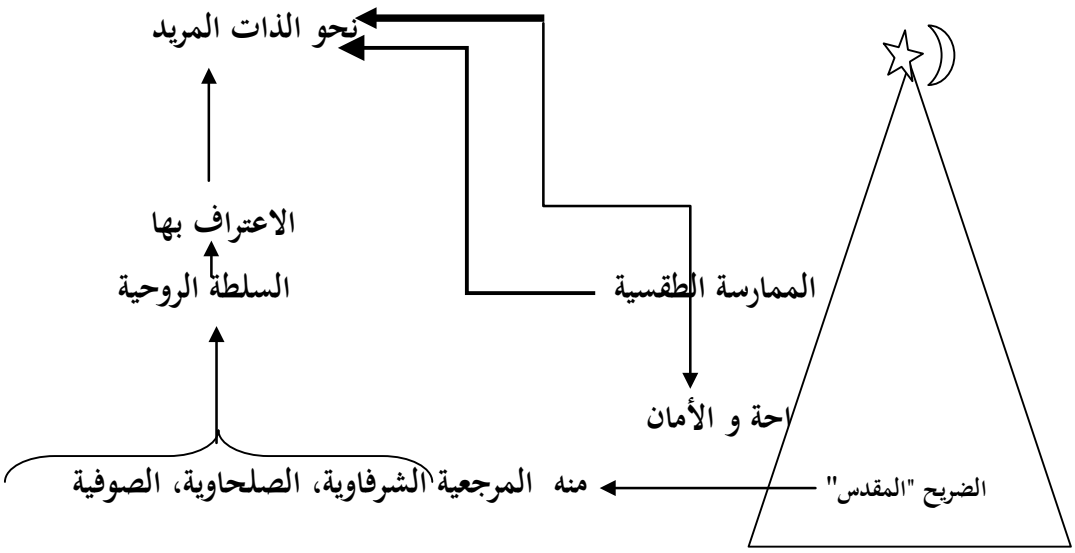

المصدر: من اعداد الباحث

من مميزات الخاصة بالمقدس أنه " **رمز**"، فيتحول إلى السلطة الروحية تصاحبها ممارسات الاحتفالية الاجتماعية فعلية، وهي في ديمومة مستمرة ، إذن هو من يتحكم في الذات طابعه الديني في الحياة هو ما نراه من خلال تبريرات معتنقيه في كل ممارساتهم اليومية والفردية ، وتبريراتهم لكُل أفعالهم ، وكل الحوادث

التي تحدث بصفة عامة أو تحدث لهم ... إنه الفكر الذي في عقولنا...تلك السلطة الروحية القوية التي تصاحب المقدس في كل الاحتفالات الاجتماعية والاعتقادية هي من أعطته صفة الرمزية، وبالتالي صعبت من اختراقه منذ الأزمنة الأولى من خلال التمثلات المرجعية المصاحبة للمقدس ، هي التي منحته السلطة الروحية على الذات الفردية والجماعية، على شكل الرمز، تجعله كحقيقة ماثلة على الذوات في كل الأفعال وفي التمثلات الجماعية التي يُعبر عنها من خلال الممارسات الطقسية.

كما أن من **وظائفه اجتماعية** تكون عندئذ وبصورة أساسية " **تعبيراً عن هوية**"(**كاميلري** Camilleri 1979 ص 341) مستعادة بل تعبيراً جلياً عن الهوية. (نورالدين طوالبي ، 1988 ، ص 42). **وظيفة المقدس الحقيقية** هي شعور المعتقد بالراحة النفسية والحماية من كل طارئ سواء أثناء ممارسة طقوسه، و بعد ممارسة طقوسه ولأنه يجيبه عن كل تساؤلاته بالتالي هو أداة للأمن السيكولوجي والحماية الاجتماعية من الحوادث والمصاعب.

توصل **نورالدين طوالبي** في دراسته **الدين والطقوس والمتغيرات** على أن وظيفة المقدس من خلال تعبيراتها عن الطريق الممارسة الاحتفالية الاجتماعية الاعتقادية تبقى **بالأساس، نفسية باعتبار أن الطقس يصبح بالطبع في هذه الحالة المرحلة النهائية لعملية إزالة الشعور بالذنب الطويلة والمعقدة ، فالناس يصرفون فيها انفعالاتهم .(نورالدين طوالبي، 1988، ص 177)**. وحسبه أن تقربوهم من المقدس من أجل إزالة الشعور بالذنب وطرد الأذى، إذ يتضاعف دوره المطمئن في هذا الشأن، ويأخذ بُعد دفاعي في شتى الأشكال منها:

الشكل النفسي:

إذ يعتبر إزالة الشعور الذنب وطرد الأذى من الوظائف الرئيسية للمقدس في الوجدان الذاتي لمعتقديه،**إذ يفرض العودة إلى الطقس في فترات منتظمة يتضمن التعهد بانجاز نرجسية الأنا بمنأى عن كل ما هو غير موزون، وبذلك يتم تدارك البؤس في كل متغيراته ويؤمن مساراً وجودياً محباً لتلك الطقوس الممارسة"**[1].

الشكل الاجتماعي والثقافي

أيُّ نسق اجتماعي يحتوي على نوعين من **العمليات فالأولى**: تعمل على الحفاظ عليه وضمان استمراره **كالتنشئة الاجتماعية** ، و **الضبط الاجتماعي** ، و **عملية الحفاظ ونقل الإرث الثقافي بين الأجيال من أجل التواصل**، أما **العملية الثانية**: **تسهر على تغيره وتبديل** و**الضبط الاجتماعي** يستخدم

1 . نور الدين طوالبي في الإشكالية المقدس ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 177

لحفاظ على القيم المجتمع، وإلزام كل معتقد بدفاع عن هذه القيم، عن طريق إحياءها من جديد وافتخار بها أما **تغيير والتبديل** تستخدم من أجل استرجاع هذه القيم.[1]

❖ **وظيفة المقدس الدفاعية والحماية:**

فالوظيفة المقدس الدفاعية من خلال الممارسة الطقسية، يكون عن طريق تقوية المشاعر وتثبتها للحفاظ على تماسك أفراد الجماعات وتضامنها، وهذا التضامن يؤدي بدوره إلى خلق وتجديد المجتمع وذلك بإعادة إحياء العادات القديمة على أنها القيم مستعادة تعبر عن الهوية، حيث يتم الدفاع عنها بقول كثير من المستجوبين: **عادة جدودنا عادة الجدود، ثقافتنا، عادتنا، وعدنا** وإن اختلفت التسمية غير أن الدفاع عنها ينطلق من وظيفة أساسية للمقدس في الحفاظ على رمزيته الروحية عن طريق استرجاع وإعادة إحياء التقاليد الماضية على أنها إرث يجب الدفاع عنه.بإضافة لما يرمز إليه المقدس من بُعد أسطوري ، يمتد في أعماق التاريخ الديني عبر الارتباط الدموي بالنسب النبوي الشريف، أو أحد خلفاء الراشدين ، هذا من خلال تلك الشجرة المعلقة في جدران الأضرحة، ظاهرة للعيان وما تُمثله من قيمة دينية لدى الزوار ووظيفتها رمزية كدعم معنوي رغم وجود المقدس.

إن الهدف من الممارسة الطقسية في حقل المقدس حسب (**نورالدين طوالبي** 1988 ص 38) **هو إعادة التوازن الداخلي للإنسان الذي يمزقه اتصاله مع تقلبات العالم الخارجي .القاعدة الاجتماعية هي الشعور بالأمان عند اللجوء إلى الطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليتقي الدنس أو يتخلص منه ... إن المحرمات التطهيرات، طقوس الانتقال، هي ردود فعل دفاعية ضد هذه التهديدات** قول ل: Cazeneuve. J " **نورالدين طوالبي** (1988 ص 38)

حسب ما توصلت إليه من خلال دراستي الميدانية أن الوظيفة الحقيقية "للمقدس" هي "الحماية"، إذا توصل نورالدين طوالبي في دراستيه أن وظيفة المقدس دفاعية، طبعاً الدفاع يكون عن القيم الثقافية والمرجعية الصوفية في حالة تهجمها من طرف خطاب أو الأيديولوجية معادية لها ، لكن أنا أرى ممارسة طقسية من أجل شئ واحد هو الخوف من المجهول، إنه إضطراب نفسي حقاً إذن يجب أن أمارس طقس ما تخليت عنه يوماً هكذا يجيب نفسه ... الغرض والهدف هو من العودة للممارسة هذا الاحتفال الاجتماعي الاعتقادي ... هو الحماية الاجتماعية والسيكولوجية من القوة –فوق قوته.

❖ **مناقشة الأفكار الرئيسية و علاقتها بالفرضيات :**

---

1 . نفس المرجع ، ص 177

علينا أولاً التذكير بالدور الذي يلعبه المقدس في إطار هذا البحث، أي الوسيلة الموضوعية أو بشكل أفضل دور المختبر لنعبر فيه بصورة أكثر شمولية عن تمثلات التغير الاجتماعي.
و يتم استخدام الطقس مثلاً كوسيلة للارتقاء، إلى تحليل انعكاسات التغيير النفس اجتماعية وكيف تتّخذ تلك التصرفات أو السلوكات الطقسية سيكولوجياً أكثر منها دينياً.

1. يتكون الفضاء الثقافي للجماعات المحلية من القيم، التي تتحول إلى طقوس ارتبطت بالزوايا كموروث تاريخي، أو كمرجعية الصوفية، الصلحاوية، الشرفاوية هي تلك الكرامات والقدرات الأولياء الخارقة التي تصبح تُمثل في ذهنية الجماعية على أنها الثقافة الأصل، أو هي أصل الوجود حيث يستخدم **كامليري Camilleri** **معنى عقود حول الوجود المشترك** بين الثقافة الحديثة وبين الثقافة الأصلية، كانت هذه أولى الفرضيات التي انطلقت منها على جدلية، كلما كانت هناك رغبة قوية نحو سيكولوجية شديدة تجاه القيم الجديدة سيقابله تعلق كبير بالقيم القديمة، وهذا ما تأكدت منه من خلال أجوبة المستجوبين "بالتعبير" **عادتنا، عادة الجدود، ثقافتنا، تقاليدنا ، بها كان جدودنا بخير** ... كل هذه التعابير توحي التمسك بالقيم الماضية في مواجهة الثقافة الحديثة خاصة الغربية.

كما أن فرضية الشعور بالذنب الذي تلازم الإنسان نجدها حاضرة بالقوة في تفسيرات عديدة منها حسب قول بعض المستجوبين: **حمد الله أديت لي عليا ، أي تخلص من عبئ كان على عاتقيه** ، أو **أديت واجبي اتجاه جدي أي ضريح** ، أو **أديت وعد أبي** ، أي وعدة التي لازم بها أبوه نفسه اتجاه "**المقدس**" كما لاحظت أن شخص أو شخصين من عائلة هم من يقومون بأداء هذا الوعد نيابة عن كُل أفراد العائلة وجُلهم يحضر هذه المراسيم الاحتفالية، وما تجلبه من راحة نفسية لمعتقد.

كانت هذه الفرضية في صواب، إذ تعتبر هذه العوامل من بين أحد أسباب ديمومة الحدث الطقسي، غير أن لأساطير دور كبير في تأثير على التمثلات الجماعية للناس بصفة عامة، مما تحمله من الأفكار التي تعتبر مقدسة لا يمكن رفضها أو مناقشتها فأصبح اعتقاد الكثير من الناس في الطقس الديني و يجب احترامه وتبجيله والمحافظة عليه ، وخضوع للمقدس.

2. انطلاقاً من رمزية المقدس الذي يتم الاستشفاء في حظيرته، باتخاذ عدة طرق منها تعزيمات " **الشيخ**" أو "**المقدم**" والتبرك بالضريح، مسح الوجه بقطعة القماش التي هي فوق القبر ، وأخذ التراب، كلها وسائل لاستغاثة الغرض منها الشفاء، بمقابل وجود الطب الحديث بكل تقنياته ووسائله المتطورة ، كانت فرضية تنطلق من خلال التمثلات الجماعية التي تتحكم في السلوك الاجتماعي للجماعة والفرد.

ومن خلال أجوبة وملاحظة والمشاركة ، تعتبر الأساطير والتمثُلات الجماعية هي وقوة تأثير المقدس على النفسية وثقافة اجتماعية للجماعات المحلية خاصة الريفية التي تعتبر العينة الأكبر في البحث، حيث تعتبر العوامل الثقافية ، والاجتماعية والسيكولوجية من بين أهم أسباب، والدوافع اللجوء لاستغاثة قصد الشفاء ، وكانت فرضية في محلها ، غير أن للعوامل الاقتصادية سبب خاصة مع غلاء الفحص الطبي المركز وتفسيرات الخاطئة للمرض في غالب الأحيان، مع جهل الكلي بالطب النفسي، وهذا ما لاحظته عند جُل المستجوبين حيث يرونه خاص بالمجانين فقط و إن كانت أغلب الأمراض عندنا في الجزائر ، أمراض نفسية الشفاء و بالتالي تستدعي تشخيص طبي نفساني ، وليس تشخيص للطب العادي .

3. ينظر الكثير إلى أن **ضريح** الولي هو أحد رجال الله الصالحين، وله قدرة على تحقيق الأمنيات وشفاء الأمراض، ومن خلال تلك التمثلات حول كراماته السابقة والتي يظن الكثير أنها ما زالت فعالة حتى بعد الممات، أما الشيخ الزاوية فيتصورنه أنه رمز ديني، وما يحمله **الشيخ** من المرجعية الدينية خاصة فيما يتعلق بالطرقية والتصوف، والشرفاوية ، وأنها وراثية بين أفراد عائلته زيادة على النسب الشريف ومن خلال هذه الفرضية تأكدت أن الضريح الولي يبقى أكثر **تقديس** في الممارسات الطقسية وذلك راجع إلى المرجعية الأسطورية لكراماته وخوارقه التي تبقى راسخة في الذهنية الجماعية لأفراد عبر الأزمان ومكان لا يُمكن لأحد أن يناقشها أو يكذبها .

أما شيخ الزاوية رغم الاحترام الكبير الذي يتمتع به من كُل أفراد المجتمع، وحتى من السلطات المحلية، أو ممثلي الدولة، يبقى الرمز الروحي للزوايا ولطريقته الصوفية ويتم تبجيله أحياناً من طرف الكثير من الناس أما من خلال أجوبة المستجوبين لا يرون فارق الكبير بين الأضرحة الموجودة في **القبب** وبين ضريح الشيخ المدفون بجانب الزاوية إذ كلاهما يرونهم في نفس المرتبة ، أما الشيخ الزاوية يرونه حسب تصوراتهم من خلال أجوبتهم أنه "**بركة كبيرة**" و**فقيه بالعلوم الدين**.ساعدتني هذه الفرضية على تأكد من ، الفرق الجوهري بين قيمة الضريح ، من خلال التمثُلات التي تحملها الذهنية الجماعية ، وبين قيمة الشيخ الحي والموجود بين أوساط أفراد المجتمع.

أما فيما يخص الممارسات الطقسية، تختلف قليلاً بين الزاوية، ومقام الضريح من حيث الجو الاستقبالي وطريقة الزيارة في الزاوية التي تتمركز حول شخصية الشيخ وحضوره المؤكد، وعدم مغادرة دون إذنه، عكس أضرحة الصلاح التي تفتقد لهذه البروتوكولات الرسمية.

4. كانت الفرضية الأخيرة والمتعلقة باهتمام الدولة بالمؤسسات التقليدية، وخاصة الزوايا والطرق الصوفية وتدعيمها مادياً، ومن خلال النتائج الأولية وخاصة أجوبة المستجوبين الذين لا يرون مانع في حضور السلطة ومشاركتها احتفالاتهم، بل بعكس كُلهم رحبوا بها خاصة بالتوفير الأمن، وحضور السلطات المحلية التي تعتبر الدعم معنوي لهم، و من خلال هذه الفرضية أتضح لي أن الهدف كان واضح منذ

بداية الثمانينات، وإعادة تجديد الجمعية الوطنية للزوايا ، والاتحاد الوطني للزوايا، إلا لهدف واحد وهو التحكم في المقدس وبالتالي التحكم في مريده ، وذلك من أجل استخدام ورقة الزوايا في مواجهة الحركات الإسلامية الجهادية، حسب التوجيهات الأمريكية الواردة في عدد من الدراسات الإستراتيجية الداعية إلى اعتماد التيارات الصوفية كبديل جماهيري **وربما سياسي** للتيارات الإسلامية الموصوفة بالتشدد وساهمت الفرضية كثيراً في إبراز عوامل الكامنة وراء كُل هذا الاهتمام، وبالإضافة إلى الدراسات الإستراتيجية حول التدين الشعبي والاهتمام الأوربي والأمريكي بذلك تحققت صحة الفرضية.

خلاصة الفصل

تعتبر أساطير وكرامات الأولياء الصلاح تمثلات في ذهنية العامة حيث تتحول إلى **المقدس** بكل ما تحمله المعنى، خاصة تلك الحوادث وقصص التي تروى عنهم سواء في حياتهم أو بعد التوسل وزيارة لهم من الشفاء مريض أو تحقيق طلب، أو فرح بعد زيارته له .... ونتيجة لهذه التمثلُات، يُحي الزوار عمليات طقسية في حضرته أو باسمه، من أجل كسب الود، والبركة، وقبول الدعاء، وجلب الراحة النفسية، ولا ننسى الشعور بالخوف من المقدس، في حالات التي يُشعر الزائر بتقصيره ناحيته، أو عدم أداء وعدة أو شئ من هذا القبيل.

كان الهدف من الدراسة معرفة درجة حاجة الإنسان إلى المقدس الذي يُساهم في استمرار ضبط حياته النفسية قبل الاجتماعية، وإن قدرة اعتقاد في المقدس و فعالته وقدراته في تغيير حياة الإنسان من درجة إلى أخرى وتلك القصص وكرامات وأهمية القيام بالوعدة في فضاء الأضرحة، وبركة الشيخ أصبحت حقيقة لها سطوة الحقائق العلمية لا يستطيع احد إنكارها، وقد رسخت في الذهنية الجماعية لأفراد المجتمع بكل أصنافه ، يبقى السر الغامض في مفهوم المقدس ودوره في حياة الفرد والجماعة باختصار معرفة دور **ووظيفة المقدس** بصفة عامة.

من خلال النتائج المتوصل إليها تعتبر التمثُلات وكرامات الصلاح التي تتحول إلى قدسية لدى في الذهنية الجماعية كإرث مادي يتحكم في السلوك الأفراد جيل بعد الجيل قد ازدادت أكثر خاصة بعد انتشار فيروس كرونا وكيف تم تداول فكرة أن الدعاء والتوسل بالصلاح وقيام فعلي بالوعدة يُبعد الشر ويبقى عامل السيكولوجي أثر كبير في حاجة الإنسان إلى استنجا د بالمقدس استمرار الممارسة الطقسية خاصة من أجل إزالة الشعور بالذنب وطرد الأذى وجلب الراحة النفسية.

إن نظرة فاحصة يلقيها محتاج إلى المقدس على مسيرة حياته وبنية مجتمعه توضح أنه ما زال يعيش في عالم ثنائي من خيال والغيبيات والواقع وأنه في حاجة إلى المقدس من اجل استمرار في الحياة وأنه مازال في راحة النفسية مادام يلجأ إلى المقدس .

يبقى العالم الروحانيات بما يحمله بعيد عن دراسة العلم ومنطقه ومناهجه وتدخل ضرورة وحاجة الإنسان وذهنيته إلى اللجوء إلى المقدس كما يلجأ فار من الحر إلى مناطق التي تتوفر إلى السلم والأمان المقدس هو الأمان لإنسان في حياته .

الإسهامات النظرية للدراسة :

هدف الدراسات النظرية هو مساهمة في فهم الظاهرة انثروبولوجية للحاجة الإنسان للمقدس وتسليط الضوء على مفهوم المقدس والطقوس والتمثُلات في الممارسة الفعلية أمام وفي فضاء الصاليح وعلاقته بالدين وبالحياة اليومية للمُريد، وإبراز أهمية المقدس في الحياة العامة وخاصة ونحن في العصر التكنولوجيا والعلم الحديث الذي أصبح يهتم كثيرا بالروحانيات وضرورتها في حياة سوسيو-نفسية لإنسان وتهدف الدراسة النظرية إزالة كل للبس بين الدين كممارسة اعتقادية وعلاقة المقدس بالدين في الممارسة الطقسية وأهمية التمثلات في جلب الراحة النفسية للمريد.

كما تهدف الدراسا ت النظرية إلى إبراز مظاهر حاجة الإنسان للمقدس للجلب البركة وصيرورة الحياة أسرية وجماعية والمحلية وإعطاء تعريف واضح ومحدد للمقدس وفعالية الطقس، ووظيفته في تماسك الأسرة والمجتمع ككل.مع ضرورة الحرص على أهمية العادات والتقاليد وإحيائها موسميا أو أسبوعيا وتعليمها لأبناء من أجل ديمومتها و ضرورة ملحة للتماسك الأسرة وتنقيتها من الخرافات والأساطير.

الإسهامات العملية للدراسة

يبقى مصطلح المقدس في الذهنية الجماعية للمجتمع وفي الشرائع السماوية وفي الدين من المواضيع أكثر غموضا وهذا ما دفع الباحثين إلى تطرق إلى **المقدس** الذي أصبح ضروري في حياة الإنسان وهذا ما تناولته اغلب الباحثين .

بديهي أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون اعتقاد ديني فهو متأصل في الذهنية والجماعية للبشر ومستقر في نفوس وموجود في كل زمان ومكان، ومنذ بداية الكون عرف الإنسان الاعتقاد في الخوارق والأسطورة ثم الدين إلى أن بعث الله الأنبياء و الرسل للتوحيد.

حيث أن الإشكالية التي يطرحها البحث هو حاجة الإنسان إلى المقدس وإحيائه كل مرة وضرورتيه في الذات الإنسانية وما يترتب عنه في الحفاظ على النسق الاجتماعي، وهل يمكن لإنسان الاستغناء عن المقدس؟ أسهمت الدراسات العملية في إجابة على الكثير من الأسئلة المبهمة من تعريف مفهوم **المقدس** وعلاقته بالدين وحاجة الإنسان له، وضرورة إحياء الطقس كلما تحدث التمثُّل ليحاكي الفعل المادي للطقس في فضاء المقدس أو إحيائه باسم فقط.

دراسات العلماء الأديان أسهمت كلها على وجود اختلاف في مفهوم المقدس من الثقافة إلى الثقافة ومن المجتمع إلى المجتمع ومن قبيلة إلى قبيلة ومن الشخص لأخر... انه تجربة تاريخية ويؤكد" **كايوا** على صعوبة تحديد المقدس بقوله الوصفة الوحيدة التي يصح إثباتها للمقدس بشكل عام متضمن في مصطلح المقدس ألا وهو تعارضه مع الدنيوي . (**كايو** ، 2010 صفحة 31)

كما أسهمت الدراسات العملية على اكتشاف العديد من المقدسات وكثرة المقدس هذا ما يبن وجوده في الحياة الإنسان كالدين أو كالرمز مثل الفضاء الصاليح وعلاقته بالدين والبقرة المقدسة لدى الهنود وإحياء المواسم لدى النصارى العيد الصفح ... ميلانو 08 ديسمبر

كما أثبتت الدراسات العلمية على انه لا يوجد شي أكثر غموض مثل المقدس إذ يتم استعملها في كل الحالات وإحيائها كلما جاءت الحاجة لجلب الراحة النفسية وهذا ما تطرق له أستاذ **شلحود** في مؤلفه بني المقدس عند العرب قبل الإسلام وبعده صفحة 25 الطبعة 1996

كما أكدت إلياد في كتابه المقدس والمدنس رجوع الغموض المقدس في كونه تجربة الإنسان وهذه التجربة لا يمكن تعبير عنها نظريا بل بواسطة أفعال تصورية ورمزية عن طريق الممارسة الطقسية وهي كلها خارجة عن طبيعة إنسانية بالتمثُلات التي تعبر عن طريق اللغة وهذه الأخيرة هي التي يعبر بها الإنسان عن علاقاته و حاجته إلى المقدس.

الآفاق المستقبلية :

يعتبر الدين حاجة ضرورية لإنسان في حياته وهو من أقدم الطقوس التي عرفها قبل التاريخ و منه اشتق المقدس وهو جوهر كامن في الذات الإنسانية، وبالتالي هو ضروري وبحاجة إليه دائما وأبدا وعرفت الإنسانية عبر التاريخ كيف كان الإنسان يقدم القربان والهدايا للمقدس من أجل جلب الراحة النفسية وابتعاد عن الشر وحصول على الخير.

تبقى حاجة الإنسان إلى المقدس أكيدة ولايستطيع أن يستغني عنه، وأظهرت الدراسات أن الإنسان اللاديني الذي لا يعتقد في إله لم يستغني على المقدس بل أعتقد في لمقدس بنفسه سواء كان روحيا أو ماديا.

من خلال هذه الدراسة اتضح أن العديد من المصطلحات لم يتم إلى يومنا هذا الفصل في تعريفها أو مفهومها مثل الدين، المقدس، الروح ، وتعددت التعاريف بين الباحثين العرب والمسلمين والغرب غير أن المؤكد هو أن المقدس من الدين، وهو متأصل في الذات الإنسانية ولا يمكن العيش بدونه.و رغم التكنولوجيا الحديثة والعلم والحداثة وما وصل إليه الإنسان من التقدم في شتى الميادين غير أنه يبقى تحت قوة المقدس والدين.

نطمح مستقبلا أن تكون دراسات الجادة وموضوعية تحدد مفاهيم والمصطلحات وعدم الخلط بين الديني واللاديني، واهتمام بإنسان كائن يتأثر بما حوله ومرتبط بدينه وعقيدته وتقاليده ورموزه وعدم الانصياع وراء التيارات التي تدعو إلى التخلص من المقدس والدين قد أثبتت الدراسات أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش دون الدين أو المقدس حتى ولو كان ذلك المقدس روحيا أو ماديا.

مع المراعاة خصوصية الشعوب واحترام مقدستها حتى ولو كانت ضد ما نعتقد به فإن الحرية الاعتقاد جاء بها الإسلام قبل أربعة عشر القرن لا إكراه في الدين.

كما أن الحرية لا تعني تطرق في المقدسات الآخرين بازدراء بل باحترام والدراسات الأكاديمية التي تصل بنا إلى فهم الحاجة الإنسان إلى العلم الذي بدوره يساهم في الحياة الأفضل.

إن كان المقدس ضروري في الحياة الإنسان فإنه يختلف من الشعب إلى أخر لكن لا يختلف في طبيعة التقديس و ما يكنه في الذات سواء روحيا أو ماديا.

نطمح إلى الدراسات أكثر دقة بإتباع مناهج البحث سوسيو انثروبولوجي منها المنهج التحليلي النسقي الذي يدرس الأجزاء المكونة للظاهرة لنصل إلى الظاهرة كلية. لأن هذه الدراسات حول المقدس لها طابع الروحي كامن في الذات الإنسانية لا تستطي ع المقابلة أو استمارة فهم فحوى النفس والخوف من المقدس، وبالتالي نعتمد على التحليل الطقوس والتمثُلات لفهم الظاهرة عن القرب.

الخاتمــة العامــة

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة ارتأيت أن أنقل أحد الظواهر الاجتماعية الدينية التي لم تزال قائمة في مجتمعنا رغم محاربتها لمدة القرون ، ومن أجل تنوير لمن يريد التمعن والتبصر هي حاجة لإنسان عبر ثقافاته وتطوره الحضاري ما أعتبره مقدساً ما أعتبره مدنساً، وفي تبيان العديد من الحدود والأمور التي تفرض وجودها تحت عنوان **المقدس** بينما نرى أن الدراسات الغربية تؤكد على أن أصلها نبع من ميثولوجيا ابتكرها الإنسان عبر تاريخه الطويل، وجعلها قيداً على فكره وحريته كما جعلها أداة قمع و قهر واستغلال .... كل هذا بإسم " **المقدس**".وهذا لا يطبق على مجتمعنا لأنها من الدين الإسلامي.

مازال ت الظاهرة قائمة في صيرورة نسقية ثابتة وهي حاجة الإنسان إلى المقدس بممارسة الطقسية في فضاء أضرحة الصلاح، ومازالت كراماتهم وأساطيرهم فعالة حتى الآن، وتحمل البركة ولقداسّة.

كما يأخذ شيخ الزاوية قدسية رمزية للمقدس حيث يُمثل **البركة** وأحد أولياء الله، ودعائه مستجاب.

وتعتبر أساطير وكرامات الأولياء من تلك الفكرة الصلحاوية والشرفاوية التي كانوا يؤتون بها في حياتهم، خاصة تلك الحوادث وقصص التي تروى عنهم سواء **انتقام** من الناس الذين لا يؤمنون به أو من خلال أحاديث الزوار من الشفاء مريض أو تحقيق الرغبات ، أو فرح بعد زيارته له .... وهذي تتحول إلى التمثُلات ،تحي من طرف الزوار عن طريف عمليات طقسية في حظيرته أو باسمه، للكسب الود والبركة وقبول الدعاء، وجلب الراحة النفسية، ولا ننسى الشعور بالخوف من المقدس، في حالات التي يُشعر الزائر بتقصيره ناحيته ، أو عدم أداء "**وعدة**" أو شئ من هذا القبيل.

كان الهدف من الدراسة معرفة العوامل التي تساهم في استمرار ظاهرة إحياء المقدس وحاجة إليه وتم عملية فعلية الطقوس في فضاء الأضرحة وبركة الشيخ زوايا، وكيف استمرت حتى في أوساط الساكنة الحضرية وعائلات ذات مستوى العلمي عالي وغنية وإذ كانت في سابق تقتصر على الساكنة الريفية.

ومعرفة سبب رسوخها واستمرارها في الذهنية الجماعية لأفراد المجتمع وسر اهتمام الدولة بالمؤسسات التقليدية باختصار معرفة دور و وظيفة "**المقدس**" بصفة عامة.

من خلال النتائج المتوصل إليها تعتبر التمثُلات و العادات والتقاليد والعرف والخوف من المستقبل الغامض هو احد العوامل الرئيسية في إحياء المقدس ، و كذلك العوامل الثقافية وحتى الاقتصادية من بين أبرز عوامل استمرارية إحياء المقدس، كما يعتبر للعامل السيكولوجي أثر كبير في استمرار الممارسة الطقسية خاصة من أجل إزالة الشعور بالذنب وطرد الأذى وجلب الراحة النفسية والحماية الاجتماعية .

إذا كانت المجتمعات التقليدية التي تكتفي بالتمسك والتعصب لتراثها والتغني بجمود هذا التراث لن تستطيع الدخول إلى رحاب العصر فإن المجتمعات الحضرية دخلت ضمن حاجتها إلى المقدس من أجل إعادة التوازن الروحي واجتماعي بممارسة الطقسية لإعادة الماضي وذلك بممارسة الفعلية للطقوس في حضرة وفضاء المقدس والتي تأخذ بُعد الديني أثناء الممارسة.

يسعى إليه العديد من العلماء ومشايخ في البلاد العربية والإسلامية منها الجزائر إلى إعادة إحياء دور الزوايا والفكر الصوفي من أجل حد من تطرف الديني وفكر الوهابي.

ما زالت الفئات عديدة من المجتمع الجزائري بمختلف فئاته وطبقاته تعيش على فكرة ضرورة رجوع إلى الأصل وتقاليد والعرف وذلك بإحياء الوعدات ورد الاعتبار للصلاح وشيوخ الزوايا، وحتى بعض مفكرين من أساتذة ودكاترة اليوم يبحثون في هذا الحقل لما له من أهمية في تعايش السلمي وإعطاء التوازن الروحي في المجتمع وخاصة بعد انتشار ظاهرة الانتحار والحاد.

إن نظرة فاحصة يلقيها **المريد في المقدس** على مسيرة حياته وبُنية مجتمعه توضح أنه في حاجة إليه وكيف يحاول أن يفرق بين الحلال والمقدس وكيف أصبح يتحكم في نسقية الطقوس التنظيمية للمقدس في حياته.

إن خلاص الإنسان من الذنب والمرض النفسي دائما يكون له طابع الديني يرجع إلى الله إلى ماهو أعظم منه إلى من يخلصه من ما يعيش فيه إنه المقدس لا احد يستطيع معرفته أو العيش بدونه وحتى العلم لم يستطيع تفسير كيف لإنسان بعملية جادة يستطيع إحياء ظواهر كانت من أمس من الماضي السحيق قد مضى عنها قرون، لا أحد يستطيع أن يفسر كيف تستمر هذه الظاهرة رغم تاريخها القديم ،في نسقية منظمة دون حاجز اجتماعي أو الفكري ، رغم محاربتها لسنين الإ إنها مازالت حية وقائمة.

من المنطق تفكيرنا فإن حاجة المقدس لنا وفي أفعالنا داخل فضاء مجتمعنا، أصبح ضروري وبفضل عبقرية الإنسان الذي أصبح سيد هذا الكون بدون منازع.فانه لايستطيع ابتعاد عنه.

المراجـــــــــع

قائمة المراجع باللغة العربية

- العقبي صلاح مؤيد (2000) ، *"الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر"* البراق ، بيروت طبعة الأولى
- د. أيمن حمدي(2000) *"قاموس المصطلحات الصوفية "* دراسة تراثية مع شرح اصطلاحات، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، طبعة الأولى .
- أنجيل رابسا ، شيريل بينارد ، لويل شوارتز ، بيتر سكيل (2007)" وعنون للتقرير " *بناء شبكات مسلمة معتدلة*"" Building Moderate Muslim Networks " مركز "راند للدراسات"، باللغة الانجليزية.
- بيات شتاوفر (2006) Piet chat over *"طريقة صوفية تقليدية"* **تقرير فرنسي** .
- بلفتش . أ (1966)، *"عصر الأساطير"* ترجمة رشدي السيسي ، سلسلة الألف كتاب ، دار النهضة العربية القاهرة ، الطبعة الأولى .
- أ. بن عمارة .م (1988)" *المناقب البوبكرية*" د.غ ، وهران .
- د. بوعزيز يحي (1995)"*أعلام الفكر الثقافة في الجزائر المحروسة*" دار الغرب الاسلامي ، الجزء الثاني الطبعة الأولى.
- بونقاب مختار(2000) " *تاريخ الطريقة الدرقاوية في الجزائر* " أطروحة ماجستير في العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية قسم التاريخ الجزائر ، جامعة وهران
- جفري بارنار (1990)" *المعتقدات الدينية لدى الشعوب* " ترجمة د.إمام عبدالفتاح سلسلة عالم المعرفة ، كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة ، و الفنون و الآداب – الكويت.
- حسن عبد الحميد (ر) ،(1988): " *دور المتغيرات الإجتماعية في الطب و الأمراض* " المكتب الجامعي الحديث إسكندرية ، الطبعة الأولى.
- د. خليل أحمد خليل (1979) *" نحو سوسيولوجيا للثقافة الشعبية* " دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى.
- كلمة الشيخ خالد بن تونس (2004) في " *الملتقى الوطني الأول للطرق الصوفية و الزوايا في الجزائر*" مستغانم ، أيام 10 و 11 فبراير.
- خالد محمد (1999) *التحولات الاجتماعية و الممارسات الدينية"* وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟ تيميمون من 22 ،23 ، 24 نوفمبر ، منسق نذير معروف .
- خزعل الماجدي (1998)" *متون سومر" التاريخ ، الميثولوجيا ، اللاهوت ، الطقوس "* ، الأهلية للنشر و التوزيع الأردن، طبعة الأولى.
- د. خير الله عصار (1982)" *محاضرات في منهجية البحث الاجتماعي"* د.م.ج ، الجزائر ، الطبعة الأولى

- روبرتسن سميث (1997) *" محاضرات في ديانة الساميين "* ترجمة د. عبدالوهاب علوب ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر الطبعة الأولى.
- الزاوي خديجة (1997)*"النساء و طقوس الأولياء الصالحين"* أطروحة ماجستير ، في علم الاجتماع جامعة وهران
- ستروس كلود ليفي (1995) " *الإناسة البنيوية* " ترجمة قبسي حسن ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى
- د.سيد محمود القمني (2001)*" الأسطورة و التراث"* دار سينا ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
- شبال مالك (2000) *"معجم الرموز الإسلامية""* دار الجيل ، القاهرة ، الطبعة الأولى.
- د.شلحت يوسف (2003) *"نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني "* تحقيق خليل أحمد خليل دار الفارابي الطبعة الأولى .
- صامويل شليكة (2002)" *ما الشعبي في المعتقدات* " ترجمة إبراهيم فتحي ، مجلة فصول عدد الصيف خريف ، ص 77،78
- صلاح الدين شروخ (1993): *"نحن و الطوطمية"* ، جريدة الفيصل، عدد 117 ، ص 32 ،34
- الشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان (1999) " *الصوفيون و أرباب الأحوال* " ، تقديم الشيخ أحمد كفتارو السيروان للطبعة و النشر و التوزيع ، دمشق، طبعة الثانية.
- د. شيخ عبدالقادر الجيلاني الحسيني (2004) " *السفينة القادرية* " تقديم و تحقيق قاسم محمد عباس ، دار المدى للثقافة و النشر دمشق الطبعة الأولى .
- د. عبد الهادي عبد الرحمن (2000) *"عرش المقدس الدين في الثقافة و الثقافة في الدين "* دار الطليعة ، بيروت ، طبعة الأولى.
- د. عامر النجار (2001) *"الطرق الصوفية في مصر"*دار المعارف قاهرة، الطبعة الخامسة.
- غوستاف لوبون (1988) *" روح الإجتماع"* ، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا ، الأنيس سللسة العلوم الاجتماعية " موفم للنشر" الجزائر.
- لومبار جاك (1997) *" مدخل إلى الانثروبولوجيا "* ، ترجمة قبيسي حسن، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى .
- د.مولاي الحاج مراد (1999)" *مكانة التحقيق الميداني في الدراسات الأنثروبولوجية* " وقائع الملتقى أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الجزائر؟ تيميمون من 22 ،23 ، 24 نوفمبر ، منسق نذير معروف .
- مرسيا إلياد (1988)" *المقدس و المدنس* " ، ترجمة عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة و النشر و التوزيع ، الطبعة الأولى .

- د. محمد عابد الجابري (**1982**)، ***"نحن والتراث"*** ، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية.
- محمد جابر الأنصاري ، **(1997)** ***" إشكالية التكوين المجتمعي العربي: أقليات .. أم أكثرية متعددة"*** **، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، الطبعة الأولى .**
- محمد خالد **(2000)** ***" المقدس و العنف في التجربة الصوفية "*** **"إنسانيات" المجلة الجزائرية في الأنثربولوجية و العلوم الاجتماعية " عدد 11 ، أوت ص 67، 76.**
- محمد خالد **(1997)** ***" العمران و المقدس- المدن المغاربية في العصر الوسيط "*** **المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان و التاريخ ، ديسمبر ، ص .ص 17-22**

- محمد خالد **(2003)** ***" المقدس و الأسطورة في التجربة الطرقية الإسلامية بمنطقة شمال شرق الصحراء"*** **المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان و التاريخ ، العدد الأول ، ص،ص 76، 81**
- د. نور الدين طوالبي **(1988)" *في إشكالية المقدس*" منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، الطبعة الأولى د.م.ج الجزائر .**
- د. نور الدين طوالبي(**1988**) ***" الدين و الطقوس والتغيرات "*** **منشورات عويدات ، بيروت ، باريس الطبعة الأولى ، د.م.ج الجزائر .**

قائمة المراجع باللغة الفرنسية

- ANNEQUIN (J) ,(1973) « ***Recherches sur l'action magique et ses représentations*** » les belles lettres , Paris
- BASTIDE Roger (1975) **« *Le Sacré Sauvage » ,*** Paris , Payot,
- BASTIDE Roger (1970) «Sociologie des mutation religieuses in sociologie des mutations » , Puf , Paris,
- BOURDIEU (P), (1974) « ***Sociologie de l'Algérie*** » Puf, Paris,
- CLAUDE Riviere, 1997 **()«** ***Socio Anthropologie des Religion »,*** Armand colin –Paris " Collection cursus série " Sociologie"
- CAMILLERI (C) , (1979) « ***Crise socio-culturelle et crise d'identité dans les sociétés du Tiers- Monde : Exemple des sociétés maghrébines*** » Psychol.fr Paris
- CAMILLERI (C) ,(1973) « ***Jeunesse famille et développement –essai sur le changement Socio-culturel dans un pays du Tiers-Monde (TUNISIE) »*** CNRS, Paris
- CAZENEUVE Jean, (1971) « ***Sociologie du rite »,*** Points, Sciences humaines Paris,.

- CHELHOD. (J) , (1984) « **L'Arabie du Sud, histoire et civilisation, 1, le peuple yéménite et ses Racines »**, Paris, Maisonneuve & larose,

- DURKHEIM Emile, (1990)« ***Les règles de la méthode sociologique*** », presse universitaire De France 2eme édition.

-DUVINGNAUD (J), (1977) « ***Anomie et mutation*** », in sociologie des mutations, anthropos, Paris,

- JOSEPH Chelhod**, (**1964**) « *Les Structures du Sacré chez les Arabes* » ,** ed Maisonneuve , Larousse, paris

- -- MAISONNEUVE (J), (1988) « ***Les conduites rituelles*** », Presse universitaires de France , 2eme édition,.

- NADIR Ahmed (1977)« ***Le Maraboutisme, superstition ou révolution*** ? » Cahiers de la Méditerranée, N°4, Nice PP 76 ,77

- NADIR (M), (1997) « ***L'imaginaire historiographique entre conjonctures et réalités, ou le problème des sources*** » à propos de l'établissement humain en milieu saharien, ***« Article parus dans « Insaniyat »***

- RIVIERE Claude , (1955) ***« Les rites profanes »*** , presse universitaire de France,

- RODENNY Rico , (**1970**) ***« Sociologie des Religions*** » Editions du Seuil

- ROGER Mucchielli **, (1980)** ***« L'interview de Groupe »*** **,** Edition (Revue et Augmentée)

- R. Otto**, (2001) «** ***In Anthropologie du sacré*** » par Ghislain R/Ogandaga, Internet

- - SOPHIE Ferchiou ,(1978) « ***L'islam Pluriel au Maghreb*** » Paris , Édition

- TOURAIN (A) , (1974) **«** ***Pour la Sociologie*** **»**, Editions du Seuil , Paris

- VAN Gennep (A) , (1909) « ***Les rites de passage*** » librairie critique, Paris ,

الملاحـــــــــــق

شرح المصطلحات الواردة في البحث

حسب الترتيب الأبجدي

-أ-

أولاد سيد الشيخ: هم قبيلة تقطن في الجنوب الغربي لولاية البيض ، و بالضبط في بلدية الأبيض سيد الشيخ التي أخذت تسميتها من القبيلة.

الأبيض سيد الشيخ: بلدية تقع في الجنوب الغربي تابعة إقليماً لولاية البيض أخذت هذا الإسم حسب الروايات المتداولة ، أن هناك بئر أبيض أشتراه جد الوالي سيد الشيخ لهذا سميت بالأبيض سيد الشيخ.

- ب-

بوقطب : بلدية تقع في الجنوب الغربي تابعة إقيمياً لولاية البيض .

البدعة: هي سلوك غير متطابق مع التقاليد السنية ، أي هذا النموذج من الوجود الأكثر امتثالاً مع رسالة القرآن المقدّسة ، مما يؤدي إلى خلق البدعة.

-ت-

تْسميّة: يقصد بهذه الكلمة قول" بسم الله" عند الدخول إلى الضريح ، أو أي مكان مقدس ، و كذلك تقال للتعوذ من رؤية منكر أو سماع خبر سئ و ذلك بقول

"سم الله الرحمن الرحيم".

تيفيس : نوع من المرض ينتشر عن تراكم الأوساخ في البرك و المياه الراكدة و يصيب العينين بالرمد .

التويزة: هو تعاون محلي للقيام بالعمل ما ، مثل جني محصول ، أو بناء أو تصليح مسكن ، يقوم به كل الأفراد المجتمع المحلي مع بعض.

- ج-

جمعة: يقصد به يوم الجمعة أخر أيام الأسبوع ، حيث يكون خاتمة لجميع الطقوس الاحتفالية ، كما يُمثل لدى المريدين خروج الصالحين في هذا اليوم لتلق الصدقات ، و قبول الدعوات.

جعافرة :هم عشيرة تقطن المنطقة الجنوبية من ولاية سعيدة ، و تضم عدة قبائل

-ح-

الحْجير : و يسمى أيضاً "الحويطة"هو تشكيل نصف دائري يُبنّى بالحجر ، علوه لا يزيد عن نصف متر و تُعلق فيه قطع من القماش خضراء اللون و يزار المكان و يأخذ منه التراب و يكون غير بعيد من قبة الضريح

الحلقة : هي تجمع من الزوار يتجمهر حول الشيخ الزاوية أو مقدم الوالي سواء لرفع الفاتحة و ختام أو للدعاء.

الحلفاء : هي نبتة تنبت في الجنوب الغربي ، تعتبر المادة أساسية في صناعة الورق ، كما تعتبر مادة هامة لصناعة التقليدية في المنطقة.

الحضرة : هي تجمع مريدي طريقة ما مثل الطريقة الشيخية أو القادرية ، و تقرأ فيها بعض الطقوس من الذكر، و قراءة القرآن ، و الشعر ، و بعض الأذكار الخاصة بالطريقة.

- خ-

الخديم : هو الشخص الذي يكون خادم للشيخ حتى يحرره ، و "يطلق سراحه كما يقولون" ، حيث يصبح فيما بعد من الممارسين للطقوس مثل المداومة على زيارة للشيخ ، ذبح الأضحية في المواسم ، حضور الوعدة و المشاركة فيها

الخيام : تُعرف باسم "خيمّة" تصنع من صوف الأغنام و المعز ، و أحياناً من وبر الجمل ، لتقي أصاحبها من حرارة الصيف ، و برد الشتاء.

الخيثر : بلدية تابعة إقليمياً لولاية البيض ، يوجد فيها ضريح سيدي خليفة .

- د-

دعوة : هي الدعاء الذي يتلقاه الزائر من المقدم أو شيخ الزاوية ، مثال: يقول الزائر "إدعي لي دعوة الخير" ، كما أنها تمثُل الشعور بالخوف و الراحة في الذهنية الجماعية للمريدين .

- ذ-

الذكر: عبارات يرددها المريدين في حلقة مع الشيخ عدة مرات ، و لكل طريقة أذكارها الخاصة بها .

- ر-

رؤية أو روية : أي كما يقال "شفت روية" أي "منام" تُمثل شئ مقدس لدى المريدين خاصة إذا كان إسم الشخص الذي يُرى في المنام مطابقاً إسم الوالي حيث يتصور الشخص أن الولي يريد منه شئ ، يبشره بشئ.

روينة : هو تحميص الشعير أو القمح ثم طحنه و تصفيته ، و يتم تناوله بإضافة السكر و الماء الدافئ الزبدة

الركب : هو لفظة تطلق على الاحتفال المخصص لوعدة سيد الشيخ ، سمي بهذا الاسم لأن المريدين كانوا يأتون في ركب كبير من مناطق بعيدة ، يركبون الدواب ، و منه أطلقت لفظة "الركب"

الرُب : هو مزيج من الزبدة و معجون التمر ، يقدم في فطور الصباح .

- ز-

الزردة : عبارة "بربرية" تستعمل في شرق البلاد و جنوبها ، للدلالة على نوع الفعل الذي يلي حدثاً سعيداً : ولادة ، نجاح ، شفاء من مرض ، عودة من الحج .. يتم فيها تحضير الطعام ، هذه الكلمة لها نفس المدلول كلمة "وعدة" لكن الفرق فقط في الممارسة حيث ترتبط "الوعدة" بالولي.

الزاوية: في المغرب الكبير مدرسةً تلقن العلوم الإسلامية للطلبة تأويهم وتنفق عليهم كما تدل عادة على الطريقة الصوفية فنقول " الزاوية القادرية ، الزاوية الرحمانية ، إلخ".

الزيارة : للكلمة مدلولين .أولهما : هي الذهاب إلى الأماكن المقدسة لزيارتها من أجل التبرك.

ثانيهما: تعني المبلغ المالي الذي يقدمه الزائر لحضرة المقدس و تمنح للقائم على شؤون الضريح ، و يطلب من ورائها الدعاء .

"**زيارتك مقبولة**": للعبارة مدلولين أولهما : هي لفظة تقال للزوار قبل أو بعد الزيارة سواء من القائمين على الضريح ، أو المتسولين خاصة بعد تقديم بعض نقود عربون الاعتراف بقيمة المقدس
ثانيهما : تقال كذلك للزوار الذين تُسرق الأحذيتهم .

- ش-

الشامخة: تعقب قراءة الفاتحة و الدعاء ، و هي الطلب من الحضور بالضرب و التصفيق بالأيادي من أجل المصادقة على الدعوة ، و تكون في شكل حلقة و بحضور جّمع غفير من الناس أو المريدين.
الشيخ: هو من يحمل مشعل الزاوية و طريقتها ، و يكون من أحفاد المؤسس الأصيل و له دراية بالعلوم الشرعية .
الشريف: لفظة تطلق على من ينتسب إلى الوالي المقدس ، و الشريف له سطوة داخل المجتمع المحلي ، و يعتقد الكثير من المريدين في دعائهم. و من المتعارف عليه أن بنات الشرفة لا يتزوجهن إلا من كان شريفاً !!

- ص-

الصدقة: لها مدلولين أولهما : هو تقديم مبلغ مالي للشيخ ، أو القائم على الضريح .
ثانهما : هو تقديم الطعام للزوار باسم المقدس ،كأن يقال " صدقة على جدي"

- ض-

الضريح: الشق وسط القبر، وتعارف الناس عليه إذ دفن فيه شخص له قيمة دينية أو غيرها من القيم التي تحتل مكانة عظيمة في نفوس الناس.

- ط-

الطاهر: أي مكان طاهر مبارك ، تنزل فيه البركات حسب التمثلات العامة و تأخذ بُعد القدسية هي عكس مكان النجاسة.
الطعام : هو نوع من كسكس معروف بالمغرب العربي ككل ، يتم تحضيره باللحم و الخضر ، و هو مقدس عند عامة ، و خاصة طعام الوعدة.

- ع-

عيساوة : تطلق اللفظة على الفرقة التي تقدم استعراضات أثناء الوعدة ، و ذلك بواسطة الأفاعي و العقارب ،كما يقوم "العيساوي" بتحصين الراغبين من لسعاتها، و يأخذ مقابل ذلك مبلغاً مالياً.
عشيرة: هي فرقة من قبيلة ما تسمى عشيرة فلان ، و تنتمي إليها.
عين السخونة: بلدية تابعة إقليمياً لولاية سعيدة ، توجد فيها زاوية الحاج محمد
العلفة : هي مجموعة من راكبي الخيل أو كما تسمى "الألعاب الفنتازيا" ، تتكون عادة من 7 إلى عشرة أفراد ، و لكل قبيلة "فرقتها" التي تسمّى بإسمها.

- غ-

الغوث: هو ثاني درجة بعد القطب ، يستغاث به في المعرفة و الدعاء و لا يساويه أحد فيها في هذه الدرجة

- ف-

الفاتحة : أخذت تسميتها من سورة الفاتحة ، وهي قراءة و دعاء في بداية أو في نهاية أي إحتفال ، أما في الوعدة فتكون قبل تقديم الطعام و عادة ما تُقام في شكل حلقة كبيرة أمام ضريح الوالي ، و يسارع المريدين إلى تقديم مبالغ مالية مقابل حرص على دعاء خاص.

- ق-

القطب : معناه رأس العارفين ، أي لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه حتى بعد أن يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لأخر من أهل العرفان بعده.

- ك-

الكرامة: هي تقديم مبلغ مالي تكريماً للشيخ أو المقدم أو الطَّلبة ، و تأخذ بُعداً قداسّياً.

- م-

المعروف: يأخذ نسق من الرموز يحوي مصطلحات مجردة ، و له عدة معاني في العرف الشعبي ، و يأخذ شكل الممارسة بإطعام الناس.

المقدم : هو القائم على شؤون الولي باستقبال الزوار ، و تحضير موسم الوعدة ،و تنظيف المكان ، و أخذ "الزيارة" التي تتمثل في " نقود".

المريد : هو من يرد إلى أماكن الأضرحة و الزوايا ، و يقوم بعدة الطقوس و ممارسات في حضرتها .

المطلوع : هو نوع من الخبز التقليدي ، يتم تحضيره من القمح الصلب أو اللين و يتم طهيه على "فرن" تقليدي عادة ما يكون مصنوع من الطين

- ن-

النوقة : هي نوع من الحلويات ممزوجة بالفول السوداني ، هي مشهورة كثيراً في المواسم الاحتفالية " الوعدات" و يُقدم الناس على شرائها لتقدم إلى الأهل الأحباب و الجيران تبركاً بالوالي ، و يطلقون عليها عبارة : "نوقة وعدة الوالي سي فلان "

- و-

الوالي: لفظة تطلق على اسم الشخص المدفون داخل القبة ، وله قيمة دينية و رمزية في تمثلات العديد من مريده ، و ليس شرطاً أن يكون مدفون داخل القبة ، بل الكثير من القبب لا تحتوي على قبر دفين "مثل ولي مولى عبدالقادر" مع ذلك له قيمة قدسيّة عظيمة في تمثلات الأفراد.

الوعدة : تشتق في فقه اللغة العربية من كلمة "وعد" التي تعني : تعهد بشئ ما ، أي أخذ على عاتقه شئ ما و في الواقع تمارس في شكل احتفال يُقام سنوياً عند ضريح الوالي ، من قبل مريده .

ضريح سيد الشيخ في سنة 1989 شكل بناء "منارة " أربع قبب في زوايا

ضريح سيد الشيخ حالي "2007" منارة، و الهلال و نجمة، قبب بهلالها

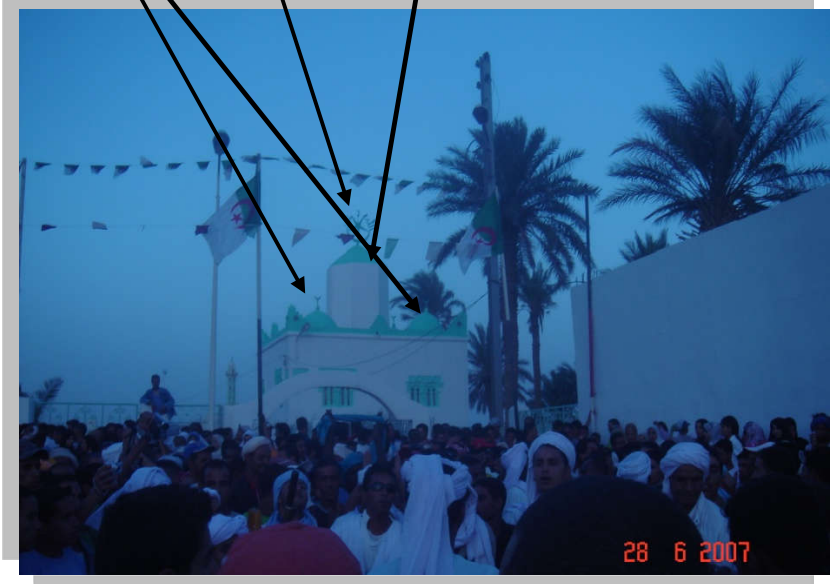

سيد الشيخ من جهة الخلفية
تظهر قبب الأخرى

الصورة رقم 02

الأضرحة الموجودة بالمنطقة "الأبيض سيد الشيخ " :

ضريح سيد بن الدين موجودين بالجانب ضريح سيد الشيخ ، شكل بناء منارة

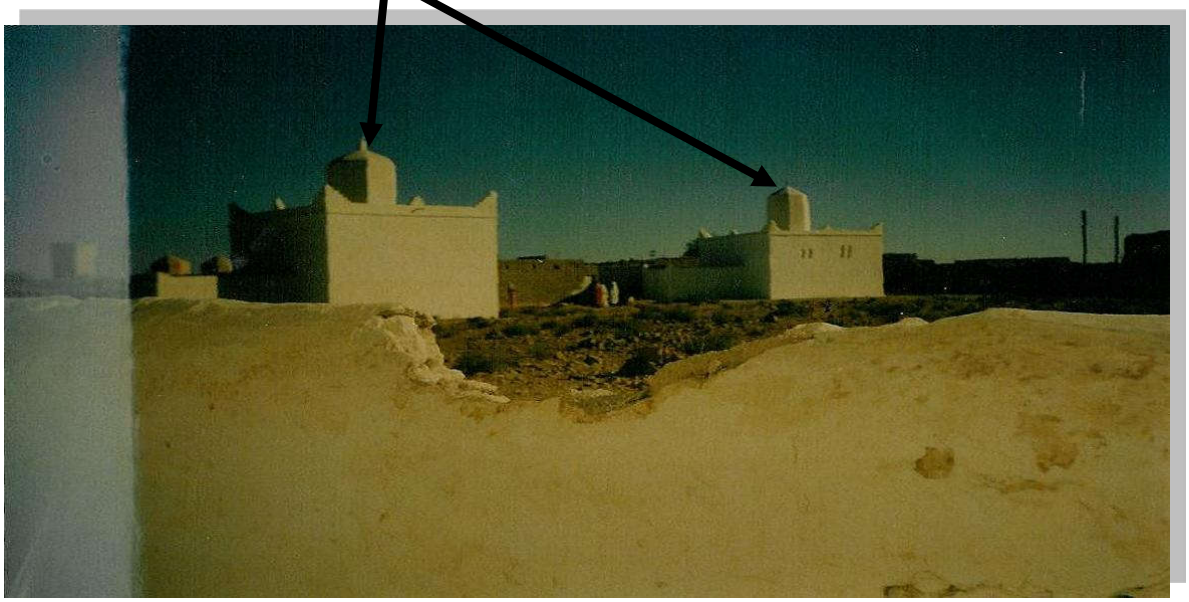

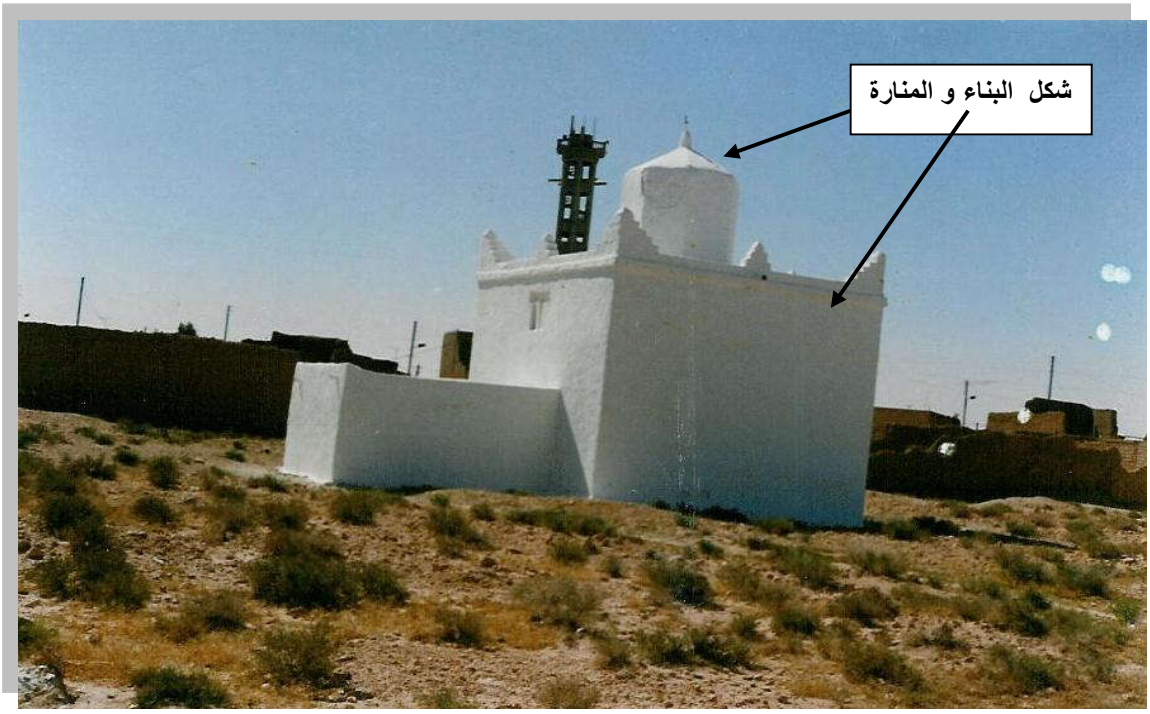

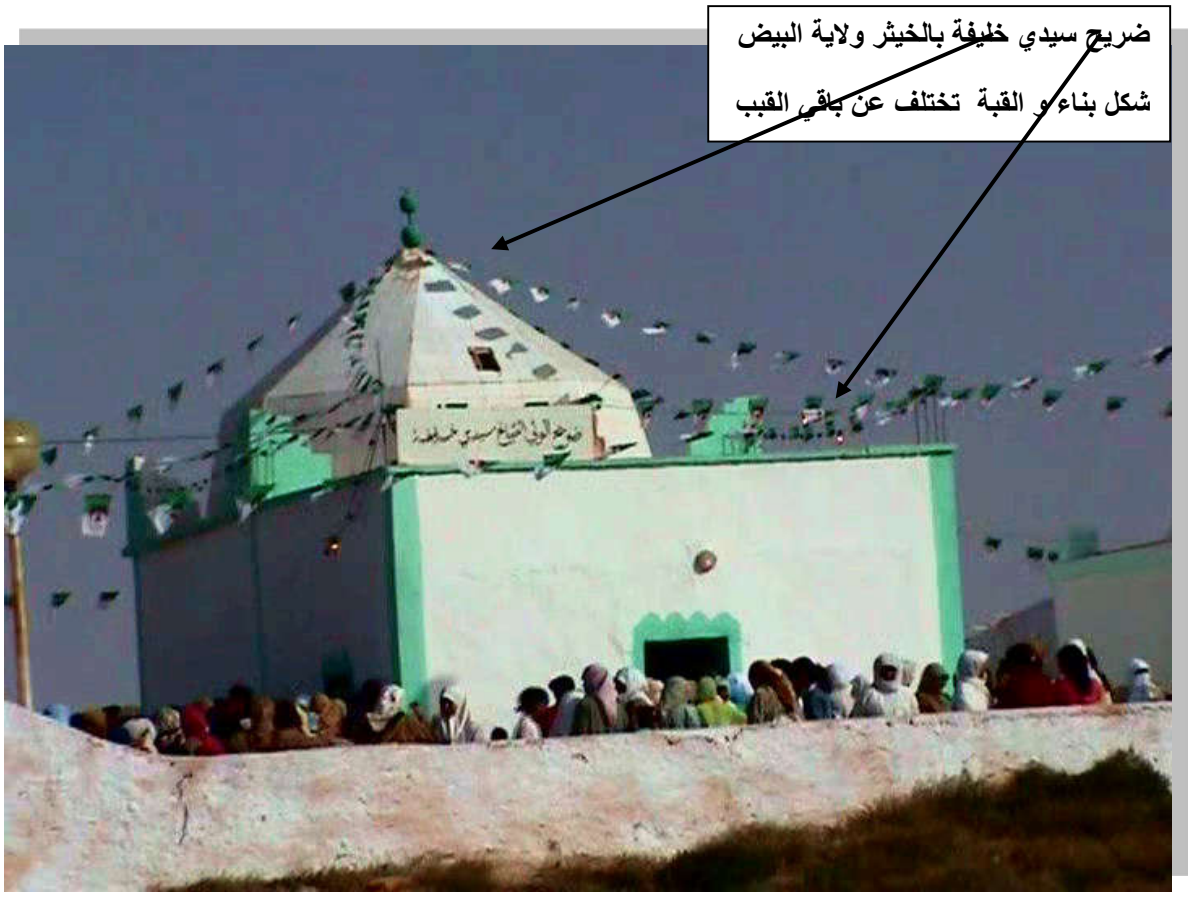
ضريح سيدي خليفة بالخيثر ولاية البيض
شكل بناء و القبة تختلف عن باقي القبب

صورة رقم 01

ضريح م السخونة "الحاج
محمد" ،شكل القبة و البناء ، يختلف عن قبب
الموجودة في الأبيض سيد الشيخ

الشيخ الحاج محمد

مؤسس الزاوية عين السخونة

هذه السبحة مازالت موجودة عند الشيخ ، تعتبر بركة مقدسة

الشيخ الحاج حمو الطيب الشيخ الحالي للزاوية عين السخونة

ضريح الولي الصاليح ابن سيدي خليفة

تبقى الخيل و فنتازيا تزيد فضاء الصاليح و تجذب المتعة للزوار

تبقى الفنتازيا تزين فضاء الصاليح

من داخل ضريح سيدي خليفة بلدية الخيثر ولاية البيض

احد مريدي فضاء الصاليح مع السبحة

فهـــرس المحتويـــــات

الـفـهـرس

الموضوع **الصفحة**

افتتاحية

مشكلة الدراسة و تساؤلاتها

مقدمة ..... أ
اشكالية البحث و فرضيات ..... ح
اسباب مبررات اختيار الموضوع ..... ن
وصف المنهجة المتبعة و تقنيات البحث ..... س
اختيار العينة وخصائصها .....ت
مفاهيم الاساسية ..... خ
خلاصة ..... ذ

الـــفـصـل الأول
الدراسات النظرية ذات العلاقة

المبحث الأول
الدراسات النظرية حول ظاهرة الدين

تمهيد الفصل 1

I- الظاهرة الدينية

- تعريف الدين 2
أ) مفهوم الدين في اللغة العربية
ب) مفهوم الدين في اللغة الانجليزية
- مفهوم الدين اصطلاحاً
- تعريفات الدين عند علماء المسلمين 4
- تعريفات الدين عند علماء الغرب 4

II- نظريات حول الدين

1. دراسات تايلور و فريزاير 5
2. دراسات أميل دوركهايم 5
3. دراسات كارل ماركس 6
4. دراسات ماكس وبر 6
5. دراسات ميركا ايلياد 6
6. دراسات مارسيل موس 7

III. دراسات حول المقدس

1. مفهوم المقدس 9
أشكال المقدس 12
الدين و المقدس 16

المبحث الثاني
الدراسات النظرية حول مفهوم الطقس و التمثُل

I. دراسات حول الطقوس 19
II. مفهوم الطقس 20
III. أهم نظريات الطقس..... 22
نظرية الدوركايمية 22
طقس عند بيار بورديو 23
طقس عند مارسيل موس 23
طقس عند ريني جيرار و مانتنز 23
IV. وظائف الطقس الدينية
1. الأسطورة و الطقس 23
2. وظائف الطقس الرمزية 26
V. دراسات حول التمثُل
1. مفهوم التمثل 26
2. دراسات إميل دوركايم 27
3. تعريف موسكوفي 27
4. تعريف ماري جوزي 27
5. تعريف ميشال جيلي 27

VI. التمثُلات الجماعية 28
محددات التمُثل 28
خصائص التمثل 29

المبحث الثالث
الدراسات النظرية حول التصوف و الزوايا

I. التصوف

I. مقدمة 30
II. نسبة كلمة التصوف 30
III. تعريفات التصوف 30
IV. بداية ظهور التصوف 30
V. مصادر التصوف 32
VI. أقسام الصوفية 34
VII. أهم الطرق الصوفية 35

II. الزوايا

1. الحقل و الفضاء الديني للصاليح 37
2. أصل ما يسمى بالأولياء الصالحين 37
3. بداية الزوايا و الربط 38
4. وظيفة الربط و انتشارها 39

5. رحلة بن بطوطة 39
6. انتشار ظاهرة الأولياء الصالحين 40
7. معنى الزوايا و الولي " الصاليح " 40

III. الزوايا عشية الاستعمار الفرنسي 41
الاستعمار الفرنسي و زوايا 43
عـــــــودة الزوايـــا 49
خلاصة الفصل 50

الفصل الثاني
الممارسات الطقوسية و في الفضاء الصاليح

تمهيد الفصل 52

المبحث الأول
توطئة حول الفضاء الصاليح

I. تكوين فكرة واضحة عن أمكنة الصالحين للممارسة الطقوس

1. معنى مصطلح الجماعات المحلية 53
2. الفضاء المكاني لزوايا سيد حاج محمد بعين السخونة.....54
أ . أنثرغرافية المكان 54
ب. وعدة سيدي خليفة بلدية الخيثر ولاية البيض 59
أ. نبذة عن الشيخ سيدي خليفة 60
ب. زيارة أولى لضريح سيدي خليفة 62
ج . انثروغرافية مكان الضريح 66
I. 3. ركب أولاد سيد الشيخ بلدية الأبيض سيد الشيخ ولاية البيض 68
أ. نبذة عن شخصية الولي سيد الشيخ 69
ب. تعريف بالطريقة الشيخية 71
I. 4 مقر و زاويا الطريقة الشيخية بالجزائر 72
أ . أشهر الزوايا بالمملكة المغربية 72
ت. أوراد الطريقة الشيخية إجمالا 72
ج. انثروغرافية المكان 74

المبحث الثاني
الممارسات الطقسية في الفضاء الصاليح

I. الممارسة الطقسية
1. داخل الزوايا 79
2. الممارسات الطقسية أمام أضرحة الصلاح 82
أ . ممارسة الطقسية " الوعدة " 82
1. 1 الممارسة الطقسية أمام ضريح الولي سيدي خليفة 83
1. 2 الممارسات الطقسية في حقل الضريح ركب سيد الشيخ 85
أ . مشاهد و ظواهر في حقل وعدة ركب سيد الشيخ 88
II. دراسة مقارنة بين الأضرحة و الزوايا 89
الشكل الهندسي للأضرحة 89
من حيث الممارسة الطقسية 90
من حيث درجة التقديس 91
اختلاف درجة التقديس بين الأضرحة نفسها 91

III. أثنوغرافية الوعدات.....92
1. تعريف الوعدة 92
2. تعريف الزردة 93
3. النشرة 93
4. مفهوم المعروف 93
5. المعروف و المجتمع 93
6. الوعدة كتوطنة للتعريف بكرامات الولي 93
7. الأبعاد و المقاربات التنظيمية للوعدة في سلوك و تمثلات الجماعية 98

المبحث الثالث

التمثُلات الرمزية في الفضاء الصاليح

I. تمثلات الرمزية في حقل الصاليح 99
1. تمثلات الزوار لـ "شيخ" الزاوية 99
2. تمثلات الزوار في أسطورة و كرامات "الصلاح" 104
3. اختلاف التقديس بين أضرحة الصلاح و الشيخ الزاوية 104
II. دور التمثلات في استمرار الممارسة الطقوسية 109
1. أثر التمثلات حول "المقدس" في استمرار الممارسة الطقسية 110
2. أسباب و دوافع القيام بالطقوس 113
III الممارسة الطقسية في "فضاء الصاليح و إحياء المقدس 115
1. أسباب استمرار الممارسة الطقسية في حقل الزاوية 115
أ . شكل الممارسة الطقسية "للوعدة " 116ب
ب . طرق العلاج في حقل الزاوية 117
أولا . الجانب الوقائي 117

ثانيا . الجانب العلاجي 118
2.أسباب استمرار الممارسة الطقسية في حقل الصلاح 119
أ . شكل الممارسة الطقسية "للوعدة 120
ب. طرق العلاج في حقل الصلاح 121
أولا : الجانب الوقائي 121
ثانيا : الجانب العلاجي 121
3.الأدوار الطقسية في الممارسة العلاجية
4.الإطار العلاجي في حضرة المقدس
خلاصة الفصل 125

الفصل الثالث
تحليل معطيات بنية الملاحظة المشاركة

تمهيد الفصل 128

المبحث الأول
النتائج الأولية للملاحظة المشاركة و المقابلة

I النتائج الأولية من خلال الملاحظة المباشرة و المقابلة 129
1. ملاحظات أولية 129
2. تصنيف الإجابات 129
* الوضع الديني 129
* الوضع السيكولوجي 132

3. تكميم الأجوبة 133
* علاقة الدين بالممارسة الطقسية لدى المستجوبين 133
* مع المستجوبين في زيارة الأضرحة الصلاح و الزوايا 133
II . تحليل و التقييم 135
1. النتائج 135
- المحور الأول: الوضع السيكولوجي و الوقائي 135
- المقاربة النسقية للظاهرة 137
- الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي 141
- المحور الثاني : تطبيق المنهج النسقي على الظاهرة الفضاء الصاليح 145
مفهوم النسق 145
أنواع النسق 146
تطبيق النموذج النسقي بالمخطط على الظاهرة 148
خصائص المنهج النسقي 150

III . وظيفة المقدس 151
- الشكل النفسي 153
- الشكل الاجتماعي و الثقافي 153
- وظيفة المقدس الدفاعية و الحماية 153

مناقشة الأفكار الرئيسية و علاقتها بالفرضيات 154
خلاصة الفصل 157
الخاتمة العامة 159
الإسهامات العملية للدراسة 161
الافاق المستقبلية 163

ثبت المراجع
المصادر العربية 165
المصادر الأجنبية 167

الملاحق
صور و شجرة الشيخ زاوية و شجرة الصلاح 168
فهرس المصطلحات الواردة في البحث 170

Résumé :

Cette étude vise à présenter les dimensions sociologiques et l'approche anthropologique du bcaractère sacré des lieux avoisinant les sanctuaires, elle met l'accent sur le fait de sanctifier ces espaces et montre l'attitude rationnelle moderne vis-à-vis du sacré et du rituel, en ces temps où les lieux saints sont profanés physiquement et moralement aussi bien au nom de la religion qu'au nom de la liberté. La présente analyse tend aussi à lever la confusion entre la pratique religieuse de la doctrine et les pratiques rituelles des traditions et coutumes chez les membres de la société et qui résultent de leur imaginaire et de leur assimilation au sacré. Cette étude vise également à montrer l'acte de sanctification des espaces environnant le mausolée du personnage saint avec tous les faits miraculeux qu'on attribue à ce dernier, ses qualités morales, l'histoire de sa vie à travers les rituels annuels comme la waada, la fantasia, et tout ce que cela entraîne comme représentations et pratiques réalisées dans les alentours du saint. La sanctification des alentours du mausolée d'un saint, à travers les représentations et l'imaginaire qui se manifestent dans la pratique cyclique ou quotidienne des rituels, apparaît dans l'esprit purement matériel. L'être humain ne peut pas se passer de cet acte purement matériel, il est partie prenante de son être, ils sont inséparables en tout temps et en tout lieu, sur le plan physique comme sur le plan moral. Il est présent dans toutes les populations et ce depuis que l'homme existe sur terre. Ce qui est attesté et vécu dans ce monde, appelé monde de la sainteté.

Mots-clés : Le sacré, l'apparence de la sanctification sur l'environnement, les rituels et les représentations, le sacré et la modernité, la nécessité du sacré chez l'être humain

Summary:

This study aims to discover the sociological dimensions and their anthropological approaches to the faithfullness of places adjacent of the faith practitioner , and to determine the relationship of giving faithness to that space and to highlight the position of modern rationalism on the hollines and rituals, and with the modern era in which these spirutal things are violated materially and morally, whether under the name of religion or in the name of freedom, the study aims to remove This dress as a mixture between the religious practice of the faith and the ritual practice of sacred customs and customs among members of society, due to their mental representations and embrace of the holliness. It also aims to highlight the appearance of conferring holiness on the space surrounding the guardian personality and on his dignity, moral attributes, and material history through these annual rituals of "promise" and fantasy and what the actual representations and practices revolve around in the alien environment of the right saint.

Moreover ,adding holiness to the fold of the holy "guardian" through those perceptions and representations that appear through the actual practice of the religious practice , whether seasonal or daily, or whether physical or moral, is actually manifested in the purely material mind. This purely material act cannot be dispensed with by man, nor can he live without it. It is inherent in man's self and inherent to him materially and morally and in each time and place.

Least and not last, We find that among all ancient peoples it has been practiced since the beginning of man's life on earth. This is manifested and revived in the world called the world of holiness.

Keywords: faith , the appearance of adding holiness to space, ritual representations, Holliness and modernity, man's need for the holliness.

الملخص:

تهدف الدراسة إلى معرفة الأبعاد السوسيولوجية ومقارباتها انثروبولوجية لقدسية أمكنة المجاورة للأولياء الصالحين والوقوف على العلاقة إضفاء القدسية على ذلك الفضاء وإبراز موقف العقلانية الحديثة من المقدس والطقوس، ومع العصر الحديث الذي تنتهك فيه هذه المقدسات ماديا ومعنويا سواء باسم الدين أو باسم الحرية، تهدف الدراسة إلى إزالة ذلك اللبس وخليط بين ممارسة الدينية للعقيدة وممارسة الطقسية للعادات والأعراف القدسية بين أفراد المجتمع راجعة إلى تمثُلاتهم الذهنية وإلى اعتناق المقدس وتهدف أيضا إلى إبراز مظهر إضفاء القداسة على الفضاء جواري للشخصية الولي وإلى كراماته وصفاته المعنوية وتاريخه المادي من خلال تلك الطقوس السنوية من "الوعدة" وفنتازيا وما تدور حوله من التمثُلات والممارسات الفعلية في محيط الفضائي للولي الصالح. إن إضفاء القداسة على الحظيرة المقدس"الولي" من خلال تلك التصورات والتمثُلات التي تظهر من خلال الممارسة الفعلية للطقس سواء الموسمية أو يومي سواء كان المادي أو معنوي يتحلى فعيا في العقل المادي المحض.

وهذا الفعل المادي المحض لا يستطيع الإنسان أن يستغني عليه ولا يستطيع أن يعيش بدونه فهو متأصل في الذات الإنسان وملازم له ماديا ومعنويا وفي كل زمان ومكان ونجده لدى كل الشعوب المعمرة وتم ممارسه منذ بداية حياة الإنسان على الأرض وهذا يتجلى ويحي في العالم اسمه عالم القداسة.

كلمات مفتاحية : مقدس، مظهر إضفاء القداسة على الفضاء، طقوس التمثُلات، مقدس والحداثة، حاجة الإنسان إلى المقدس.